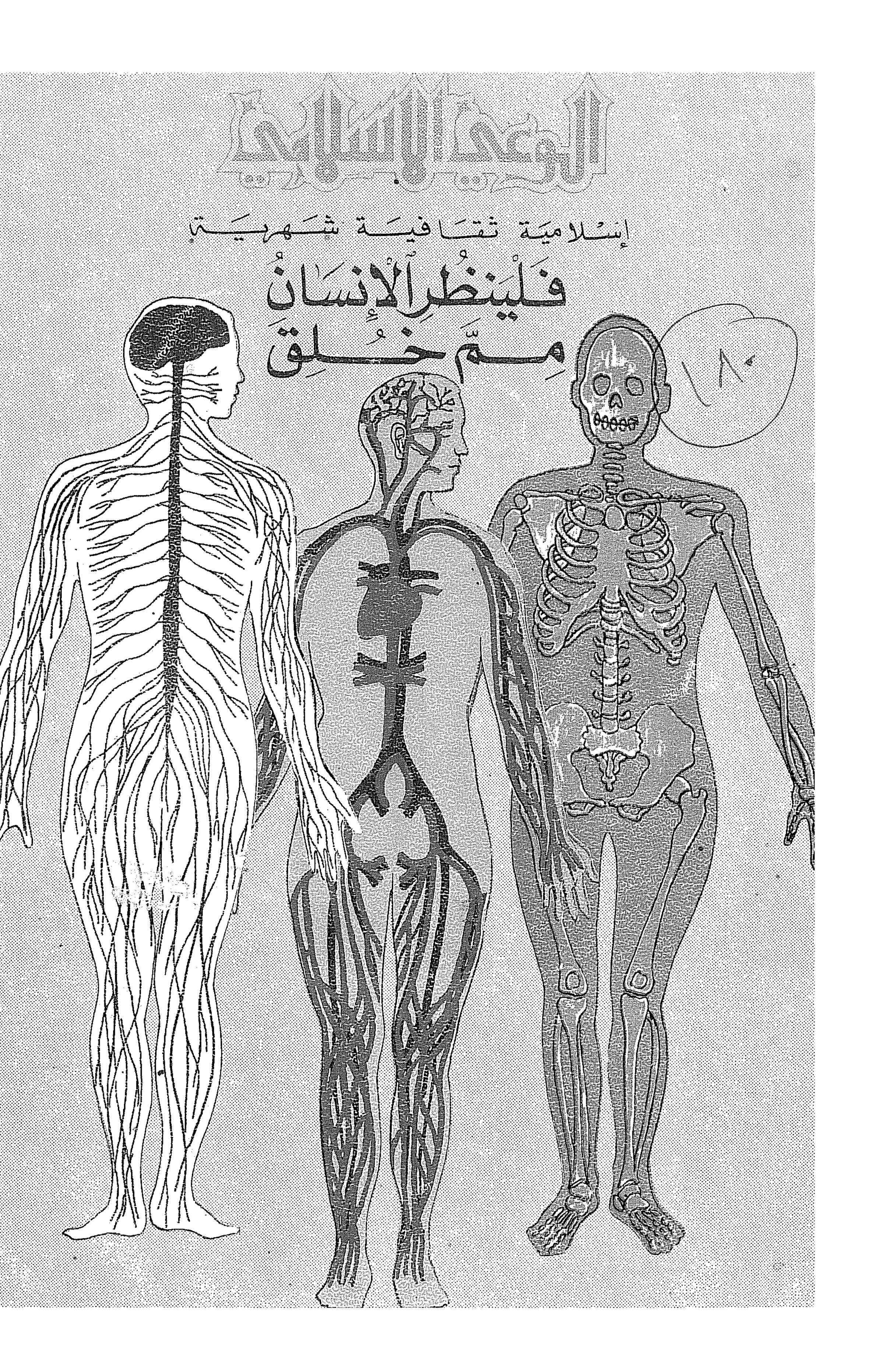

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT.P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٦ ● صفر ١٤٠٢ هـ ● ديسمبر ١٩٨١ م

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

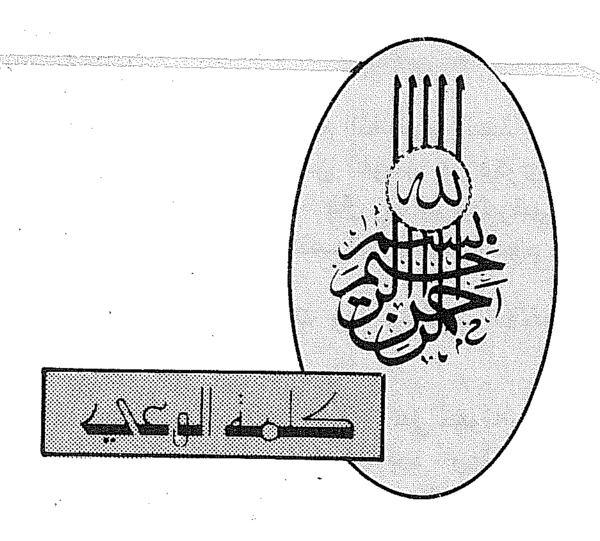
عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٢٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE



المسؤولية في الإسلام

لقد جاء الاسلام بتربية ضمير الانسان وتهذيب روحه ، وارضاء غرائزه في حدود الاعتدال ومراعاة أوامر الله ، وكفل له حصانة النفس والمال والعرض ، وحق الاخاء والمساواة ، وأقام أخلاقه على دعائم من قوة الشخصية وطهارة النفس ، ومنحه ارادة يختار بها أموره العقائدية ليكون ايمانه بالله عن اقتناع ورضا لا عن سيطرة واكراه قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعـروة الوثقى لا انفصـام لها واللـه سميع عليم**) البقرة/٢٥٦ . وقال مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : (**فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر**) الغاشية/٢١و٢٢ . ويختار بها كذلك أموره الشخصية من التملك والتصرف والانتقال والاقامة ونحوها ، وأموره السياسية من ابداء الآراء ، وتقديم النقد البنـاء ، والنصح الخالص .

ثم بين القرآن الكريم أن الاهتداء بهدي الله سبيل الحياة الطيبة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ، فقال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

يعملون) النحل/٩٧ . وان الخروج على تعاليم الله طريق الشقاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة ، فقال تعالى : (**ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .**

وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه/١٢٤ ـ ١٢٧ .

وبهذا عرف الانسان رسالته في الحياة ، وفتح عينه على حقوقه وواجباته ، وأصبح مسؤولا عن عمله .. ثواب استقامته له لا لغيره ، وعقوبة انحرافه عليه لا يؤخذ بها أحد سواه ، قال تعالى : (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) فصلت/٤٦ . (**من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الاسراء/١٥ .

والفرد في هذه الحياة مسؤول عن تزكية نفسه وتطهيرها بالايمان والعمل الصالح قال الله جل شأنه : (**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**) الشمس/٧ ـ ١٠ .. ومسؤول عن أسرته يعمل لاسعادها ، فيعنى بتربية أولاده جسميا وخلقيا وعلميا ، ويقوم بحق والديه والاحسان لقرابته لقوله تعالى : (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى**) النساء/٣٦ .. ومسؤول عن رعاية حقوق غيره ، لأن الحياة مثلها كمثل السفينة وسط الأمواج ، جميع ركابها مسؤولون عن سلامتها ، وليس لأحدهم أن يخرق موضعه في السفينة باسم الحرية الفردية ، فقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه الترمذى .

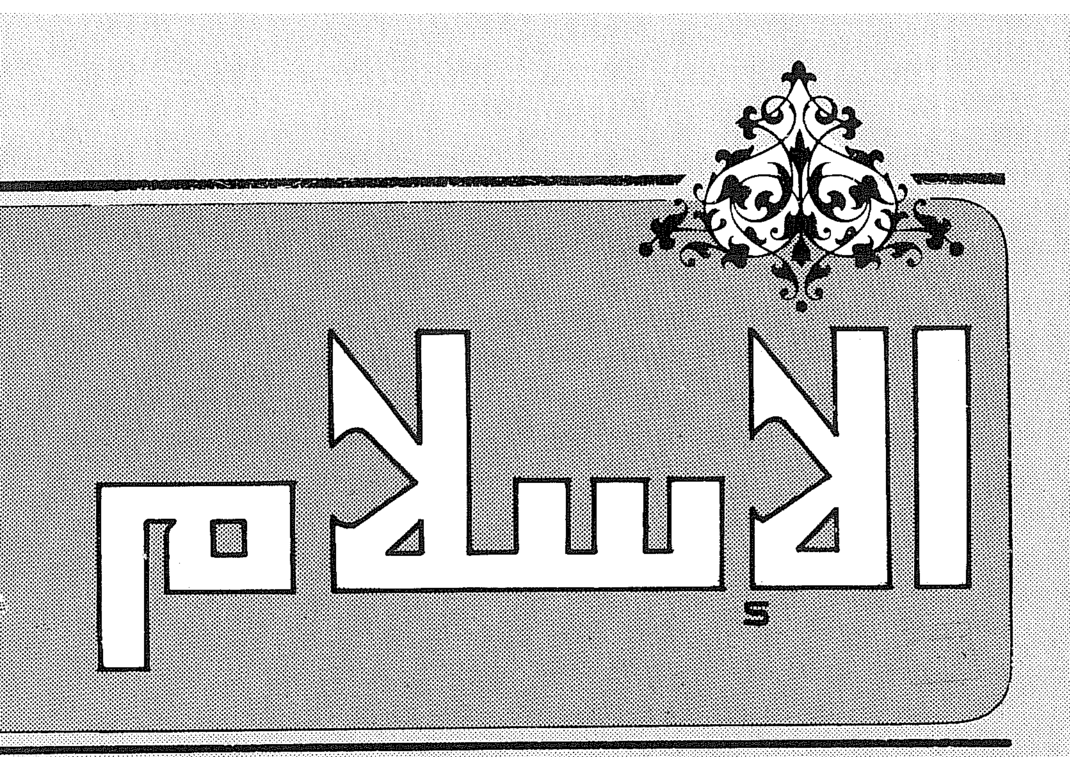
والأمة ممثلة في الدولة مسؤولة عن كفاح أعدائها ورد كيدهم ، والحفاظ على حقوقها ومقدساتها حتى تعيش في كرامة وعزة ، وتكون أهلا لعون الله ونصره قال تعالى : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع**

المحسنين) العنكبوت/ ٦٩ .. ومسؤولة عن حماية الضعفاء فيها تقاتل عند اللزوم لحمايتهم وانقاذهم . قال تعالى : (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء/ ٧٥ .. ومسؤولة عن فقرائها يجب أن تهيىء طريق العمل للقادرين عليه ، وأن تمد يد العون للعاجزين والذين لا يوفى ناتج عملهم بضروراتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » رواه الطبراني . وقال : « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم قال راوي الحديث : فذكر أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل .

والحاكم في الأمة مسؤول عن اقامة العدل في رعيته ، والحفاظ على مقدراتها ، وأن يسهر على مصالحها ، وألا تأخذه في اقامة حدود الله على القريب والبعيد هوادة .. وعلى الرعية حينئذ أن تسمع له وتطيع قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**) النساء/ ٥٩ . وقد أعلن الخليفة الأول أبوبكر رضوان الله عليه دستور الحكم الصالح بقوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو وحده الذي يقضي بالحق وقد وكل بكل انسان كراما كاتبين يسجلون سلوكه من حسنات وسيئات ، فاذا جاء يوم القيامة نشرت الصحف ووقف المرء أمام أعماله لا يستطيع منها فكاكا : (**وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون**) الانفطار/ ١٠ ـ ١٢ .. (**وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) الاسراء/ ١٣و١٤ .. واذ ذاك يتجلى العدل الالهي فتؤخذ كل نفس بما كسبت . (**يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**) النحل/ ١١١ .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري



لآيات القرآن الكريم في التغير وبيان حقائقه والاشارة الى صوره حكمتان ، احداهما عقلية والاخرى روحية أو خلقية . والحكمة العقلية قوامها ان الانسان المسلم ينبغي ان يدرك انه يتغير ، وانه وصل الى ما وصل اليه في بدنه ونفسه وعقله ودينه ودنياه بفضل التغير المستمر ، وان يدرك ان كل ما حوله يتغير سواء أكان من الحيوانات أم النباتات أم النظم أم الظواهر والتيارات الاجتماعية ، وكذلك الافلاك والشموس والكواكب والنجوم والمجرات .. كل تلك المخلوقات تتغير وتتحرك وتأخذ حسب سنة الله في مخلوقاته صورا واشكالا متعددة في اليوم الواحد وعلى مدار الشهور والسنون وفي الآماد والحقب والاجيال والازمان .

والتفات الانسان المسلم بعقله وفكره الى هذه الحقيقة الكبرى ، ينفعه في اكثر من وجه ، فالعلم في ذاته غاية وهدف للانسان المسلم رجلا كان أم امرأة . لأن العلم قوة وزاد لا يدخل في عقل الانسان قبل ان يستقر في نفسه وينتقل الى اسلوب حياته وانماط سلوكه ، ووسائل تعامله مع بني جنسه من افراد المجتمع . واذا كان الناس يتفاوتون في التحصيل العلمي ، فان الله امر الناس بطلب العلم ولم يستثن منهم احدا ، فالله امر المسلمين في شخص نبيهم عليه الصلاة والسلام بقوله (**وقل رب زدني علما**) طه / ١١٤ وفي هذا المقام يضيف القرآن الكريم (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ والوجه الثاني ان يحاول الانسان المسلم الافادة من حقيقة التغير ومتابعة مساره ومعرفة آثاره ، وان يتقي المضار التي تلحقه ، ان هو غفل عنه ، او وقف في طريقه . ودع عنك تحديه وانكاره او تجاهله .

وما دامت كل المخلوقات تتغير فان حياة الانسان الاجتماعية تتغير ايضا



للدكتور ـ زيدان عبد الباقي

باعتباره سيد المخلوقات في شكل ملامح جديدة تطرأ على الظواهر والنظم والتيارات الاجتماعية طبقا لقوانين اجتماعية حددها عالم الاجتماع العربي الاول في العالم كله عبد الرحمن بن خلدون . ومقالنا هذا يتناول موقف الاسلام من الانسان من خلال تغير النظم الاجتماعية .

هذا والتغيير الاجتماعي من الموضوعات التي حظيت باهتمام كثير من علماء الاجتماع . ولعل اول من أولى هذا الموضوع اهتماما كبيرا في العصر الحديث هو « وليم اوجبرن » وتتابعت بعد ذلك دراسات التغير الاجتماعي منذ مطلع القرن العشرين في ظلال ازدهار مناهج البحث الاجتماعي الحديثة . ومن المعروف ان ظاهرة اجتماعية وطبيعية تخضع لها الظواهر الاجتماعية والطبيعيـة على السواء ، وان كنا نجد انه اكثر وضوحا في الحياة الاجتماعية ، واذا كان التغير الاجتماعي من مميزات جميع الثقافات ، فان معدل التغير يختلف باختلاف نوع المجتمع ، ذلك أن التغير في المجتمع البسيط يختلف عنه في المجتمعات التي حققت قدرا كبيرا من النمو الاجتماعي والاقتصادي ، مع ملاحظة ان ثقافة المجتمع البدائي ليست استاتيكية كما يتوهم البعض ، وانما هي ثقافة ديناميكية كما اثبتت ذلك الدراسة العلمية لبعض الشعوب البدائية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان التغير يختلف عن التقدم الاجتماعي ، بمعنى ان جوهر التغير الاجتماعي هو البحث عن المبادىء التـي تحـكم الذبذبـات الاجتماعية . ومن ثم فانه يقوم على التحليل الموضوعي لهـذه الذبذبـات واتجاهاتها .. على حين ان التقدم الاجتماعي لا يخرج عن كونه مدخلا معياريا

قيميا للحكم على الاحداث الاجتماعية ، ومن ثم فان تركيز التقدم الاجتماعي يتجه الى البحث عن مجتمع أفضل بعكس الحال في التغير الاجتماعي الذي يركز اهتمامه على المجتمع القائم ، اي ان التقدم الاجتماعي فكرة فلسفية تبحث فيما ينبغي ان يكون ، بينما التغير الاجتماعي عملية اجتماعية تبحث فيما هو كائن .

وللتغير الاجتماعي نظريات متعددة يمكن تصنيفها في مجموعتين على النحو التالي :

أ ـ النظريات الدورية في التغير الاجتماعي .

ب ـ النظريات الحتمية في التغير الاجتماعي .

وتفاصيل تلك النظريات متاحة في المؤلفات المتخصصة .

هذا وتغير النظم الاجتماعية بمقتضى ما يجد في المجتمع والحياة الاجتماعية من ظروف يكون في بقائها واستمرارها مضار ، وفي تحويرها صالح منشود للناس ، فان الاسلام لا يمنع من حدوثه ، ما دام الغرض الاسمى يحقق المنفعة لسواد الشعب ، بغير تمييز بين الافراد مهما تكن منازلهم او مكاناتهم في المجتمع . وما دام التغير في النظم الاجتماعية يرمي الى درء المفاسد واقرار الطيبات لصالح الانسان .

هذا ولم تعرف البشرية دينا مثل الدين الاسلامي ، دين يزكى الفؤاد ويضيء البصيرة ، ويدعو العقل الى التفكير والتدبر ، والنظر في آيات الله ، والخروج من الدائرة الضيقة المحدودة الى الرحاب الواسعة الفياضة لكي يقف المسلم على آثار قدرة الله تعالى وعلى نعمائه . وهو مع ذلك دين يدعو الى المعرفة الواعية الموصلة للانسان الى غايته التي يرتضيها والى الخلق القويم الذي يريده . ولعل عنايته بالعلم ، انما جاءت بعد ان اكتمل للعقل البشري النضوج وتراكمت في جنباته الابتكارات الحضارية ، وبلغ ذروته واصبح على استعداد لهذا النظر والتفكر .

والطريقة العلمية التي نأخذ بها في هذا المقال ، انه لا يستعصي على البحث والدراسة ان يهتديا الى العصي الغريب ، متى استضاء سيرهما بمصابيح الحياد العلمي والتخلص من الافكار والاوهام السابقة واستخدام مناهج البحث العلمي . وبذلك لن يلبث الغريب المستعصى ان يلين من قيادة فيقرب ويسهل ويصبح له طعم الماء العذب ، الحلو المذاق ، ويجد الابواب مفتوحة امامه الى القلوب ذلك ان المسلم سينتهي بذلك الى ما ينتهي اليه الباحث المدقق اذا اشعل سراج العدل ، حيث تتبدد كل ظلمة ، ويقرب كل بعيد ويتيسر كل صعب ، ويصبح المر حلوا سائغا ، والمجهول واضحا مكشوفا بفضل هذا المنهاج .

وليس أضوأ من مصابيح تكشف للناس بعض ما يشتبه عليهم ، مما يتوهمون انه لا يكتشف ، ولا اعز من طرق علمية تجمع الرأي بعد خلاف يظن ان اشتاته غير قابلة للجمع . وذلك كما يتوهم بعض الناس ويظنون في الشريعة الاسلامية ، وفي الحياة الاجتماعية الظنون ، اذ يخيل الى اوهامهم بادىء ذي بدء ـ انهما امران متباعدان ، ونقيضان متضادان ، لا يمكن ان يجتمعا في « انا » واحد ، او

ان يلتقيا تحت سماء واحدة .

ولم يكن هذا التباين الموهوم بين الشريعة والحياة الاجتماعية الا من جانب الذين لم يفتحوا على الرؤية غير عين واحدة ترى نصف الافق ، ترى المنقول والمؤول والمفسر فحسب ، ويغيب عنها نصفه الآخر . وهو النصف الذي اصطلح عليه الناس تحت اسم « العقل الجمعي » في المجتمع . ولو انفتحت العينان معا لتراءى لها الافق كله في وحدة متصلة مستمرة ، وفي منظر ملتئم مجموع لا يتجاهله كل ذي بصيرة .

الاسلام دين كل انسان وكل زمان وكل مكان :

والاسلام ــ كنظام اجتماعي ــ جاء للناس كافة ، لا لقوم دون قوم ولا لقبيل دون آخر ، ولا لأبيض دون أسود ، ولا لأحمر دون أصفر ، وإنما جاء رسالة شاملة للجميع ، لاقامة العدل بين الناس وتهيئة مختلف الفرص لكل انسان لكي يعيش مع غيره بكرامة وعزة . ومن الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك قول الله تعالى **(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** سورة سبأ/ ٢٨ ، وكذلك قوله تعالى **(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)** سورة الاعراف/ ١٥٨ وهذا ليهتدي به الضال عن سبيل الله ، ويتنبه به الغافل عن طريق الرشاد ، فليس احسن مذهبا ، ولا اقوم سبيلا ممن دعا الى دين الله الحنيف الذي اقامه سبحانه وتعالى على اعدل السبل ليغلب على سائر الاديان ، وليهدي به من يشاء من عباده ، الذين تفرقت بهم الطرق فعاشوا زمنا طويلا في تيه من الضلال والغي ، الى ان جاءتهم دعوة الحق جلت قدرته فتناجوا به في كل صلاة قائلين **(اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم . ولا الضالين)**

ومما يؤكد ايضا ان الاسلام جاء للناس كافة ، لقوله تعالى **(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا)** سورة الفرقان/ ١ ، ٢ وايضا قوله سبحانه وتعالى **(وما هو الا ذكر للعالمين)** سورة القلم/ ٥٢ وكذلك قوله جل شأنه **(ان هو الا ذكر للعالمين)** ص/ ٨٧ وايضا قوله تعالى عز من قائل **(وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين)** سورة يوسف/ ١٠٤ واخيرا وليس آخرا قوله سبحانه وتعالى **(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)** سورة الانبياء/ ١٠٧ وكل تلك الايات البينات تؤكد ان الرسول ــ ممثل الاسلام ــ للناس كافة . والفرقان نذير للعالمين من افريقيين واسيويين واوروبيين وامريكيين واستراليين . ولكل سكان الكواكب والاقمار والمجرات . بل ولكل كائن

حي اينما كان وحيثما حل مهما تتابعت الحقب والاجيال . فالرسول والاسلام كلاهما للانسان ، كما هما للانسانية وكتاب الاسلام يدعو الناس الى التآخي **(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات / ١٠ ويدعوهم الى الحرية والاخاء والمساواة في الحقوق والواجبات ، والى العيش متعاونين متكافلين داعين الى الخير ، مناعين للشر ، مقيمين للحدود معادين للباطل ذلك ان الاسلام دعوة صريحة واضحة لا لبس فيها ، تدعو الى الاخوة بين البشر جميعا . دعوة كريمة وتوجيه كريم من رب كريم عظيم ، ودستور سماوي عظيم لم تصل الى مستواه ـ ولن تصل ـ اكثر الامم رقيا في عصرنا هذا الذي يقولون عنه انه عصر الذرة وعصر الفضاء وسفن الفضاء . وهذه هي الامم الغربية كلها وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية حيث توجد هيئة الامم المتحدة التي اعلنت واصدرت الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، تحدثنا صحافتها عن قصص التفرقة العنصرية الدامية ، تلك القصص التي يندى لها جبين الانسانية وتتألم لها النفوس البشرية .. هذا ابيض له كل الحقوق ، وهذا اسود ليس له اي حق من الحقوق .. حتى في اماكن العبادة التي يجب ان تكون فيها النفوس اكثر صفاء ، وتنحني داخلها الرؤوس من خشية الله ... هناك لا يجلس الابيض بجوار الاسود .. ترى من الذي اوجد التفرقة ونادى بها ، مع ان الله خلق الكل ، واوجد الوجود كله للكل ... الخ ؟

وعلاوة على ذلك فان الاسلام دين الديمقراطية الحقة ، دين يدعو كل مؤمن الى ان يرفع رأسه عاليا وان يعيش عزيز النفس ، كريم الذات ، عالي الهمة بالسلوك الحميد وليس بالتعالي والتفاخر رالانساب والاموال ذلك ان الضعيف قوي بالاسلام ؛ والفقير بالاسلام ـ الاسلام دين السعي والكفاح ـ غني . وكل مسلم بالاسلام عزيز لن يهون ، وله مكانة الانبياء اذا سلك مسلكهم ، وسار على دربهم وتمسك باخلاقهم تأكيدا لقوله تعالى **(ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)** الاحزاب / ٤٠ فهو واحد من البشر مثلنا اختصه الله بالرسالة لتمسكه باخلاق الاسلام ولحكمة علوية كريمة ارسله الله للناس كافة وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين ، اذ ليس وراء رسالته في توجيه الانسانية رسالة ، فهي الرسالة الجامعة المانعة بها يسعدون وبغيرها يشقون ويفسدون .

اذا ، الاسلام رسالة نورانية ، رسالة الحرية والاحرار ، رسالة الحق والعدل والخير والجمال ، رسالة التوحيد والتمجيد لله سبحانه وتعالى . وليس ذلك فحسب ، بل ان الاسلام دين حر ودولة حرة ، وبالرغم من ذلك ، فان رسالة الاسلام لم تفهم ـ بعد النبي عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ـ على وجهها الصحيح ، ولم ينتشر الاسلام كما ينبغي نتيجة نسيان المسلمين للاخوة الدائمة في الخير والشر في مجتمعهم ، كذلك في الغنى والفقر ، في الجهاد والدعة ، في الكفاح واليسر ، في الحرب والسلام ، نسى المسلمون كل هذا وراحوا يقيمون مجتمعات بعيدة عن روح الاسلام الصحيح ، بعد ان سيطرت على

الدول الاسلامية النظم الرومانية التي شهدوها في الشام والنظم الفارسية التي آنسوها في بلاد فارس بعد الفتوح الاولى مباشرة ، مع ان القرآن الكريم يقول (**لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة**) آل عمران/٢٨ وتلك مباطنة لا يقرها الاسلام فقد نزلت هذه الآية الكريمة ــ كما يقول الالوسي ــ في نفر من الانصار ، كانوا يباطنون نفرا من اليهود مثل ابن ابي الحقيق ... وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ايضا . وليس معنى ذلك ان يتمركز المسلمون حول ذاتهم في انطوائية ترفضها الحياة الاجتماعية ، وانما في نهاية الآية الكريمة السابقة دعوة للأخذ من الآخرين والآية تحدد ايضا ماهية هؤلاء الآخرين بأنهم (**الا ان تتقوا منهم تقاة**) وليس ذلك من الموالاة في شيء ــ كما يقول الالوسي ــ بل من السنة المشروعة . واورد عن النبي صلى الله وسلم قوله « ان الله امرني بمداراة الناس ، كما امرني باقامة الفرائض » رواه الديلمي ورمز السيوطي لضعفه .

وظلت تلك التبعية ميراثا تتناقله الدول والدويلات الاسلامية الى زماننا هذا ، تلك النظم التي كانت الاساس التي قام عليها النظام الطبقي الصارخ في سائر المجتمعات الاسلامية . تلك الطبقات التي يرفضها الاسلام لبعدها عن روحه . ولأنها ليست من اصوله ولا من فروعه ، ذلك ان الاسلام دين يدعو الى التقارب في فرص الحياة بين الناس ، كما انه دين المساواة في مستويات الحكم ، فلكل من يظله الاسلام كرامة مساوية لكرامة غيره من الحاكمين والمحكومين ، وله على الدولة حق الحياة بكل الوانها ، روحية كانت أم مادية . ولا ريب في ان اساليب النفاق الطبقي الصارخ الذي ورثته دويلات الاسلام عن الروم والفرس قد عطلت المعنى الاسمى الذي ينشده الاسلام لكل مجتمع انساني ، بلا تفرقة بين عقيدة وعقيدة ، او لون وجنس ، او اي من تلك الفروق التي تنخر في عظام الحضارة الحديثة . وهكذا فان الاسلام ، كما يقول طيب الذكر الامام محمد عبده « محجوب بالمسلمين » وهو قول حق اريد به وجه الحقيقة .

التغير الاجتماعي الذي لا يقره الاسلام :

ابتعد المسلمون على النحو السالف الذكر عن حقيقة دينهم ، وخضعوا نتيجة لعدم اقتباسهم ما يتفق مع الاسلام من النظم الاجتماعية الحديثة ، كما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب عندما دون الديوان واستبدل لقب الخليفة الثاني للمسلمين بلقب « امير المؤمنين » وانما لنظم دخيلة على الاسلام . وكان بعدهم عن حقيقته سببا في ان يبتعدوا عن الحياة ذاتها . فما هي اذن تلك المؤثرات التي احدثت ذلك الصدع الكبير بين الاسلام والمسلمين ؟

لعل السبب يرجع ــ بل من المؤكد انه يرجع ــ الى بعد الاسلام عن المسلمين ، ومن ثمة بعدوا عن الحياة الاجتماعية الاسلامية . فالاسلام يدعو الى التطور

وليس دينا جامدا مغلقا امام ما لا يتعارض معه ، لا سيما اذا كان فيه صالح الانسانية . ولكن رجال الاسلام بعدوا عن روح الاسلام . وبالتالي فلن يستعيدوا مجدهم الا بالنظرة الشاملة والادراك الواعي والفهم العميق لروح تلك الرسالة النورانية ، على انها رسالة انسانية جعلت اصلا من اجل الانسان .

ولكي نفهم رسالة الاسلام فهما عقلانيا يجب علينا ان نرفع ذلك الحجاب الذي اسدلناه بيننا وبين الاسلام وحجبنا به الاسلام عن اعيننا وعن اعين الآخرين في مختلف الامم . الامر الذي يجعلنا مسؤولين امام الله عن حجب الاسلام عن اداء رسالته العالمية الانسانية للناس اجمعين . او كما قال امامنا الراحل محمد عبده رحمه الله « بأن المسلمين حجبوا الاسلام بالاسلام ، فقد تفرقوا احزابا وشيعا ، وذهبوا طرائق متباينة ، والتمس كل فريق منهم وسيلة من الاسلام يؤيد بها الصورة التي زيفها منه ، وعندي ان هذه الظاهرة كانت اكبر اعتداء انزله المسلمون بدينهم فالاسلام في حقيقته رسالة بسيطة ظاهرة المعالم ، بينة الحدود ، بعيدة عن مماحكات المنطق ، وسرحات الباطنية والتصوف ، فاساس الاسلام اله حق ورسول ادى رسالة ، وانسان اديت اليه . والانسان في الاسلام هو المحور الذي تدور حوله رسالة الاسلام وتعاليمه العليا ، وكانت الكارثة الكبرى التي حجبت الاسلام فعلا ، هي ان المسلمين نسوا الانسان ، نسوا الجوهر الذي نزلت من اجله الرسالة النورانية » .

وخلاصة ذلك ان الرسالة الاسلامية وسيلة والانسان هو الغاية . ولو ان المسؤولين عن الدين الاسلامي قد استمسكوا بجوهر الوسيلة ، لما استطاعوا ان يطرحوا الغاية . ولكنهم بجهالة – جمدوا الوسيلة وفرقوها حسب اهوائهم ، وادخلوا عليها ما ليس فيها من بدع خضوعا منهم لمنطق المصلحة الخاصة وصبغوها بالباطنية حينا وبالتصوف حينا آخر ، وبالاساطير والاباطيل احيانا كثيرة ، انتجاعا لسيطرة الطبقات المستعلية وتخويفا للطبقات المستدنية حتى تستكين وتضعف وتذل ، بان يلقى في روع افرادها ان استعلاء الاعلين ، واستدناء الادنين ، انما هو من صنع القدر استنادا الى قول الله تعالى **(وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)** الانعام/ ١٦٥ وقوله تعالى **(اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الزخرف/ ٣٢ ونسوا بذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس ، ان ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ولا لأحمر على اسود ، ولا لأسود على احمر الا بالتقوى » رواه احمد وهذا يتفق مع قوله تعالى **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** الحجرات/ ١٣ وذلك للقضاء على اجحاف النظام الطبقي الذي كان سائدا قبل

الاسلام . ومن ثم فان ما ظنوه من صنع القدر ، ليس من القدر في شيء ، وانما هو من صنع فئات اتيح لها ان تسيطر ، فأوسعت سواد الشعب خفا وهضما . وفي ثنايا هذه الانشطارات المؤسية التي لا تمت لروح الاسلام بأية صلة ، نسيت الغاية ، اي نسى الانسان الذي جعل الاسلام من اجله . وبذلك وهنت القوة الروحية التي يضفيها الاسلام على المسلمين . ومن هنا تقهقر الاسلام ، ولم يكن تقهقره نتيجة لفقدان القوة المادية ، والسيادة السياسية ، ولا لنقص فيهما ، ذلك ان الامم ــ كما يقول ابن خلدون ــ لا تموت في العادة ، ولكن يقضى عليها بان تنحدر الى مستوى الحياة الهينة اللينة عندما تنتقل من مرحلة البداوة ال مرحلة الملك ثم الى مرحلة الهرم والشيخوخة ، وهذا ما اتفق للاسلام عندما توقفت جهوده المبدعة بتخلف اتباعه وكذلك عندما اضيفت كثير من المبالغات في الصلاح والفتوى وفي الاحتقار للآخرين . وعندما خفت ذلك النور الداخلي في المسلمين ، حتى خسر ايمانهم قوة صفائه .

خفت هذا النور عندما استسلم المسلمون لدعاوي الاستعمار القائمة على الاسفاف والتجني والتي حمل لواءها الفيلسوف « ارنست رينان » الذي اتهم الاسلام بمناهضة العلم والفلسفة وكل ما هو مجال للعقل ، ولقد بالغ في دعواه حتى زعم ان العقلية السامية بصفة عامة ــ وكان يعني بذلك العقلية العربية ــ ليست بعقلية علمية ، ولا تصلح باستعدادها للبحث العلمي . وانما هي عقلية تتجلى براعتها في الحكم الرمزية والكلمات الغامضة المصبوبة في قالب الاحاجي المصنوعة في شكل الغاز ، وعلى الرغم من انها دعوى ظاهرة البهتان ، بل انها دعوى ترجع ــ في الواقع ــ الى العقلية العنصرية حيث تعتمد على حيثيات غير علمية ، اذ لا يوجد في العلم عقلية علمية واخرى غير علمية . فالعرب الذين يصف عقولهم بانها غير علمية ، هم الذين ينحدرون من سلالة امة عاشت تسعة قرون من الزمان ، وهي مركز القوة في العالم ، وقطب الحياة لهذه الدنيا ، وانهم سلالة آباء امجاد طوقوا عنق اوروبا بفضل المعلم على التلميذ وكان لهم في هذه الحضارة العربية الاوروبية عقل وفكر وعلم ، اخذه عنهم الاوروبيون وجعلوه اساسا رفعوا فوقه البنيان ، وما زالت آثاره ماثلة في حياتهم . فاذا كنا نأخذ اليوم عن اوروبا علما وفكرا ، فانه اخذ مسبوق بالعطاء ، وسداد لدين قديم اقتضى حق الوفاء ــ واذا كانت الامة العربية قد اغفت فترة من الزمن حتى سلبها الغرب كل ما لها من مقومات ومقدرات ، فهكذا سنن الاجتماع ، تتداول الامم صعودا وهبوطا ، يقظة واغفاء .

وبالرغم من ان السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله قد دفع دعوى « رينان » ببطلانها على مرأى ومسمع من علماء السربون ، وفي مواجهته في باريس ، وبالرغم من ان الامم الحية مثل الامة العربية هي التي تستيقظ من غفوتها فتكون اقدر واقوى على صنع الحياة وما تفرضه مطالب الحياة ، فقد جازت دعوى « رينان » على افهام بعض العرب والمسلمين بحكم التخاذل الذي اصابهم في عهود الاستعمار

والتسلط فكانوا يرددون هذه الدعوى الباطلة ويؤكدونها على قومهم واهلهم من العرب والمسلمين في غير وعي وغير ادراك .

المسلمون قادة العالم :

لقد قاد المسلمون العالم بالاسلام في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني على مدى الفي عام على الاقل قبل اليونان ، ثم في القرون الوسطى طوال اربعة قرون تقريبا ، وليس ثمة ما يمنع شعوب الدول العربية من ان تقود العالم مرة ثانية في المستقبل القريب او البعيد ، بشرط ان ينهضوا من كبوتهم ويعودوا الى الأخذ بروح الاسلام وليس بحرفيته ، ويرفضوا ما انتحلوه من الأمم الأخرى ، وخاصة الرومان والفرس من نظم الحكم الطبقي .. تلك النظم التي وسعت من الفروق الطبقية ، حتى انتهى الامر باهل الطبقة العليا ان يعملوا على السيطرة على الطبقـة الدنيا ، وبأهل الطبقة الادنى ان يستنيموا للقدر الذي اوحى اليهم بانه من صنع الله وما كان الله بظلام للعبيد !!!

الاسلام دين الفطرة :

والفطرة هنا ليست الفطرة القائمة على التوحش ، عندما عاش الانسان في حالة الطبيعة جريا لكل انسان ضد كل إنسان كما يرى « هوبز » وليست حرية مطلقة حيث يتصرف الانسان على اساس عقلي كما يرى « جون لوك » وانما الفطرة في الاسلام تقوم على ما اثبتناه في صدر هذا المقال من ان الاسلام رسالة عامة للناس اجمعين ، بلا تفريق بينهم من حيث الجنس او اللون او الوراثات الاجتماعية ، رسالة لا تفضيل فيها بين الناس ، هي نذير للعالمين ، وذكر للناس اجمعين ورحمة للبشر رسالة ترسم لهم طريق الدنيا والآخرة ، هي شريعة للتنظيم المدني ، وهداية للتعايش الاجتماعي ، وحدود مرسومة لحياة اجتماعية راقية .

ان الاسلام رسالة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فهي اذن رسالة جامعة ، لأن فطرة البشر واحدة ومن ثم تكون رسالة الفطرة ، رسالة لمن تجمع بينهم فطرة واحدة . وهذه المسلمة التي تستقر على قمة المسلمات او البدهيات فسرت عدة تفسيرات ، جنح اليها رجال الدين من المحافظين ، اعتقدوا خطأ ان تفسيرها ينبغي ان يكون رهنا على قول من قال من القدماء « كل جديد بدعة ، وكل بدعة في النار » وهو قول مستخرج من حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام ونصه « فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه غير ان معنى البدعة او الاحدوثة يختلف عن الجديد في العلم ، ولكنهم اخذوا اللفظ على

اطلاقة ، ورفضوا كل جديد حتى كان قد تم التأكد من صدقه وثباته بمنهاج علمي دقيق . ولذلك فانهم بالرغم من ذلك قالوا : ان المعنى المستفاد من عبارة « الاسلام دين الفطرة » انما يرجع الى اساس واحد ، وهو ان التفسيرات والنقول القديمة هي التي تعني معنى الفطرة ، وان الفطرة لاولاية لها على التفسيرات والنقول . وهذا التفسير الجامد لا يتفق ومعنى الفطرة ، ذلك ان الفطرة تتطور وتتقدم وتتجدد فاما ان نساير الفطرة ، وإما ان نتخلف عن ملاحقة التطور الفطري . واذن فخليقة الفطرة مناقضة تماما لذلك التفسير الموغل في الجمود ، ومن هنا فاننا اذا اردنا مزيدا من البيان ، فانه يجب علينا ان نفسر مضمون « الفطرة » من وجهة نظر الاسلام : فالفطرة ــ كما نراها ــ من منظور اجتماعي ، هي الحياة الاجتماعية بكل سماتها الظاهرة والباطنة ، ومن مقتضيات الحياة الاجتماعية التطور والتغير فهي ديناميكية بفطرتها بل ان من خصياتها الثابتة ان ترقى وان تتقدم وان تتجدد ، فكانما يقول ان الاسلام دين الحياة ، والحياة تتطور ، وبالتالي يجب علينا كمسلمين ان نساير الحياة ونتطور معها طبيعيا وعقليا واجتماعيا ، والا تطورت الحياة الاجتماعية وتركتنا متخلفين عن ركب الحضارة ، ومن ثم نصبح حضيضا وذنبا في دنيا الناس ! ولكي لا نكون ذنبا في دنيا الناس فمن الضروري ان نأخذ بالكليات الاسلامية فما هي تلك الكليات ؟ .

الكليات الاسلامية :

تتصل الكليات بمفهوم الفطرة ، فما دمنا قد ايقنا ان « الفطرة » اصطلاح غير ذي حدود تتفق وصالح المجتمع في جميع الاحوال ، ففي الفطرة : الذكاء والعقل والفضيلة ، كما ان فيها الشهوة والافتعال والرذيلة . ومن اجل ذلك شاءت حكمة الله في الرسالة الاسلامية ان يكون للاسلام « كليات » تحكم الفطرة في حدود تتسع لما يمكن ان يبلغه الانسان من تغير في حياته الاجتماعية ، ولهذا كانت هذه الكليات على ما ادرك منها ثابتة لا تتزعزع ولا تتحول ولا تتحور ، ولا ينتابها التخلف والتناقض ، كليات تتجه جملة وتفصيلا الى خير الانسان وبالتالي خير الانسانية ، ... هذا ومن اهم امثلة هذه الكليات ما يلي :

أ ــ ان اول هذه الكليات ان الاسلام قد جعل من اجل الانسان ولم يجعل الانسان من اجل الاسلام . ومن ثم فكل اصلاح اجتماعي او تشريعي تقوم الدلالة المادية على انه من صالح الانسان يكون بذلك من روح الاسلام ذلك ان الاسلام لا يتصادم مع حقائق الحياة ، فرسالته انسانية تقدمية ترفع الظلم وتطلب المصنع والطائرة والاقمار والسفن الفضائية ، وتقيم العمران ، وتدفع للعمل تحت الشمس ، وتطالبنا بالمزيد والمضاعفة للانتاج ، وتؤكد حق الانسان المسلم في الحياة ، وحقه في الحرية ، فان الله تبارك وتعالى وضع الفرصة المتكافئة امام

البشر اساسا للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة .

والدين الاسلامي لكي يمنح الانسان حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، وضع مبادىء ونظما اقتصادية للعمل والتملك والانفاق ، وقد عالجت هذه النظم مشكلة الفقر في المجتمع وقربت الفوارق وحققت الاكتفاء الذاتي ، وادى تطبيقها الى تحقيق التعاون والرخاء ، والاخاء بين افراد المجتمع منذ اربعة عشر قرنا من الزمان ، ونحن لو طبقناها لسمت بنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا واخلاقيا ، كما سمت بآبائنا من قبل ، ولاعفتنا مما ينادى به البعض من نظم اقتصادية وسياسية مستوردة تتنافى مع مبادئنا وعقيدتنا ، وينعدم في دنياها الخوف من الله ، وينعدم بانعدام ذلك الصبر والامن والعدالة والرحمة وحرية التفكير والتعبير ، وتجعل التملك للدولة وتحول بين الفرد والتملك حتى يعمل ويأكل كالحيوان ، ويقضي على نظام المواريث ، ويصب الناس بمقتضى ذلك في قوالب متساوية ومتشابهة مع ان الله لم يخلقهم متساوين في اي شيء جسماني او عقلي ، اتفاقا مع قوله تعالى (**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣٢ وكذلك قوله تعالى (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق**) النحل/ ٧١ .

ان الاسلام الذي يزعم البعض انه لزمن مضى وانقضى هو دين الحياة .. دين الحرية ... حرية الاعتقاد (**لا اكراه في الدين**) البقرة/ ٢٥٦ حرية العمل المشروع (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**) التوبة/ ١٠٥ حرية الرأي والقول والاجتماع لان كبت الاراء والزج باصحاب الرأي في السجون ، انما هو ظلم يتنافى مع اخلاقيات الاسلام لقول الله تعالى (**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون**) البقرة/ ٤٢ ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره » رواه احمد ومسلم ومعنى ذلك ان حرية الرأي مكفولة في ظلال المبادىء الاسلامية . فذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يتقبل حرية الكلمة من رجل قال له : اتق الله يا عمر . وعندما قال احد الحاضرين : اتقول ذلك لأمير المؤمنين ؟ قال عمر : دعه فليقلها ، نعم ما قال ، فلا خير فيكم ان لم تقولوها ، ولا خير فينا ان لم نسمعها ونتقبلها .

ب — وثاني هذه الكليات : ان الاسلام « روح » وليس حروفا مرصوصة ، وقبل ان يكون نقولا او تفسيرات او تأويلات ، وروح الاسلام انه هداية للبشر في معاشهم اولا ، ثم هداية لهم في اخراهم من بعد ذلك . فمراعاة مصالح الناس في امور معاشهم ومعاملاتهم من الامور الاساسية في الدين الاسلامي . ولذا كان للعرف وللعادات وللتقاليد اعتبار في ابتناء الاحكام ولما كان المسلمون في كل فجاج الارض مخاطبين بالشريعة ، اصولها وفروعها ، وان يطبقوا احكامها على كل تصرفاتهم والتزاماتهم ، لزم ان يكون التشريع قد راعى مصالحهم على اختلاف اقاليمهم ومتأثرا بعاداتهم وباعرافهم وبتقاليدهم .

والمصلحة يراد بها في لسان الشريعة : جلب المنفعة ودفع المضرة في حدود المحافظة على الشريعة ، والذي يتتبع الاحكام الاسلامية يجد انها موضوعة لصالح الناس ، كما دل على ذلك القرآن الكريم في قوله (**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ فاساس الرحمة جلب المنفعة ودفع المضرة وهي دائرة حول ذلك لا تتعداه ، ولذا فان التشريع الاسلامي لوحظ في احكامه اليسر والبساطة ، كي لا يقع الناس في ضيق وحرج ومشقة لقوله تعالى (**وما جعل عليكم في الدين من حرج**) الحج/٧٨ .

جـ ـ وثالث هذه الكليات ان الدنيويات المباحة المطابقة لروح الاسلام سابقة في الافضلية على الاخرويات ، فالدنيا سابقة على الآخرة ، والحياة سابقة على الموت ، فالرسالة المحمدية كانت اتماما للنعمة لانها تضمن لهم من الاسباب المادية والروحية ، ما يحققون به التعادل في ذواتهم بين متطلبات الجسم ومقتضيات حاجاتهم المادية في عالمهم الواقعي وبين متطلبات الروح والعقل من تحصيل المعارف الصحيحة والمعتقدات السليمة والتمسك بالقيم الانسانية والمبادىء الاخلاقية العالية » فاذا تحقق هذا التعادل والتوازن ولم يتغلب في ذات الانسان احد الجانبين على الآخر ، حصلوا على السعادة في واقع ذواتهم وفي واقع حياتهم المادية ، وفي الشعور بحياة روحية تخلع عليهم من البهجة والاطمئنان ما يجعلهم دائما أبدا في نعيم مقيم وخير عميم ، وفي ظل هذا النعيم المقيم والخير العميم نجد الدنيا سابقة على الاخرة .

ومما يؤكد ذلك ان الله سخر للانسان كل ما في الارض ، اذ يقول سبحانه وتعالى في آيات وسور متعددة من القرآن الكريم (**وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار**) ابراهيم/ ٣٢ ويقول ايضا (**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**) ابراهيم /٣٣ وكذلك قوله تعالى جل شأنه (**وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا**) النحل/١٤ ويقول جل شأنه (**الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض**) لقمان/٢٠ .

واذا كان الله سبحانه وتعالى بكل ما سخره للانسان من الآيات السابقات ، جعله سيدا لهذه الكواكب والاقمار والنجوم ، ودواب الارض وهوامها ، وما يلج فيها وما يخرج منها ، وما يعرج الى السماء وما ينزل منها ، فالسبيل الوحيد لهذا التسخير ، هو اولا : التأمل في هذا الكون ومعرفة السنن التي أودعها الله فيه والاهتداء الى مفاتيح هذا الكون ومقاليده لادارتها ، فاذا هو طائع يمنح الانسان العالم المفكر المتدبر خيراته ، كأنه حيوان اليف يتبع سيده ويلبي إشارته ولا يعصي ما يؤمر به .

فاذا أحسن التأمل وأطال النظر في خفايا هذه الكائنات وخباياها ، وأسلوب تطورها وتحللها وارتقائها ، وطريقة غدوها ورواحها ، واتصال بعضها ببعض ، وتأثير بعضها في بعض ، زاد سلطانه عليها ونفعه منها . وزاد قربي لربه الذي وعد عباده بالزيادة في كل شيء ، في قوله تبارك وتعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » وقد

قلنا من قبل ، ان خير وسيلة لشكر الله هي : التفكير في نعمه ، أي في أكوانه وبدائع مخلوقاته ، والسعي الحثيث للاهتداء الى نواميسه والوقوف على قوانينه .

اذن ما دامت زيادة معرفة الانسان لمخلوقات الله ، تؤدي الى زيادة سلطانه عليها بمقدار هذه الزيادة في المعرفة ، وما دام كل ما على الأرض ، وما في باطنها وما حولها في كل أرجاء الكون مسخرا للانسان ، وما دام الدين نعمة من تلك النعم ، فان الدين يصبح مسخراً للانسان وليس العكس .

د ـ ورابع هذه الكليات : أن الرسالة الاسلامية هي رسالة الحرية والاستقلال والاخوة المطلقة ، في حدود الشرائع والقوانين ، تطبيقا لقوله تعالى : **(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)** سورة البقرة/ آية ٢٥٦ وقوله تعالى : **(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)** سورة الكهف/ آية ٢٩ .

والرسالة التى تبيح الحرية في العقيدة على هذا النحو ، تفرضها على المسلمين وغير المسلمين فرضا في المعايشة وفي الحكم وفي المعاملات ، ذلك ان الحرية ميراث للناس أجمعين ، وليست وقفا على دين أو شريعة أو جنس أو لون ، ذلك لأن الاسلام يؤكد بهذه الآية أن الانسان حر التصرف حسب ارادته ، وترتيبا على ذلك ، فقد منع المسلمون من فرض ارادتهم على غيرهم ، بيد أن هذا لا يعني أن الاسلام ليس دين تبليغ ، فهو دين يستهدف الحق ، وهذا الحق يجب أن يظهر في الفكرة وفي الكلمة وفي العمل . وهذه لا تكمل الا اذا وصلت الى كل نفس بشرية .

ومع أن القرآن الكريم يصف المسلمين بهذه الآية : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)** سورة آل عمران آية/ ١١٠ ، الا أنه يحرم عليهم استخدام القوة أو اللجوء الى الاكراه ، وحتى نبي الاسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فانه لم يستثن من هذه القاعدة ، اذ خاطبه ربه قائلا **(فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور)** سورة الشورى/ آية ٤٨ ويقول سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** سورة يونس/ آية ٩٩ .

هـ ـ وخامس هذه الكليات أن الاسلام رسالة مرنة ، فيها طواعية لحاجات البشر في دنياهم ، ثم ارشاد لهم في أخراهم ، وفيها أساس ثابت للنشوء والارتقاء والتطور ، ومسايرة لمقتضى الحال ، ليظل الاسلام والآخذون به وبرسالته بشرا أحرارا بالمعنى المفهوم من هذه الكليات التى سقنا القول فيها : ذلك أن الاسلام

يحدد الأهداف العليا ، ويضع القواعد الأساسية ، ويتناول المسائل الكلية .. ويدع الجزئيات للحوادث الاجتماعية وتطور الحياة والحضارة الدينية . فالاسلام دين كل عصر ، ودين كل مكان ، وقوانينه التى تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية جامعة شاملة ، قابلة للتفسير تفسيرا يتفق وحالة أي مجتمع ، فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان في أحسن صورة ، وكرمه بالعقل واللسان الناطق ، وختم رسله بخاتم الأنبياء ، الذي قدم بمبادىء تسمو بالغرائز وتوجهها الى الخير ، وتزرع في القلوب المحبة والاخاء ، وزوده بنزعة التشارك في السراء والضراء ، مع منح المرء حرية التفكير والتعبير والعمل المشروع ، فيعمل العمل الصالح الذي يملأ قلبه بالراحة والطمأنينة ويسعده في دنياه ، ويجعله يظفر بالنعيم في أخراه ، وصدق قول الله سبحانه وتعالى : **(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** الرعد/٢٨ ويقول عز من قائل : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)** المؤمنون/ ١١٥ ، ١١٦ ، ذلك أن الانسان قد كرمه الله بأن خلقه في أحسن صورة وأحسن تقويم ــ كما قدمنا ــ ولم يك أصله حيوانا من الحيوانات ذات السلسلة الفقرية العليا (قردا) تحول بالارتقاء الى انسان ، كما تزعم نظرية « داروين » التى يتشيع لها علماء « الأنثربولوجيا » في مصر وفي العالم ، والمبهورون بكل ما هو مستورد ، حتى وان كان هذا المستورد يحقر الانسان ويزري من شأنه وان كانت لا تقره تعاليم السماء وشريعة الخلاق العليم القائل **(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون)** كما أن الله سبحانه وتعالى يقول **(ولقد كرمنا بني آدم)** ، ويقول سبحانه وتعالى **(لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** ويقول **(وصوركم فأحسن صوركم)** ويقول جل شأنه **(في أي صورة ما شاء ركبك)** ، ولا شك أن التكريم وحسن الصورة مما يتنافى مع صورة القرد وأنماط سلوكه وأساليب حياته !!

وكذلك يخبرنا الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، وهو أقدم المراجع الدقيقة على الاطلاق ، بأن خلق الانسان منذ البداية كان نوعا مستقلا وليس متطورا عن نوع آخر من أنواع الحيوانات ــ كما زعم « داروين » ــ حيث يقول سبحانه وتعالى عن خلق آدم **(واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** ويقول عز من قائل **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)** ويقول جل شأنه أيضا **(الذي أحسن كل شيء خلقه)** .

ذلك أن أصل النشأة مسألة غيبية لا يصل اليها الانسان على أساس مناهج البحث العلمي الحديثة ، أي تلك التى تقوم على أساس الحواس والملاحظة والتجربة ، أي بالعقل ، لأن الله خلق الانسان وهو العالم بأصل النشأة ومبدأ الخلقة ، وانه سبحانه وتعالى نفي عن الانسان معرفة ذلك بقوله تعالى **(ما**

أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) وذلك بالرغم من أنه ـ كما هو معروف ـ أن الانسان خلق كما خلق سائر الحيوان ، ومنها القرود من تراب وماء مهين . ولكن الله ميز الانسان على سائر الحيوان بالنطق والعقل المفكر ، وهو بهذا العقل المفكر أصبح مكلفا بقيم وبمباديء وبأخلاقيات ، وأصبح مسئولا عما يفعل ـ بعكس الحيوانات ـ لقوله تعالى (**انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان**) وقوله سبحانه وتعالى أيضا (**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة اذا تمنى**) النجم وقول الله جل شأنه (**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير**) سورة النور/ آية ٤٥ .

وهذا الانسان اذا لم يعمل بما أنزل الله ، فان الله قادر على أن يفعل به كما فعل ببني اسرائيل ، اذ جعلهم كالقردة في الذلة والمهانة ، اذ قال سبحانه وتعالى في شأن اليهود (**فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**) وقال سبحانه وتعالى ايضا (**وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**) .. ترى هل هؤلاء القردة هم ـ أو بالأحرى ـ أجدادهم الذين يقصدهم « دارون » بنظريته القردية !!؟

و ـ وسادس هذه الكليات : أن الاسلام رسالة بسيطة ومفهومة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، لا كهانة فيها ولا رهبانية ، فالاسلام دين أركانه الخمسة بسيطة ومفهومة ، يستوي في فهمها وادراكها أكبر الفلاسفة وأجهل الصعاليك ، لا سيما وأن من أسمى مميزات الشريعة الاسلامية ، أن تعاليمها ، ونصوصها تجمع بين البساطة والعمق ، وهي تمشي مع تطور حياة المجتمع ، وهي تستطيع ان تحكم معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم ، مهما تطورت وتنوعت هذه المعاملات والعلاقات .

ز ـ وسابع هذه الكليات : أن الاسلام رسالة علم وفكر ، رسالة تفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وتجعل الولاية للذين يعلمون على الذين لا يعلمون ، رسالة المفكرين الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، أي يتفكرون في عالمي الغيب والشهادة ، فلقد كانت أولى كلمات الوحي التى صافحت أذني النبي عليه الصلاة والسلام : دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الايمان بالله العليم الحكيم ، قال تعالى (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) العلق/ ١ ـ ٥ ، ان الاسلام يقوم على العلم ويحض عليه ، ويرفع من قدر أهله ، وعن طريقه تتحقق النهضة الانسانية الشاملة ، فتنقشع ظلمات الجهل ، ويأخذ النور طريقه الى الناس ، فتقوم بينهم دعائم الحق والكمال ، أي أنه كانت أولى كلمات الوحي دعوة الى العلم تكسو الدين الجديد الذي يقوم في أساسه باسم

الله ، كانت (**اقرأ**) دعوة آمرة الى طلب العلم والثقافة والفكر والبحث المستفيض في السماء والأرض وفي الجبال وفي البحار ، وفي كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت ، انها (**اقرأ**) باطلاق ، انها (اقرأ) دون تحديد ولا تقييد ، اللهم الا أن تكون باسم الله ، ويحث الاسلام على طلب العلم ، فيقول سبحانه وتعالى (**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون**) . ومن ثم فالمسلم مطالب بأن يتفقه في أمور دينه ، وأن يأخذ بحظ وافر من العلم والمعرفة ، وفي سبيل ذلك : عليه ان ينفر في سبيل تلقي العلم وتحمل مشاقه ، وأن يرحل من أجله مستعذبا كل ألم ، مقبلا عليه بنفس راضية مطمئنة .

وطلب العلم في الاسلام ليس من أجل العلم فحسب ، وانما من أجل فائدة البشرية ، ولقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام مثلا يؤكد : أن طلب العلم ينبغي أن يعود على البشرية بالخير فقال (مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم ، كمثل الغيث أصاب أرضا : فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت طائفة منها طائفة اخرى .. انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . وذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به ، مثل ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه احمد والشيخان .

وخلاصة ذلك أن البشرية لم تعرف دينا ، مثل دين الاسلام ، دين يزكي الفؤاد ويضيء البصيرة ويدعو العقل الى التفكر والتدبر والنظر في آيات الله تعالى ، والخروج من الدائرة الضيقة الى الرحاب الواسعة الموصلة للانسان الى غايته التى تستهدفها ، والى الخلق القويم الذي يريده ، ولعل عنايته بالعلم انما جاءت بعد أن اكتمل عقل الانسان ، وبلغ ذروته ، وأصبح على استعداد للدراسة والبحث ، ولهذا فاننا نجد القرآن الكريم قد عاب ، على هؤلاء المشركين الذين قالوا (**انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون**) الزخرف/٢٣ ، عاب عليهم تمسكهم بعقيدة أبائهم وعدم افساحهم للعقل طريقا في دنيا حياتهم ، كي يقفوا على آثار رحمة الله تعالى ونعمائه ، كما عاب عليهم تمسكهم بالقديم ، وعدم طموحهم الى الجديد ، بل توعد هؤلاء الذين لم يستخدموا حواسهم استخداما يوصلهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، قال تعالى (**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) ، ولعلنا نلمس انكار القرآن الكريم على هؤلاء الناس عدم استخدامهم لعقولهم في قوله تعالى (**أولئك كالأنعام بل هم أضل ..**) ولقد بلغ من شدة احتفاء القرآن الكريم بالعقل أن ذكره نيفا وأربعين مرة ، لأنه مدار التكليف اذا اكتمل ، وبدونه تسقط التكاليف ، ولهذا يقول رسولنا الكريم « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى

يستيقظ ، وعن المبتلي حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر » احمد وابو داود والنسائي ، وكذلك ذكر العلم ثمانمائة وثمانين مرة ، ومن ثم فالرسالة المحمدية رسالة لحرية الفكر ، رسالة تبيح الشك ، لا لمجرد الشك ، ولكن ليكون الوسيلة الى بلوغ الحقيقة على أية صورة كانت ، ذلك أن دعوة الاسلام دعوة علمية ، أساسها التفكير والعقل .

ولقد كان للنظرة الاسلامية الى الحياة والكون أثرها العميق الفعال في تاريخ الحضارة الانسانية واتجاه سيرها في جميع ميادين الحياة ، وعلى يد العرب والمسلمين ، وعلى الأصح : انتقلت العلوم الطبيعية بالتفكير العربي الاسلامي من المرحلة النظرية عند اليونان الى المرحلة التجريبية ، فانتقلت الكيمياء والفيزياء والفلك الى مرحلة التجريب واكتشاف القوانين ، بل اننا لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان العلم هو الأساس الاعتقادي في الاسلام ، فالعقيدة الاسلامية لا تتحصل للانسان بالتقليد والتلقي ، بل بالتفكير والنظر والفهم ، وكثيرا ما ندد الاسلام بأهل التقليد والتلقي الجامد ، ودعا الى التفكير والنظر والفهم . وهذا هو الأساس العلمي لكل اتجاه من اتجاهات الحياة .

ولقد ذهب بعض الناس ـ خطأ ـ الى أن العلم الذي يدعو اليه الاسلام هو العلم الديني وحده ، بينما الاسلام لم يقتصر على جانبه الديني ، بل تناول العلم بأوسع معانيه . فدعا الى التفكير في خلق السموات والأرض وحض الناس على أن يسيروا في الأرض ليروا كيف بدأ الله الخلق ، واستثار المشاعر والألباب حين دعا الناس أن ينظروا (**الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت**) بل ان الاسلام جعل النظر والتفكير والدراسة الواعية لهذا الكون مدخلا الى الايمان بالله ، وسبيلا الى ادراك قدرته وعظمته ، فما من ذرة في هذا الكون ، ولا ما هو أدنى ولا أكبر منها ، الا وتشهد بوجوده وتسبح بحمده وتدل عليه ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، فكما وضح القرآن الكريم منزلة العلم ، فقد وضح ماهيته وأشكاله ، فهو لم يقصره على علوم الشريعة وحدها . وانما جعله عاما ، ولكن بشرط ألا يخرج عن دائرة « اسم الله » الذي أشارت اليه الآية الكريمة (**اقرأ باسم ربك**) .

وعلى ذلك فلسنا مطالبين ، أو في حاجة الى أن نسوق مزيدا من الأدلة والبراهين أكثر من ذلك على اهتمام الاسلام بالعلم وتكريمه للعلماء ، فلقد جاءت آيات القرآن الكريم تحث على العلم والتعلم وتوضح مكانته في مواضع كثيرة .. فالله سبحانه وتعالى يذكر أولى العلم بعد الملائكة ، تنويها بشرفهم وفضلهم فيقول (**شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**) ، وكذلك بين رفعة العلماء بقوله تعالى (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) كما بين انهم الذين يخشون ربهم ويتقونه حق تقاته (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) كما بين صلى الله عليه وسلم أن العلم هو ميراث الأنبياء ، وأن شرف طالب العلم لا يطاوله شرف ، فالملائكة تضع أجنحتها له رضا بما

يصنع ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذه بحظ وافر » وهكذا فان الاسلام قد رغب في العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبذلك تتضح لنا منزلة العلم والعلماء في الاسلام ، وكذلك منزلة طلاب العلم بكل ألوانه .

ح ـ وثامن هذه الكليات أن تكون التقوى أساس المعاملة والتقويم ، والعدل أساس الحكم والتقاضي ، ولقد أقرت رسالة الاسلام بهذا كل ما يدرك الناس على اختلاف فئاتهم وتباين حضاراتهم من مفهوم القانون مسايرا لحاجات الناس في معاشهم واطمئنانهم الى أمور دنياهم ، وأنهم أحرار في ظل شريعة حرة ، لها قيد واحد : هو الصالح العام للانسان وللانسانية ، وقد وصف المؤرخ العربي المسيحي « فيليب متى » الاسلام بأنه : حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ، اذ يعيش غير المسلمين مع المسلمين على قدم المساواة ، وتربطهم قواعد الاسلام بروابط المحبة والأخوة » وأضاف الى ذلك أيضا « أن المسيحيين استأذنوا السلطات الدينية في أن تكون « المواريث » في الشرق العربي هي نفس المواريث التى قررها الاسلام ، فأذنت السلطات بهذا .. » وهكذا نجد الاسلام لا يفرق بين عربي وعجمي ، او بين مسلم ومسيحي أو يهودي ، بل ان غير المسلمين يجدون في الاسلام ما يحقق العدالة بينهم .

تلك هي الكليات الاسلامية ، ولا ريب أن للاسلام كليات اخرى كثيرة ، وهذه الكليات وجزئياتها فروض معلقة في رقبة كل مسلم ، من يرعاها مسلم ، ومن يشذ عنها متخلف ، وازيد على ذلك : أن الحقوق المترتبة على هذه الكليات مشاع لكل مواطن مسلما كان أو غير مسلم ، على اعتبار أن الرسالة الاسلامية رسالة للمساواة في الحقوق ، وبالتالي فاذا ذهبنا الى أن الانسان قد جعل من أجل الاسلام : لم نكن مصيبين ، واذا ذهبنا الى أن الاسلام نقول وتأويلات وتفسيرات : انقلبنا جامدين ، واذا قلنا أن الأخرويات مفضلة على الدنيويات : كنا ضد التغير الاجتماعي ، وتخلفنا بذلك عن ركب الحضارة وانحدرنا الى حيث لا نكون شيئا ، واذا نزعنا نزعة الجمود في الفكر والعمل . انفصلنا عما في الاسلام من مرونة وطواعية لمقتضى الحياة ومقتضى الحضارة واذا جنحنا الى الرهبانيات والكهانات والتصوف والباطنية .. وكلها من مظاهر الجمود والتخلف : قضينا على كليات الاسلام قبل جزئياته قضاء ونسخناها نسخا ، واذا وزنا العدل بميزانين وكلناه بكيلين .. أو فرقنا بين الناس لعقائدهم أو لألوانهم أو لأجيالهم : انحرفنا عن رسالة الاسلام في أخص أصولها .

الأصول والفروع :

وعلى هذه الكليات تتفرع الجزئيات ، ولعل الخطأ الذي وقع فيه المسلمون ، وجروا معهم الاسلام الى حيث انحدروا ؛ أنهم تمسكوا بالجزئيات ونسوا

الكليات ، أخذوا بالفروع وتركوا الأصول ، جمدوا عند الأقوال والمذاهب والتأويلات ، وتغاضوا عن أن الاسلام كليات جامعة ، وهي التى ينبغي أن تكون لها الأولوية العليا على الأقوال والمذاهب والعقول ، وأنها السابقة وليست المسبوقة .. هي الأصول ، وما عداها الفروع .

والكليات هي الأساس الثابت الذي تقوم عليه رسالة الاسلام ، لا تبديل فيها ولا تغيير ، لا مماحكة فيها ولا اختلاف ، لا تضاد فيها ولا تناقض ، هي التى تحكم على صحة الأقوال والمذاهب والآراء والتفسيرات والتأويلات ، هي الكل وغيرها الجزء ، هي الجذع وغيرها الأغصان .

ومن أجل أن يظل الاسلام خادما للانسان ، ينبغي أن يقاس ما في المذاهب والنقول وغيرها على هذه الكليات ، أما العكس فليس من روح الاسلام في قليل أو كثير ، ومن أبين ما في الرسالة من حق ثابت واضح صريح ، أن في مستطاع الانسان ان يفكر لنفسه ، وأن في ميسوره عن طريق الفكر ، أن يصل الى الحقيقة ، وأن يعرف الحل .

وقد أعطانا الاسلام مثالا على أهمية التطور الفكري الاجتماعي لنصل الى القوانين الضابطة والحاكمة لهذا الكون ومخلوقاته من أحياء وجمادات : فالحرارة والبرودة ، الصلابة والسيولة ، التمدد والانكماش ، ليست الا مظاهر لهذا التطور وصوره ، ومن ثم : فان التأثر بقانون التطور ، أي بقانون التغير الاجتماعي والتأمل فيه ، هو الذي قاد خطى الانسان الى كشف أكبر القوانين العلمية حقا وصدقا ، وهو قانون التوحيد ، اذ لولا معرفة الانسان ان لهذه الأكوان جميعا الها واحدا ، وأن له قانونا واحدا ثابتا لا يتغير ، مهما تغير الزمان والمكان ، في القديم والحديث ، وفي جميع القارات وكل المحيطات لبقى الانسان عبدا أو أسيرا للخرافة والشعوذة ، وللذين يتسلطون على عقول الناس ونفوسهم ، بما يثيرونه في تلك العقول والنفوس من مخاوف باطلة ، وأوهام زائفة ، بفضل اتقانهم لترويج الخرافات .

ولقد روى القرآن الكريم لنا نموذجا لاهتداء الانسان الى القانون الأسمي ، وهو قانون التوحيد بالاهتداء الى قانون التغير والتطور ، وذلك في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) سورة الانعام/ آيات ٧٥ ـ ٧٩ .

وهذه الآيات التى بدأت بقوله تعالى (**وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ..**) آية / ٧٤ تعنيً أن اهتداء ابراهيم عليه السلام ، بدأ في النظر الى

السموات والأرض ، فلم يصل بقومه الى الأيمان بالله والاهتداء الى خالق الأكوان ، بعد أن لفت أنظارهم الى تأمل ظواهر الكون المتغيرة والمتطورة طبقا لمسلمة أو لبديهية حتمية التغير طبقا لنظام تنطوي عليه تلك البديهية ، واجراء المقارنة بين النجم اللامع والقمر الساطع ، والشمس البازغة ، ثم بتبينهم أن هذه الأجرام جميعا تختفي ، وأذهانهم لم تتفتح الى استنباط الحقيقة المستفادة من ظهور هذه الأجرام واختفائها ، من تباين أحجامها ، واختلاف نصيب كل منهم من الضوء ، الا بعد أن تدربوا على منهاج استنباط الحقائق . ولقد روى لنا القرآن الكريم أيضا هذا المثال ليرينا أن تغير ملكوت السموات والأرض هو سنة صالحة . وأن عاقبتها هي الوصول الى اكبر الحقائق ، التى حينما تمتلىء نفس الانسان بها : يتحرر من القلق والخوف من مظاهر الطبيعة المجهولة ، والخوف من الانسان الآخر ، حاكما كان أو كاهنا لينطلق من أسر الأكاذيب الشائعة التى ترتقي ــ بالباطل ــ الى مستوى الحقيقة ، وتأخذ مكانها ، ومن أسر المتسلطين الذين يكسبون من استبقاء الجهال في الجهل ، والضعفاء في الضعف ، والفقراء في الفقر مزيدا من الغرور والضلال .

تلك هي الفوائد التى يجنيها الانسان في مجال العقل ، من الاهتداء الى قانون التطور او التغير ، أما خيرات الاهتداء الى هذا القانون الروحية او الخلقية : فهي كشف أثر تغير حياة الانسان الاجتماعية ، وطواعية النظم الاجتماعيــة ، والأحوال البشرية للتغير ، وواجب الانسان محاولة دفع كل نقص وعيب وقصور وظلم في مجتمع الانسان ليكون أفضل وأحسن وأعدل وأسلم .

وعلى ذلك فلا خوف من الأخذ بالتطور الاجتماعي للنظم الاجتماعية مع تخليصها من كل ما يتعارض مع الاسلام . بصرف النظر عن رأي أسرى النقول والتأويلات : في التمسك بكل قديم ، واعتبار كل جديد بدعة .

ذلك رأي متخصص في علم الاجتماع ، لا يدعي أنه من رجال الدين الاسلامي أو من فقهائه ، وانما هو رأي شخص مسلم ، درس التغير الاجتماعي وتخصص فيه ، بعد أن آمن به ، كما آمن بأن الطفرة محال ، غير أن الطفرة : اذا كانت محالا في علم الأحياء الطبيعية ، فان من شأن المجتمعات الانسانية أن تتخلف عن التغير السريع الايقاع فيسبقها الزمن ، فاذا تحركت : ظهر للأعين خطأ ، أنها تطفر وأنها تسير في طريق الخطأ .. كلا فمثل هذه التحركات أو التغيرات ، انما هي وثبات طبيعية تحاول المجتمعات المتخلفة والآخذة في النمو أن تصل عن طريقها الى نصيبها الطبيعي من الارتقاء والتقدم ، اذا لم تصد عن التغير بموانع اصطناعية .

والاسلام بنصه وروحه وتاريخ أئمته وهداته والمباديء التى كانت مدار التطور الفكري على مر عصوره ، يتفق تماما مع مسايرة الفطرة الانسانية ، وبخاصة فطرة المجتمع اذا ما ألحت عليه ضرورات التغير من حالة قائمة الى حالة ، يشعر بضرورة قيامها في ضوء الكليات الاسلامية ودون الخروج على أطرها .

من أخلاق المجاهدين



سال فضاء الصحراء فيما جاور المدينة بجيش العسرة في انتظار أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بالمسير لغزو الروم في تبوك ، لخيله صهيل يتردد صداه في الآفاق ، ولمواقد حطب النار في انحائه بريق يبدد الظلام ، ويلون الرمال ، ويخيف مردة الاعراب وأخلافهم من اهل الكتاب . جيش جمع خير ما في الجزيرة العربية من شباب وكهول ورجال صدق ايمانهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، عرف لهم الاسلام حسن البلاء في مواقف الجلاد ، واصدق الفداء في ميادين الجهـاد ، وحفظت لهم القبـائـل حرصهم على ما للعرب من تاريخ المفاخر من طارف وفلاد .. لم يتخلف عنه الا القواعد والخوالف والذين في قلوبهم مرض .. نفر به النبي صلى الله عليه وسلم في لظى محرق تشع رماله اللهب ، وتحمـل رياحـه الشـرر ، ويتنفس جوه الخانق عن حر مميت ، وشاء الله ان يؤوب القائد بجيشه مهيب الجانب ، مرفوع اللواء مؤيدا بنصر الله **(وما النصر الا من عند الله الـعـزيـز الحكيـم)** آل عمران/١٢٦ .

كانت الدعـوة الى غزوة تبـوك امتحانا للايمان في القلوب ، وامتحانا للفضـائل بـين اطـواء النفـوس ، وامتحانا للفطرة في اهاب الطبيعة البشرية لقد كانت البوتقة التي تجمع فيها ما وقر في قلوب اتباع محمد عليه الصلاة والسلام من الايمان فصهرته فذهب الزبد جفاء واستقر ما خلص في

صدقُ الحَديثِ وَالمعتقـد

للشيخ/سليمان التهامي

ميدان الجهاد يواجه البلاء والمحنة وأي بلاء هو ؟ لقد جمع الله على المجاهدين في تبوك عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء ، فاعتقب النفر منهم البعير الواحد ، وطعموا التمر المتسوس ، والشعير المتغير ؛ والشحم المتعفن ، وغاض ماء الارض حتى قال عمر رضي الله عنه : « اصابنا العطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع منه » واصابهم الجوع فآثروا على انفسهم حتى كانت الثمرة تدور بين النفر منهم كل واحد يلوكها ويطعمها ويشرب عليها جرعة من ماء حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى منها الا النواة . ولكن الله الذي عرض أهل الايمان لهذه المحنة استنقذهم من شدة العسرة ، وخلصهم من نكاية العدو ، وامسك بقلوبهم وقد كادت تزيغ قال تعالى : (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انـه بهم رؤوف رحيـم**) التوبة/١١٧ .

لقد ساد الصدق في محيط هذه الغزوة فبقدر ما صدق جود الاغنياء في تجهيز جيش العسرة صـدق جود الفقراء بأنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى . وبقدر ما اضفى المتخلفون ثوب الصدق على معاذيرهم صدق احساس فريق منهم بجسامة التبعة في التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ، صدق ايمان المؤمنين حين لبوا دعوة الرسول الى النفير سراعا ، ما

خطر لأحدهم خاطر التخلف ولا مال قلبه الى القعود ، ولا فكر فيما يلاقي من وعثاء السفر ووقدة الحر ، ولا اغراه ما ينعم فيه من الظل الظليل ، والثمر الطيب ، والمتعة بين الاولاد والازواج والاهل والصحاب بينما اشتد نفاق المنافقين حتى انتحلوا المعاذير واختلقوا الاباطيل . فمن قائل كيف ننفر في الحر وقد طابت الثمار وامتدت الظلال ؟؟ وفيهم قال الله تعالى : (**فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون**) التوبة/ ٨١ ومن متخوف فتنة نساء بني الاصفر (الروم) ويطلب الأذن في القعود وفيهم قال الله تعالى : (**ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**) التوبة/ ٤٩ ويقول عبد الله بن ابي رأس المنافقين كيف يغزو محمد بني الاصفر على بعد الشقة وقلة الظهر ، وجهد الحال والله لكأني بأصحاب محمد مقرنين في الاصفاد .

وصدق جود الاغنياء حتى جاء أبو بكر بماله كله ، وعمر بنصف ماله ، والعباس بتسعين ألفا ، وغير هؤلاء قدموا مالا كثيرا ؛ وجهز عثمان بن عفان ثلث الجيش واتبع ذلك بألف دينار صبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) رواه الترمذي ولم يقتصر الجود على الرجال ، بل تدافعت النسوة يلقين بين يدي رسول الله ما يملكن من أقراط ودمالج وخواتيم ومناضد وذهب وفضة ، وصدق جود الفقراء بأنفسهم ، وحمل النبي عليه الصلاة والسلام منهم من استطاع حمله ، وقال لأكثرهم لا أجد ما أحملكم عليه ، وما أصدق ما وصفهم الله في قوله تعالى : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون**) اي ان الله عذرهم وليس عليه من سبيل التوبة/ ٩١ ، ٩٢ .

ولحق بالجيش نفر منهم ابو خيثمة الانصاري الذي قال لزوجتيه وقد هيأتا له الظل والماء والطعام : رسول الله في الطيح والريح والحر وابو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ، والذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام وهو جالس في القوم بتبوك يتحرك به السراب فقال : كن أبا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة !!، وممن قعد وصدق النبي الحديث كعب بن مالك ؟ وهلال بن امية الواقفي ، ومرارة بن ربيعة العامري وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ النبي امرهم حتى قضى الله فيه .

واذا كان الذين غزوا مع النبي عليه الصلاة والسلام لهم فضل السبق في صدق الايمان ، فاني لأقدر

صدق المتخلفين الذين صدقوا النبي عليه السلام في معاذيرهم ، وعرضوا انفسهم لتجربة نفسية من اشق ما يعرض للرجال المخلصين في هذه الحياة وقد زكي الله صدقهم حين تاب عليهم ورضي عنهم ، وذكر قصتهم في القرآن لما لها من شأن ولما لهم من منزلة ولما لموقفهم من اثر في رضا الله ورسوله عنهم ، ولما اتصفوا به من شجاعة في الدفاع عن انفسهم قال تعالى :

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) التوبة/١١٨

ان ثناء الله عليهم في قوله عز وجل **(يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة/ ١١٩

مفخرة لا تعدلها مفاخر بني البشر اجمعين ، وان بشارة الله ورسوله لهم حين برأهم من النفاق والتخلف والقعود عن الاستجابة للنبي عليه السلام بالتوبة عليهم ، وحين استقبل رسول الله كعب بن مالك ببرق وجهه من السرور ويقول له مهنئا (ابشر يا كعب ابن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك) لا توازيها بشائر اهل الارض قاطبة .

وقصة الثلاثة الذين خلفوا قصة عظيمة لانها قصة الصدق والصراحة معا ـ الصدق الذي هو ثمرة الايمان القوي في وقت خارت فيه القوى ووهن اليقين ونطقت بالكذب الألسنة ، وقبل النبي ما ظهر له من امر المعذرين تاركا سرائرهم الى الله . وقصة الصراحة والصراحة النادرة التي صورت خطرات النفس وخلجات الفؤاد لرجل من الثلاثة هو كعب بن مالك فهو يقول : (غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا ولم يزل ذلك يتمادى بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو فكنت اذا خرجت في الناس يحزنني اني لا اجد الا رجلا مغموصا عليه في النفاق ـ اي مطعونا في دينه ـ او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء . فلما بلغني ان رسول الله قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب واقول بم أخرج من سخطه غدا . فلما قيل لي انه اطل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فاجمعت صدقه) .

هذا التصوير الدقيق لخواطر نفسه يدل على صدقه مع نفسه وذلك امارة الصدق وآية الايمان ، وقليل من الناس هم الذين يبرزون دخائل انفسهم على هذه الصورة وهم يعلنونها لأن لهم من الايمان سندا ؛ ومن اليقين عدة ومن أدب النفس مدخرا . ويجب ان يفهم ان الثلاثة الذين خلفوا قد اتفق موقفهم في تقرير حقيقة اعذارهم لكنهم اختلفوا في معالجتهم للموقف وتناولهم للابساته

المختلفة ، فبينما كان موقف كعب بن مالك ايجابيا كان موقف صاحبيه سلبيا فكعب في حركة دائبة لا يقر له قرار يحضر الصلاة في المسجد مع النبي عليه الصلاة والسلام ويمشي في الاسواق ، ويغدو ويروح في الطرقات يتعرض للمسلمين لعل احدا يكلمه فلا يأبه له احد ، وقد وصف حاله تلك بقوله : (كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة اسلم عليه واقول هل حرك شفتيه برد السلام ، واسارقه النظر حينا والتفت اليه حينا آخر فيعرض عني ، واتسور جدار حائط ابي قتادة الانصاري وهو ابن عمي اسلم عليه فلا يرد السلام ، وانشده الله هل يعلم مبلغ ايماني وحبي للرسول فيقول : « الله ورسوله اعلم » ولعل ذلك راجع الى انه كان اشب القوم واجلدهم كما وصف نفسه . اما صاحباه فجلسا في بيتهما يبكيان لا ترقأ لهما دمعة ، ولا ينقطع لهما نشيج وقد يمضي اليوم واليومان على احدهما لا يذوق طعاما ولا يشرب شرابا اللهم الا جرعة من ماء او لبن ، وقد وصفت زوجة هلال ابن أمية حاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حين جاءت اليه تستأذنه في خدمته بعد امره باعتزالهم لنسائهم - بأنه شيخ ضائع شديد البكاء قد ابيضت عيناه من الحزن او كادت وذلك اسلوب في محاسبة النفس اشد ايلاما واعظم ارهاقا .

وكما صدق كعب في تصويره خلجات فؤاده وخواطر نفسه كما اسلفنا صدق في اعترافه حين وصل الامر الى الاعتراف الذي لا محيد عنه ، ولا زيف فيه لأنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . يحدثنا كعب فيقول : (جئت النبي فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال : (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت يا رسول الله : اني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني ساخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله . والله ما كان لي عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك) رواه البخاري وصدق كعب رضي الله عنه حين قال : ما أعلم نعمة بعد الاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

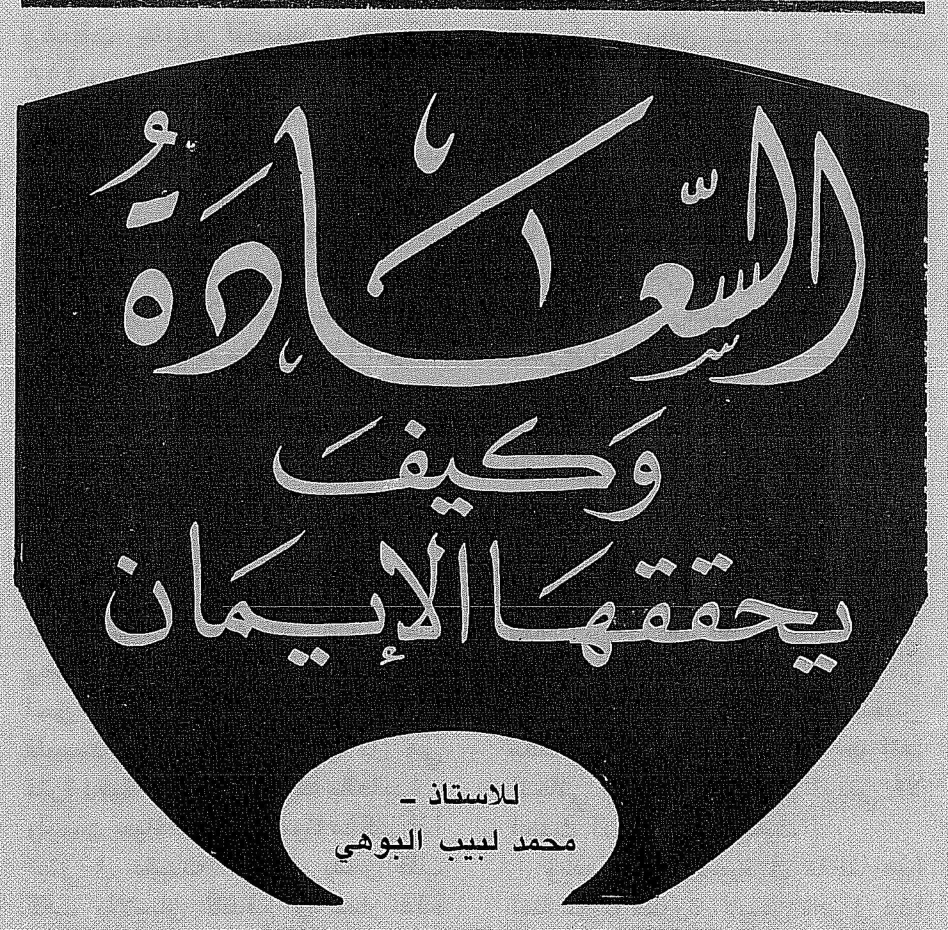
وانصرف كعب بن مالك من عند رسول الله عليه الصلاة والسلام ليستقبل فترة مريرة من فترات الحياة لا عهد له بها من قبل ومريرة لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن كلامه وكلام صاحبيه ، وطال امد هذه الجفوة حتى بلغ خمسين يوما - وعلى رأس الاربعين منها امرهم باعتزال نسائهم - حتى قال عنها كعب (لقد تنكرت لي الارض فما هي بالارض التي اعرف) وصورها القرآن تصويرا مطابقا في قوله تعالى **(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت**

وضاقت عليهم انفسهم) التوبة/ ١١٨ ومريرة لأن ملك غسان بعث الى كعب بن مالك برسالة يقول له فيها : (اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك) وقد قال كعب رضي الله عنه بعد قراءتها (وهذه ايضا من البلاء فتيامست التنور فسجرته بها) لله ما أجل هذا الموقف في محنة تذهل فيها العقول ، وتضيق الصدور ، وتذهب النفوس حسرات وصدق كعب حين قال : ما علمت احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني الله به) .

واذ كنا قد عبرنا عن هذه الفترة التي سبقت توبة الله على كعب وصاحبيه بأنها مريرة فذلك رعاية لحق الايمان في موقف رجل مؤمن فليست فترة مريرة وحسب بل هي فترة دقيقة لصلتها الوثيقة بالعقيدة ، وليست حياة الانسان شيئا مذكور اذا ابتلي في عقيدته . فلو لم يفض قلب كعب بالايمان لاندفع في غمار هذه القطيعة التي عاناها من النبي والمسلمين او ذلك الاغراء الذي عرض عليه من ملك لا يدين بهذا الدين الى ما يقوض به ايمانه ويزلزل يقينه ولكنه احتمل هذه المرارة واقتحم تلك العقبة حتى لاتزل قدم بعد ثبوتها وعلى حال استحق من اجلها توبة الله عليه ، وشهادته له مع صاحبيه بالصدق والايمان .

وفي فجر ليلة الخمسين جادت السماء بالفرج ، وتنفس جبريل عن البشرى فيما نزل به من آيات في سورة (براءة) تعلن توبة الله عن الصادقين ، وسخطه ونقمته على المعذرين الكاذبين ومن الخير ان ادع كعب بن مالك يختم حديث الصدق والايمان يقول رضي الله عنه : (بينما انا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت على نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفي علي (سلع) اسم جبل - يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا ثم قصدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك) فقلت : اهو من عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال : بل من عند الله ، فقلت يا رسول الله : ان من توبة الله علي ان انخلع من مالي صدقة فقال : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت : ان الله انما انجاني بالصدق وان من توبتي الا احدث الا صدقا ما بقيت) .

وبعد : فان العبرة في مقالنا هذا اننا ابرزنا صورة الايمان تعز في هذا الزمان ، وموقفا من مواقف الصدق يندر ان يقفه احد من الناس الآن واذ كنت لا ارى للايمان الا مشوبا أفيحق لي ان اقول للمسلمين اتصفوا بالصدق ، فما أسلم عقيدة الصادق من النفاق ، وعمله من المخالفة وسلوكه من الانحراف او اسمعهم ما قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) .



السعادة كهدف انساني :

لا تطيب الحياة ما لم يحيها صاحبها راضيا مطمئنا هادىء النفس لا يشغله شيء يكدر نفسه ، بغير سعي ملح وراء التطرف والمغالاة في الهروب مما قد يلم به ؛ بل يلتمس من مصادر صحيحة أسلوب العودة الى موازنة الحياة ، كالنهر حين تضطرب أمواجه فتحاول أن تعيده إلى الهدوء بوسائل مجربة مدروسة لا تسبب انتكاسات جانبية ... بدلا مما يحاوله البعض من الالتجاء إلى متع عارضة حسية يغرق فيها هموم نفسه إلى حين ، ثم يعود إلى أسوأ مما كان عليه فيحاول الهروب بنفس المتع ولكن بجرعة أكبر وهكذا دواليك الى ما لا نهاية لأن العلاج لم يكن بدواء صحيح ..

ولذلك قد ينبغي قبل أن ندرس هذا العلاج أن نقف قليلا عند حد تعريف السعادة ، ولقد نرى أنها قبل كل شيء إحساس نابع من داخل النفس ، وبهذا الاحساس يتكيف خط مسار الحياة ولذلك تختلف باختلاف

النفوس فما قد يسعد إنسانا قد لا يرضى به آخر ، غير أن هناك حقيقة مشتركة لا يصح إغفالها ، وهي أن أسلوب حياة كل إنسان رهن بمزيج من صحته ، وتكوينه العقلي ، وطبعه الشخصي ، وعاداته وغرائزه ، والقدرة على التأليف بين هذا كله في اتزان واعتدال بتوجيه عقيدة سليمة .

ولئن كانت هناك أخطاء وعادات غير سوية ، فانه من الخير أن يحاول تأمل ذاته بنفسه ودراستها في أناة ، غير متحيز ، عسى أن يرى ما اذا كانت هذه العناصر قد اكتسبها من ممارسات سابقة أو بحكم البيئة أو الوراثة . وعليه بعد ذلك أن يعجل بتنمية الجانب الايجابي منها ، وسيجد أن ذلك ليس صعبا إذا استعان بحقائق ثابتة لتصحيح خط مسار الحياة مما هو مجرب ومعروف من القواعد والنظم والأخلاقيات ، وسوف يجد في ذلك رياضة نفسية تسعده بتنمية إرادته وصنع حياته كما يحب فالارادة عنصر اساسي هام .

اكتشاف الكنز المخبوء داخل نفسك :

وهذه حقيقة مقررة في قوله تعالى : (**ونفس وما سواها**) الشمس/ ٧ - أي خلقها سبحانه سوية لا عوج فيها للاتجاه السليم نحو سعادة الحياة ما سلكت سبيل الفطرة الكامنة فيها ، ولذلك قال سبحانه : (**قد أفلح من زكاها**) الشمس/ ٩ أي عمل على تنمية فضائلها المركوزة في داخلها إذ خلقت سوية باستعداد فطري طيب لاسعاد صاحبها ، فأسباب السعادة كنز مخبوء في أعماقها ، وعلى العموم ، فانه يمكن باختزال للأمر ان نقول : أن السعادة هي ثمرة تحقيق الانسان لأمانة وجوده ، مع الاستمتاع بالعافية والنجاح ، ولا يتم ذلك بغير خلق متين وطبع رشيد بغير عائق أو مكدرات وقد تكفل خالق النفس إذا التزمت فطرتها أن يهديها سبيلها : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**) النحل/ ٩٧ .

الطريق الى سلامة التحقيق :

ولما كان الانسان قد خلق ضعيفا حتى يكون دائما في مسيس الحاجة إلى الاتجاه نحو ينابيع القوة التي هي تحت مطلبه إن شاء بالاتجاه إلى صاحبها ، والذي فتح لها الأبواب لمن يبغي الوصول اليها ، فان عليه في سبيل ذلك ان يجتاز مغريات سلبية تعترض طريق التجربة الأرضية واضعا نصب عينيه القواعد الصحيحة لأتزان نفسه وهدوئها في نطاق الحياة السليمة مع الآخرين ، وذلك بتنمية الارادة لأنه بغير هذه الارادة لا يستطيع ان يرد عنه الاغراء الشديد البراق الصادر من كل ما هو هابط وسلبي ووهمي وغير سليم ، مما يبدو من معوقات لذات مزينة في أبهى زينة مزيفة تحاول أن تشده عن طريقه ، ويعقبها بعد ذلك ندم طويل ويمكن مراعاة هذه القواعد

البسيطة .
١ ـ ادرس ما يحقق سعادتك على ضوء إيمانك .
٢ ـ حدد هدفك على ضوء ما تقدم .
٣ ـ ادرس الجوانب الايجابية في نفسك التي تعاون على تحقيق هدفك .
٤ ـ استعن بالله ثم بارادتك على تحقيق اهدافك موطدا النفس مسبقا على الرضا بالنتائج .
٥ ـ إذا وقعت في اغراء بسبب الضعف او اخطأت فلا تقف عند ذلك طويلا وعد الى طريق مسارك .

وهناك شعار يقول : (من أراد وفق واستطاع) فالزم هذا الشعار .

من التعليمات الالهية :

هذه التعليمات تكفي تماما لراحة النفس فما دام الانسان مؤمنا فهو بغير ريب يتلقى كلمات ربه بالقبول او على الأقل فهو يحاول الفهم والتأمل ، وما دام المرء مؤمنا فقد أصبح من أحباب الله ، ولما كان الحبيب ـ أي حبيب حتى الحبيب الأرضي ـ لا يرضى لحبيبه شيئا يضره وفي مقدوره أن يمنعه فكيف بربك حين يكون حبيبك الذي جربت أنه سخر كل شيء لراحتك ونفعك وخدمتك ؟ وليس معنى هذا أنه يشترط لتنال عفوه سبحانه أن تكون في الذروة العليا من الأبرار بل يكفي النية الصادقة في مواصلة الطاعات ما استطعت .. حتى ولو أخطأت أو نسيت أو وقعت في إثم عابر بغير إصرار فانه حبل الود موصول والعفو عند الرجوع اليه في الانتظار واذا استشعر المؤمن هذا المعنى وكان دائما في تقديره فان الشقاء لن يعرف اليه سبيلا ـ قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأمرأته في مغاضبة عابرة لاشقينك ، قالت لن تستطيع لأن سعادتي في إيماني وإيماني في قلبي وقلبي لا سلطان لك عليه .

لقد كانت رضي الله عنها على يقين من المعنى الذي لا ننساه في قوله تعالى : (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

في مواجهة الضعف البشري :

وليس معنى السعادة في ظلال الايمان أن يصبح الانسان فرحا فخورا متهللا يمشي في الأرض لا يغضب لشيء ولا يهمه شيء ، إن هذا التصوير غير وارد لأنه ما دامت الدنيا مزرعة الآخرة ، وكل مزرعة فيها آفات تعترض نموها وطفيليات تعوقها وربما لصوص يتربصون بها ـ ولذلك فان الزارع يمتحن برعايته لما يزرع وحرصه على جودة الحصاد قال سبحانه : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**) البقرة/ ١٥٥ .

ولذلك كان الصالحون يواجهون الشدائد بالقبول لادراكهم ما وراءها من الأجر وحسن الثواب .

ودائما بعد كل عسر يسر

وانت لو رجعت الى تاريخ حياتك وحياة بعض من تعرف لوجدت أن ما من شدة كتب لها الدوام ، سواء تلقاها المرء بهلع وجزع أو بصبر

وقبول ، فلما ذهبت بقي له الثواب كم مرضت ثم شفيت ، وكم ذهبت أشياء وجاء من بعدها عوض ، وكم مات من احبة ثم جاء سلوان وجاء أحبة آخرون ؟ .. وعندما تقع شدة من الشدائد فانه لو استحضر الانسان في ذاكرته صور الماضي وأن فضل الله الذي كان معك من قبل هو كائن الآن وسوف يكون دائما ، فان هذه الذكرى تخفف من وقع المأساة ، فالذكرى تنفع المؤمنين وما أروع وأجل مقابلة كل شدة بالعلاج الناجح الذي فيه البشرى للمؤمنين : (**إنا لله وإنا إليه راجعون**) البقرة/١٥٦ .

فالليل دائما يعقبه نهار والشمس تشرق بعد غروب والريح تهدأ بعد العواصف وما من شيء سيدوم .. فاذا ذهب أمر بما كنا نفرح به فانك تستطيع ان تدخر في مقابله أضعافا مضاعفة بالصبر والرضا بما عند الله فكما يسعدنا ما ندخره لأيامنا في مصارف الدنيا من رصيد ، فلنكن اكثر سعادة بما ندخره في مصارف السماء .

اتخاذ اواسط الأمور موقفا :

كثير من الناس يعيشون في آلام الماضي وقد يظن البعض أن ذلك من فضائل الأمور كمن ينوي الحزن على حبيب مات منذ سنوات ويخيل اليه أنه من الخيانة لذكراه ان يتخفف من الحزن أو يلوذ بجانب السلوان أو كمن اساء اليه انسان منذ سنوات فحفر للاساءة في نفسه جرحا لا يريد له ان يندمل ، ولا يحاول ذلك فهو يجتر دائما الحقد ويعمل دواما من أجل الثأر والانتقام ـ وربما يصبح سببا في تكدير حياة من حوله وحرمانهم من بهجة الحياة غافلا عن أنه من أصول الايمان أن يتخلق بأخلاق الله العفو الغفور ذي الرحمة الواسعة ، فاذا عصى الانسان ربه وكانت له ذنوب مثل حجم الجبال ، فانه بمجرد التوبة النصوح تنسف جبال الذنوب وتعود الصفحات نقية بيضاء ، فهل من الراحة للنفس وإطمئنان البال ان يكون كذلك أو كبعض ذلك ، أو يظل عبر الايام يعرض على نفسه هذه الهموم الثقال ؟

ومن صفات الذين هم كذلك أنهم عبيد للانفعال العاطفي ، وانهم كما يستغرقون في الأحزان فانهم اذا اصابهم خير بالغوا وتطرفوا في الأفراح ، وهذا التذبذب بين الحزن الشديد والفرح الغامر ، يخرج بصاحبه عن حدود الاتزان التي هي لب الخيرات والبركات ، اذ هي أواسط الأمور فلا حزن شديد على ما مضى ، ولا فرح متطرف بما أتى أو بما هو آت : (**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**) الحديد/٢٣ .

عندما تأتي الاساءة من الغير

وقد يقول احدنا ان هذه المواقف لعلاج ما يواجهنا من الأحداث في حدود الاعتدال والاتزان ولكن ماذا يكون الموقف حين تفرض علينا من

الغير مخاصمات ومشاحنات تسبب لنا من الآلام ما لا نستطيع له دفعا ؟ اذ يلاحقك غيرك بما يؤلم ، وعندئذ فانه علينا ان نواجه الموقف مع الغير هكذا .. ان خصوماتنا مع الغير إنما تصدر من أحد افراد ثلاثة إما ممن هو أكبر منا علما ومكانة وعقلا وإما ممن هم في المستوى العام لنا ، أو من جاهل احمق . هذه هي الصفات الثلاث للناس ، وسيكون موقف من اساء الينا على صنفين إما ان يراجع نفسه ويعتذر ، وذلك حين تترك هذه الفرصة لمن تتوسم فيهم العقل والحكمة ، ولذلك فانه ربما كان من الخير دائما عدم الرد السريع على الشر بمثله ، فاذا جاء اعتذار عاتبنا في أناة وقبلناه بغير اصرار على الخصومة ، بل نحاول نسيان ما كان منها قبل تصفية وضعها ، وأما من يصر على الاساءة فان الاحساس من جانبنا هو أن نحتكم الى العرف أو إلى من يفصل بيننا من ذوي العدل ، وإما أن يكون من أساء الينا على درجة من الجهل والحماقة فهذا موقفنا معه الاعراض والتباعد ، قال الشاعر : (يزيد سفاهة وأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا) وهذه الانواع الثلاثة من علاج الاساءة من الغير ارشدنا اليها رب العزة بقوله سبحانه : **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)** الاعراف / ١٩٩ . باتباع آيات الله نغتنم ونربح اسباب الراحة وهدوء البال ، ونعالج أمور قد تجر علينا بغير هذا الاسلوب كثيرا من الهموم والمتاعب .

مع الله ـ والنفس ـ والناس :

الواجبات المطلوبة من كل انسان هي الطاعة وإحسان الصلة بالله وحسن توجيه المرء لنفسه ، وحسن معاملة الناس واجتناب شرورهم ، فاذا توفر له ذلك عاش حياة طيبة هادىء النفس ناعما ، وقد يكون في حاجة الى موازين دائمة لقياس درجات هذه المواقف الثلاثة مع الله ـ ومع نفسه ـ ومع الناس ، وتظل هذه المقاييس ثابتة يعود اليها كلما أراد معرفة مكانه مما صنع وقدمت يداه ، وتلك غاية أساسية ما دمنا راغبين في قضاء فترة الحياة الأرضية المؤقتة في هدوء بال واطمئنان خاطر .

اما مع الله تعالى فالميزان هو دوام مراجعة النفس بحيث يعود عند كل عمل أو قول أو حال إلى وزن ذلك بميزان التقوى .. والتأويل الذي اراه للتقوى هو كما يقول السادة الاطباء من أن الوقاية خير من العلاج ، أو من أن أدع نفسي عرضة للاصابة بالمرض ثم اعالجه ، فالتقوى من الوقاية أي وقاية النفس من الوقوع في الاخطاء والذنوب بقدر المستطاع .

واذا كان ميزان المراجعة هو لقياس موقفي مما يرضاه الله ، فان الامر مع النفس بالمحاسبة ولو جعل كل يوم عدة دقائق لعرض اعمال اليوم التي قامت بها النفس وحاسبها لتثبت له وجوه الصواب فاستراح لها وحمد الله ، وان كان الأمر غير ذلك أسرع الى التوبة من قريب وبذلك تكون التصفية

اولا بأول . واما مع الناس فان صلتنا بهم يجب ان تكون إحسانا فاذا صدرت اساءة بقصد أو بغير قصد سارعنا الى حسنة مع الذين أسأنا اليهم .. وقد علمنا الله سبحانه وتعالى : (**إن الحسنات يذهبن السيئات**) هود/١١٤ .

مما ينكد حياة كثير من الناس الخوف من الموت

والعجيب ان هؤلاء لو وضعوا مصيبة الموت تحت منظار الايمان الحق لتغير وجه الأمر واستراحوا ، بل أن من آثار الصالحين ما نراه انهم نظروا الى الموت كمتعة روحية عظمى ، ستكون في الانتظار ، فلو تصورنا أن إنسانا يعيش في صحراء تلقى وعدا مؤكدا بأنه سيدعى الى قصر في المدينة ، فانه يظل في متعة الشوق الى تحقيق ما وعد به ، إن الموت عند المؤمن هو لقاء الله ومن طبيعة النفس الشوق الى لقاء من تحب

والمؤمن اذا ركز هذا المعنى في النفس يصبح انتظار الموت تحفة الى لقاء الحبيب الأعظم ، بل ان ذلك يخفف عليه ويلات الحياة ، لأن كل ما يصيبه من هول يهون بجوار السعادة المنتظرة ، ومن وجد الله فماذا فقد ؟ والموت ليس فناء للذات وانما هو طور من اطوارها ومرحلة انتقالية بالمؤمن الى حياة افضل ، ليس فيها منغصات عالم التراب ، حتى ولو كان المرء ذا ذنوب فانه بالتوبة يستطيع ان يستبشر فرحمة الله وسعت كل شيء ..

والمهم ان يكون الموقف في نظرتنا الى الموت بمنظار الرهبة وهذه النظرة لا بأس بها ، والرهبة بخلاف الخوف فأن المرء قد يرهب شيئا يحبه كالفتى الذي لا يعلم عن الزواج شيئا فأنه قد يرهب ليلة الزفاف ولكن لا يخافها .

تفاءل وانتظر الخير دائما :

ما دمنا نواصل العمل بمنهج الله لاداء أمانة وجودنا الأرضي ، فنحن اذن في ظل رضوانه تعالى موقنين أن كل ما يحدث لنا انما هو خير ، ولو بدا في ظاهر الأمر غير ذلك وعلينا أن نذكر ان الطبيب قد يصف للمريض دواء شديد المرارة ، فاذا طلب المريض دواء حلوا أخبره الطبيب أنه يضره لأن الطبيب وحده هو الذي يعلم الحكمة فيما يصف ويقدر ، ونحن لا نناقش الطبيب لأننا لا نملك منهج المناقشة ، ولله المثل الأعلى : (**عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة/٢١٦ وهناك حكمة لابن عطاء الله تقول « لا تدبر ما دبره الله لك » وقد يتبادر الى ذهن البعض ان هذا نوع من التواكل ولكن الحق ليس كذلك بل هو عين التوكل إذ قد يقول احدنا ما دام الله هو المدبر لكل الأمور فلماذا السعي مني والعناء ؟ : فنقول لهذا السائل : لا : ان العمل هو القيام بوظيفة العبودية والنتائج هي من شأن الربوبية .. اما بعد فهذه قواعد يسيرة لمن يلتمس راحة النفس وهدوء البال وأطمئنان الخاطر .

(**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) .



للاستاذ ـ عادل ابراهيم الدسوقي

دعا الاسلام إلى تكوين الأسرة فأمر الشباب ذا المقدرة المالية والجنسية بالزواج .

روى الشيخان عن عبدالله قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

وعد الرسول عليه الصلاة والسلام المعرض عن الزواج راغبا عن سنته .

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فاني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وللاسلام مقاصد نبيلة من الدعوة إلى الزواج منها :
١ ـ خلق الله لابن آدم الحواس التي يجد بها لذة الزنا .
فقد روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه » .
والزواج يعصم الانسان من ذلك فلديه عفة وطهارة وحصانة من النفس الأمارة بالسوء .
روى مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فان ذلك يرد ما في نفسه » .
بل إن الاسلام ليعتبر مواقعة الرجل لزوجته بقصد عفاف نفسه ونفسها صدقة له ثوابها .
روى مسلم عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه « .. وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » .
٢ ـ وفي الزواج إثمار الولد فيتكون المجتمع الصغير الذي هو أساس المجتمع الكبير والأولاد نصف زينة الحياة الدنيا .
قال الله تعالى : « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**) الكهف/٤٦ ، والولد الصالح يدعو لأبويه بعد الموت .
روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .
ومن مات له اثنان أو ثلاثة من الولد فصبر واحتسب دخل الجنة .
روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار : « لا يموت لاحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة ، فقالت امرأة منهن أو اثنين يارسول الله قال أو اثنين » .
بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عد من لم يمت أو يستشهد أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه : رقوبا .
روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الرقوب فيكم ؟ » قلنا : الذي لا يولد له قال « ليس ذلك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا » .
٣ ـ وفي الزواج مجاهدة للنفس برعاية الأهل والقيام بحقوقهم .
روى البخاري عن أبي مسعود الأنصاري قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أنفق المسلم نفقة على

أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة » .

فمثلا من ربى صغيرتين وقام بمصالحهما من نحو نفقة وكسوة حتى تبلغا - ويفضل حتى التزويج بالاكفاء - فيكفيه فضلا أن يرافق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة .

روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضم أصابعه .

٤ - ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ففي الزواج ترويح للنفس وإيناس لها فيقوي به المرء على ممارسة اعماله .

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

قال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ .

ويبدأ الزواج باختيار الزوجة . وأفضل النساء الصالحة ذات الدين والخلق .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

ولا يمنع ذلك من أن يكون بجانب حسن خلق المرأة أن تكون جميلة فتسر زوجها .

روى النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

لذلك يفضل للزوج أن ينظر إلى وجهها قبل الزواج خشية أن يكون به ما ينفر منه الطبع .

روى مسلم عن أبي هريرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنظرت إليها ؟ » قال : لا قال « فاذهب فانظر إليها فان في أعين الأنصار شيئا » .

ويفضل أن تكون بكرا ليسعد بها وتسعد به ، وقد يفضل البعض الثيب لسبب او لآخر فلا مانع أن تكون ثيباً .

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال إن عبدالله - أي والده - هلك وترك تسع بنات فتزوجت أمرأة ثيبا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جابر تزوجت ؟ قلت نعم قال : « فبكر أم ثيب » ؟ قال قلت بل ثيب يارسول الله ، قال « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك ؟ » قال قلت له إن عبدالله هلك وترك تسع بنات وإني كرهت أن اتيهن بمثلهن فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن قال « فبارك الله لك » أو قال « خيرا » .

وعلى ولي المرأة أن يختار لها ، زوجا مؤمنا صالحا حسن الخلق حتى إن بغض منها خلقا رضى منها آخر فلا يظلمها بل يحسن إليها ويرعاها .

روى مسلم عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر » وقال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن لي ابنة ليس لي ولد سواها فممن أزوجها ؟ قال « زوجها من رجل يتقي الله ، فان احبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها » .

ويسبق عقد الزواج الخطبة .

ويجوز أن يخطب الرجل المرأة بنفسه أو أن يرسل من يخطبها له .

روى مسلم عن أم سلمة قالت أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت إن لي بنتا وأنا غيور فقال « أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة » .

كما يجوز للرجل أن يخطب لابنته .

روى البخاري عن عمر بن الخطاب قال « حين تأيمت حفصة ، لقيت أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيني أبو بكر فقال إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها لقبلتها » .

بل إن الامام البخاري رضي الله عنه ذهب إلى أن المرأة تعرض نفسها على الرجل الصالح ليتزوجها مستندا إلى الحديث الشريف الذي رواه عن أنس ، جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها قالت يارسول الله ألك بي حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه قال « هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها » .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك أو يأذن له .

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب » .

وأعطى الاسلام كامل الحرية للمرأة أن تقبل الزوج أو لا تقبله .

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن » . قالوا يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال « أن تسكت » .

وليس لوليها أن يفرض عليها زوجا أبدا .

روى البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصاري أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحه .

ويتفق أثناء الخطبة على الصداق فهو حق للمرأة .

قال الله تعالى : (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) النساء/ ٤ .

ويجب القصد في المهر فلقد كان

صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لزواجه خمسمائة درهم « من الفضة » وعلينا موافقة كل أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا للبركة .

وروى مسلم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت كان صداقه ثنتى عشرة أوقية ونصف أوقية فتلك خمسمائة درهم فهذا صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه » .

وكان الرجل يتزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من الذهب .

روى الشيخان عن أنس بن مالك أن عبدالرحمن بن عوف تزوج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولم ولو بشاة » .

بل كان يتزوج بخاتم من حديد أو بما معه من القرآن الكريم « بشرط موافقة الزوجة » .

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله جئت أهب لك نفسي قال فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال « وهل عندك من شي » ؟ قال لا والله فقال « اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا » فذهب ثم رجع فقال : لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظر ولو خاتما من حديد » فذهب ثم رجع فقال لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزارى « قال سهل ماله رداء » فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعي فلما جاء قال « ماذا معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا ـ لسور ـ عددها فقال « تقرؤهن عن ظهر قلبك » ؟ قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشغار وهو أن ينكح الرجل ابنته أو المرأة يلى أمرها من كانت على أن ينكحه الآخر ابنته أو المرأة يلي أمرها من كانت ولم يسم لواحدة منها صداق .

روى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن الشغار » والشغار : أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق .

كما لا يجوز النكاح إلا بموافقة ولي المرأة فللولي مع المرأة في نفسها حق وإن كان عليه أن لا يعضلها إذا رضيت أن تنكح بالمعروف .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فان أصابها فلها الصداق بما استحل من فرجها فان اختلفوا فالسلطان ولي من لاولي له » .

قال الله تعالى : (**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف**) البقرة/٢٣٢ .

وإذا اتخذ الزوج خاتما ليدل على الخطبة أو غيرها فلا يكون من الذهب وإنما يجوز ذلك للزوجة .

روى مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » .

وعلى الزوج أن يعد مسكنا وأن يؤثثه بفراش له وفراش لزوجته ـ لأنهما قد يحتاجان ذلك عند المرض ونحوه ـ وفراش ثالث للضيف ، ولأهل الزوجة أن يساهموا في ذلك .

روى مسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان » .

روى احمد والحاكم وابن حبان عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » .

ويتم الزواج بالعقد ، ويفضل أن يكون ذلك في شهر شوال .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قال « تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال » .

وعلى الزوج ان يولم وأن يدعى إلى الوليمة الأغنياء والمساكين .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » .

وعلى كل من دعى إلى الوليمة أن يحضر ويأكل ان كان مفطرا أو يصلي ان كان صائما .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعى أحدكم فليجب فان كان صائما فليصل وإن كان مفطرا فليطعم » .

ويجوز الضرب بالدف في النكاح لأن ما فيه من لهو ولعب يورث الألفة والانشراح كما يجوز للامام والعالم حضور ذلك ومشاهدته .

روى البخاري عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت :

جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى علي فجلس على فراشي فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائي يوم بدر إذ قالت احداهن . وفينا نبي يعلم ما في غد فقال « دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين » .

بل ان فعل ذلك ممودح ومطلوب .

روى البخاري عن عائشة انها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة « ما كان معكم لهو ؟ فان الأنصار يعجبهم اللهو » .

ومن السنة الذهاب إلى العرس لأن فيه إظهار الفرح والسرور .

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام ممتنا فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » .

وإذا أتى الرجل زوجته استعاذ بالله من الشيطان الرجيم .

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : « اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » .

وإذا أراد أن يعود ، عليه أن يتوضأ وإذا أراد أن يأكل أو ينام ، عليه أن يتوضأ كذلك .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » .

وروى مسلم عن عائشة قالت « كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة » .

وليس من حق المرأة أن تهجر فراش زوجها إطلاقا إلا باذنه ، فسخط الزوج يوجب سخط الله .

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

حتى إذا كانت حائضا فللزوج حق الاستمتاع بها بعد تغطيتها ما بين الركبة والسرة .

روى الشيخان عن عائشة قالت « كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها أمرها . فتأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها » قالت « وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه » .

ومن حق المرأة أن لا يأتيها زوجها في دبرها فهذا محرم .

في كتابه الأم ذكر الشافعي رضي الله عنه باسناد صحيح عن خزيمة بن ثابت أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إي حلال » فلما ولى الرجل دعاه أو أمر به فدعى فقال كيف قلت في أي الخربتين أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم أم من دبرها في دبرها فلا ،؟! إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن » .

ويفضل أن لا يترك الرجل زوجته قبل مرور سبع ليال - خاصة إذا لم يكن له زوجة غيرها - من ليلة الزفاف .

روى مسلم عن أبي بكرة بن عبدالرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوج أم سلمة فدخل بها فأراد أن يخرج أخذت بثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن

شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع وللثيب ثلاث » .

وللزوج على زوجته :

١ ـ ألا تصوم تطوعا إلا باذن منه إن كان مقيما معها لأن له حق التمتع بها في أي وقت والصوم يمنعه ، أما إن كان مسافرا فلها الصوم لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه .

٢ ـ كما لا يحل لامرأة أن تأذن لأحد بالدخول في بيت زوجها إلا باذنه وهذا محمول على ما لم تعلم الزوجة رضى الزوج به ، فإذا علمت جاز إذنها به وذلك حال حضوره أما في حالة غيابه فبالأولى أن لا يكون لها إذن في الأجنبي .

٣ ـ وإذا تصدقت المرأة وإذا أطعمت من طعام بيتها من مال زوجها بغير إسراف من غير أمره مع علمها برضاه فان للزوج نصف الأجر ، أما إذا كان ذلك باذنه الصريح أو العرفي فان لها أجرها وله مثله تماما وفي هذا إشارة إلى ضرورة تداول الرأي في التصرف .

ـ روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا باذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا باذنه ، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فان نصف أجره له » .

ـ وروى الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة ، كان لها أجرها وله مثله بما اكتسب ولها بما أنفقت » .

٤ ـ وعلى المرأة أن تطيع زوجها فتضمن حسن سير شئون الأسرة .

روى النسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

ولكن لا تطيعه في معصية الله فمثلا :

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقالت إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها فقال « لا انه قد لعن الموصلات » .

٥ ـ وعلى الزوجة أن تؤدي واجبها المنزلي وأن تعنى بأولادها عناية عظيمة فهذا لا يقل أهمية عن عمل زوجها خارج البيت وعليها الاستعانة بالله والتوكل عليه في ذلك فهذا خير لها من خادم .

روى الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته عائشة ، قال فجاءنا وقد اخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال « على مكانكما » فجاء فقعد

بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال « ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ اذا اخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم » .

٦ - وعلى المرأة أن تحذر من إنكار إحسان زوجها إليها فإن ذلك يؤدي بها إلى النار .

روى البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « .. وأريت النار فلم أر منظرا كاليوم أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء » قالوا بم يارسول الله قال « بكفرهن » قيل يكفرن بالله ؟ « قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط » .

٧ - ولا يجوز للمرأة - إن غضبت من زوجها - أن تهجر إلا اسمه كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفعل .

روى البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة « إني لأعرف غضبك من رضاك » . قالت وكيف تعرفه ؟ قال « إذا رضيت قلت لا وإله محمد ، وإذا غضبت قلت لا وإله ابراهيم » . قالت صدقت إنما أهجر اسمك .

وللزوجة على زوجها .

١ - حق الانفاق عليها وعلى ولدها .

قال الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ..**) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

وليعلم الزوج أن هذا أفضل الانفاق على الاطلاق .

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » .

وللزوجة إذا لم ينفق عليها زوجها أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

٢ - وعلى الرجل أن يرفق بزوجته وأن يصبر على عوج أخلاقها .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها ».

٣ - وعليه أن يمزح معها فيضاحكها ويلاعبها ليطيب بذلك قلبها على ألا

يفرط في ذلك .

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله قال « قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تزوج : « فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك .. » .

٤ ـ وعلى الرجل أن يمتنع تماما عن أن يتكلم مع الناس عما جرى بينه وبين زوجته من قول أو فعل أو يفشي عيبا من عيوبها أو يذكر من محاسنها ما يجب شرعا أو عرفا سترها ـ حتى إن كان غاضبا عليها وينوي طلاقها .

روى مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها » .

٥ ـ وعلى الزوج أن يشارك زوجته في أداء الواجبات المنزلية ويعتمد على نفسه ما استطاع .

روى البخاري عن الأسود بن يزيد قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في اهله ؟ قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

٦ ـ وعلى الزوج أن يغار على زوجته من كل ما يمس شرفها أو كرامتها على ألا يبالغ في إساءة الظن وتصديقه والاستمرار فيه روى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا » .

٧ ـ وإذا أعرضت المرأة عن أمر زوجها وتعالت عليه فعليه أن يبدأ بموعظتها أولا ثم يهجرها في الفراش لمدة لا تزيد عن شهر فإن لم ينجحا فالضرب غير المبرح البعيد عن الوجه قد يصلحها أما لغير ذلك فيكره ضرب الزوجة .

قال الله تعالى : « **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**) النساء/ ٣٤ .

وروى مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الرفق لا يكون في شيء إلازانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

روى مسلم عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه » .

ـ روى البخاري عن عبدالله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم » .

٨ ـ وعلى الزوج أن يعلم زوجته قواعد الغسل من الجنابة والطهارة وصلة ذلك بالعبادات ومنها :

روى الشيخان عن أسماء قالت جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيض كيف تصنع به قال

« تحته ، ثم تقرصه بالماء ، وتنضحه وتصلي فيه » .

« تحته = الحت الدلك بأطراف الاصابع مع صب الماء عليه ، تقرصه = تقطعه بأظافرها . النضح = استمرار صب الماء حتى إزالة الأثر) .

- روى مسلم عن أنس بن مالك قال : سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل في منامه فقال : « إذا كان منها ما يكون من الرجل فلتغتسل » .

روى مسلم عن عائشة أن أسماء بنت شكل سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال « تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ قرصة ممسكة فتطهر بها » قالت اسماء وكيف تطهر بها ؟ فقال « سبحان الله تطهرين بها » فقالت عائشة كأنها تخفي ذلك « تتبعين أثر الدم » .

وسألته عن غسل الجنابة فقال « تأخذ ماء فتطهر فتحسن الطهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تفيض عليها الماء » .

فقالت عائشة : « نعم النساء ، نساء الانصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

« السدرة = قطعة من القماش تستعملها المرأة في مسح دم الحيض » .

« قرصة ممسكة = قطعة من القطن عليها من المسك أو أي شي للتطيب به » .

روى مسلم عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله اني امرأة أشد ضفر رأسي وأنقضه لغسل الجنابة قال : « لا ، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين » .

روى مسلم عن معاذة بنت عبدالله العدوية قالت سألت عائشة فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فقالت أحرورية أنت ؟ قلت : لست بحرورية ولكني أسأل قالت : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » .

« الحرورية : طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة إذا طهرت » .

هذا وإن اشترط أحد الزوجين على الآخر شرطا خاصا قبل الزواج فعلى الطرف الآخر أن يوفي بهذا الشرط بعد الزواج .

روى الشيخان عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحق الشروط ان يوفي به ما استحللتم به الفروج » .

ولا يدخل في هذا أن تشترط المرأة طلاق أختها المسلمة فهذا ممنوع .

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « .... ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء صحفتها ولتنكح فانما لها ما كتب الله لها » .

وعلى الزوج رعاية زوجته وأولاده فيجد ويبذل وسعه ليصونهم وعليه الحزم والاعتدال في معاملتهم ، وعلى الزوجة رعاية زوجها وأولادها فتوفر لأسرتها الهدوء والسعادة والاستقرار .

روى البخاري عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول ، فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول » .

والعزل - وهو نزع الذكر من الفرج وقت الانزال خوفا من حصول الولد - غير ممنوع .

روى مسلم عن جابر قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا » .

ولكن ترك العزل أفضل وأولى فان المؤثر في وجود الولد وعدمه هو القدر وليس العزل فعلى المسلم العاقل أن يعلم أنه ليس بحاجة إليه وما عليه ضرر في تركه فان قدر الله شيئا فسيكون .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم فانما هو القدر » .

ولكن على المسلم أن يستعيذ بالله من جهد البلاء وهو قلة المال مع كثرة العيال ثم يبذل قصارى جهده للحصول على المال اللازم لنفقة أولاده .

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

وليست المرأة هي المسؤولة عن إنجاب الذكور أو الاناث .

روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت قائما عند الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام فكان مما سأله قال : أسألك عن الولد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذكرا باذن الله واذا علامني المرأة منى الرجل أنثا باذن الله » - قال اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به » .

وليس للزوج أن يشك إذا ولد له طفل بعيد الشبه بوالديه لأن ذلك يرجع إلى العوامل الوراثية .

روى الشيخان عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ولد لي غلام أسود ! فقال له : « هل لك من إبل ؟ قال نعم ، قال : « ما ألوانها » ؟ قال حمر . قال « هل فيها من أورق » ؟ قال نعم ، قال « فأنى ذلك » ؟ قال لعل نزعه عرق ، قال « فلعل ابنك هذا

نزعه » .

وعلى الوالدين :

١ - أن يختارا اسما حسنا لولدهما مع مراعاة الآداب الآتية :

روى مسلم عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسمي غلامك رباحا ولا يسارا ولا أفلح ولا نافعا » (وكذلك سائر الاسماء التي قد يتشاءم منها صاحبها) .

روى مسلم عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أقنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله عز وجل » .

روى الشيخان عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فاني أنا أبو القاسم أقسم بينكم » .

روى مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن » .

٢ - أن يقدما ذبيحة - ولوشاة - لاماطة الأذى عن الطفل ، وليكن ذلك في يوم أسبوعه كما يجوز عند ذلك الضرب بالدف وسماع الغناء لأن ذلك من سائر أوقات السرور التي يباح فيها اللهو .

روى البخاري عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما واميطوا عنه الأذى » .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » .

٣ - وأن يذهب به والده إلى رجل صالح ليحنكه وليدعو له بالخير .

روى مسلم عن أنس بن مالك قال ذهبت بعبدالله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عباءة يهنأ بعيرا له ، فقال « هل معك تمر » فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه فجعل الصبي يتلمظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الأنصار التمر وسماه عبدالله » .

٤ - وتتم رضاعة الأولاد في عامين كاملين .

قال الله تعالى : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة/٢٣٣ .

٥ - وعلى الوالدين ملاطفة الأطفال والرحمة بهم .

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « من

لا يرحم لا يرحم » .

٦ - وأن يعدلا بينهم في كل شي .

روى مسلم عن النعمان بن بشير قال تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي لا أرضي حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقتي فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « أفعلت هذا بولدك كلهم » قال لا قال « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » فرجع أبي فرد تلك الصدقة .

٧ - وأن يحذرا أن يدعوا على أولادهما مهما كانت الأسباب خشية أن يستجيب الله .

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لعن بعيره - « انزل عنه فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » .

وبعد أيها الأخ المسلم فهذه هي بعض آداب النكاح التي سبق شرحها ، وأود أن تلاحظ الآتي :

١ - حرص الاسلام على حماية ابنائه من اقتراف جريمة الزنا فدعاهم للزواج .

٢ - وحرص على استمرار الحياة الزوجية إلى الأبد فجعل اختيار الزوج والزوجة قائما على أساس تمسكهما بالدين فهو الضابط لسلوكهما .

٣ - وعلى أفراد المجتمع احترام خطبة الرجل للمرأة فنهى الرجل أن يخطب على خطبة آخيه بمجرد معرفته ذلك ، بل عليه أن يسمو بأخلاقه ، فلا يتقدم لخطبتها لمجرد سماع أخيه يذكرها لنفسه .

٤ - وأعطى المرأة الحق الكامل في قبول الزوج أو رفضه وليس لوليها الحق في أن يفرض عليها زوجا مهما كانت الأسباب ، لكن إذنه ضروري لصحة عقد الزواج .

٥ - وحرص على تيسير الزواج فدعا إلى عدم المغالاة في المهر ، حتى أن ما مع الرجل من القرآن الكريم يجوز أن يكون مهرا .

٦ - ودعا إلى اللهو واللعب في حفل الزفاف لأنه يورث الألفة والانشراح وإلى المشاركة في ذلك لاظهار الفرح والسرور .

٧ - ولما كان من اغراض هذا الزواج عفة النفس جعل الاسلام جماع الرجل لزوجته صدقة ، وحضه حينئذ على ذكر الله والاستعاذة به من الشيطان حتى لا يضره أو يضر ولده ابدا .

٨ - وأوجب الاسلام حقوقا للزوجة على الزوج ، وللزوج على الزوجة ، لتحقق الأسرة الأغراض السامية التي من أجلها قامت .

٩ - كما أوجب على الوالدين العناية بأولادهما وحسن تربيتهم والعدل بينهم لينشأ مجتمع فاضل .

١٠ - ان المجتمع الاسلامي مجتمع متكامل ، فيسر المهر وطاعة المرأة لزوجها وإخلاصها له ، يقابله حسن معاشرة الرجل لزوجته وصونه لها ، وجهده في حياته لاسعادها .



يقول الطبيب الفرنسي والعالم المستشرق « موريس بوكاي » في كتابه القيم « التوراة والانجيل والقرآن في ضوء المعارف الحديثة » يقول انه قد قام بدراسة مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة في كل ما تعرضت له من حقائق علمية وفي ضوء تكنولوجيا القرن العشرين .. فاذا به يكتشف أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي لا توجد فيه حقيقة علمية واحدة فيها خطأ . أو تتعارض مع مكتشفات العلم الحديث .

ويقول بوكاي أنه وجد في الكتب الأخرى الكثير من التناقضات والأخطاء التي لا تتفق مع المنطق العلمي . ثم يعلق على ذلك بقوله : « غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة . وتلك التي لا يحتملها التصديق وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم . لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الايمان بالله . ولا تقع المسؤولية فيها الا على البشر فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص والكتب المقدسة » .

أما القرآن .. فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف ، والذي ظل محفوظا لنا بنصه وروحه كما أنزل ، ومن هنا كان ما ذكره القرآن من حقائق علمية معجزة لا يستطيع بشر في القرن السابع الميلادي مهما أوتي من العلم أن يأتي بمثلها .. وفي هذه العجالة نتناول أحدى معجزات القرآن العلمية



وهي جسم الانسان وما ذكره القرآن عن تركيبه ونموه ...

وأول هذه الحقائق التي تصادفنا في القرآن هي أن الله تعالى قد خلق الانسان في أحسن صورة بين خلقه جميعا : (**وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير**) التغابن/٣

فالانسان أعظم خلق الله ذكاء ، وأجملهم خلقة .. وأدقهم تركيبا وصنعا .. وأكثرهم تكيفا للحياة على الأرض ...

ولكي يزداد ايمان هذا الانسان بقدرة الخالق فان الله يأمرنا أن نتأمل في أجسامنا وصنعتها وتركيبها فيقول تعالى :

(**وفي انفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/٢١

وأول معجزة ينبه اليها القرآن أن هذا الكائن البشري المعقد التركيب الدقيق الصنعة .. قد خلقه الله من تراب وطين أي من عناصر الأرض . وفي ذلك يقول تعالى :

(**ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر**) الروم/٢٠ وقوله : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**) المؤمنون/١٢

وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الانسان يتكون من جميع العناصر الموجودة في البيئة المحيطة بنا .. فعنصر الكالسيوم الموجود في الحجارة هو نفسه الموجود في عظامنا .. والبروتينات الموجودة في النبات هي نفسها الموجودة في أعضائنا .. وفي جسم الانسان من العناصر الأرضية الحديد والفوسفور واليود والماغنسيوم والبوتاسيوم بنسب

دقيقة وثابتة بين جميع البشر ..

واذا نقص أحد هذه العناصر في أجسامنا نجم عن ذلك مرض معين ، فنقص الكالسيوم يؤدي الى لين العظام .

ونقص الحديد يؤدي الى فقر الدم .

ونقص اليود يؤدي الى الغدة الدرقية .

ونقص الفوسفور يؤدي الى تسوس الأسنان .

ونقص البروتينات يؤدي الى هزال الجسم والعضلات .

وليس هذا فحسب .. بل ان الزيادة أيضا تؤدي الى أمراض أخرى .. فزيادة الكالسيوم في الانسان تؤدي الى تصلب الشرايين .. وزيادة الفوسفور تؤدي الى تآكل الأسنان وهكذا

وفي هذا كله خير دليل على ارتباط الانسان بالأرض .

وسبحان من قال : (**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**) طه/٥٥

ويأمرنا الله أيضا بالتأمل في أجسامنا .. وصنعتها ..

في هذا القلب الذي يظل ينبض بأمر الله تعالى ليلا ونهارا على مدى سنين العمر كله .. وهذا العقل الذي يظل يعمل ويفكر ليلا ونهارا في اليقظة والنوم .. وفي الرئتين والكبد والأمعاء ، وكل منها له وظيفة يؤديها دون كلل ولا راحة .. وفي الأذن التي تسمع والعين التي ترى واللسان الذي ينطق ويتكلم .. وفي هذا يقول الله تعالى : (**ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين**) البلد/٨ و ٩

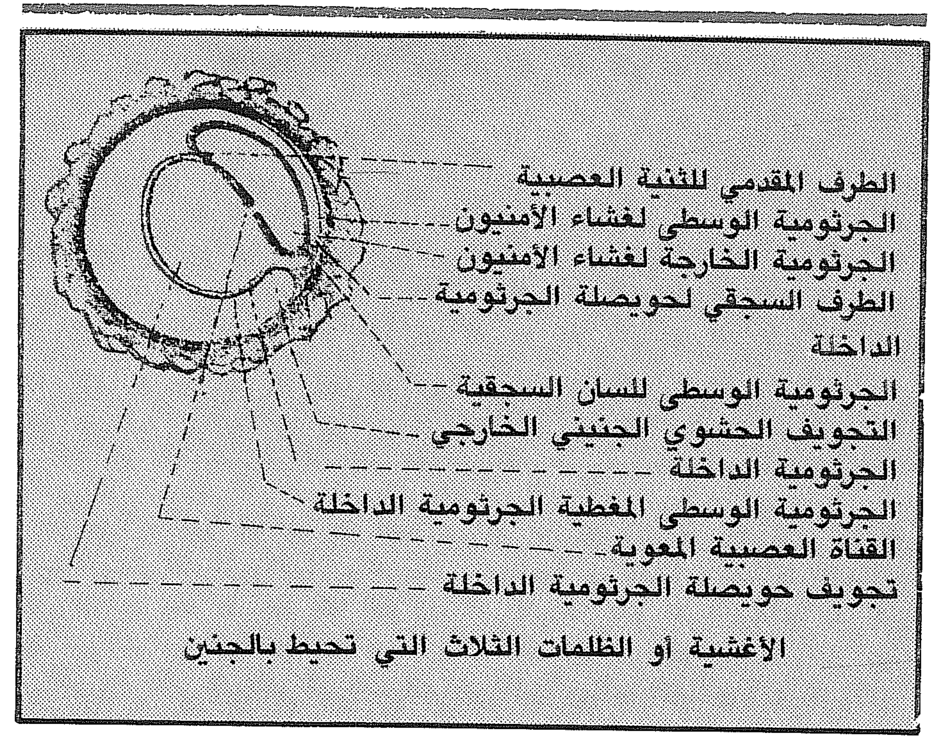
ثم يأمرنا الله تعالى بالتفكير في خلقنا .. وكيف كان الانسان نطفة في قرار مكين أي في الرحم ؟ .. ثم أصبح علقة ثم مضغة ثم ينفخ الله فيه من روحه فتتكون له أعضاء وأطراف .. ثم يخرج باذنه تعالى طفلا رضيعا .. يقول الله تعالى في سورة « المؤمنون » :

(**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) ١٢ ـ ١٤

واذا تأملنا هذه الكلمات .. التي أنزلت على لسان النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ولم يتعلم في المدارس ، وقبل أن يعرف العلم الحديث مراحل تطور الجنين بأربعة عشر قرنا ، واذا تأملنا هذه الدقة العلمية في وصف مراحل نمو الجنين .. لأحسسنا باعجاز القرآن وروعته ..

فالجنين يكون أول أمره نطفة .. أي قطعة غير مشكلة ومكونة من اتحاد جزأين أو جسمين هما البويضة والحيوان المنوي ..

وعادة يتم اخصاب البويضة وتكوين النطفة في الثلث الوحشي للقناة الرحمية ، ثم تأخذ النطفة مسارها في القناة الرحمية حتى تدخل الرحم وتصل الى مكان الانغراس فيه ، وهو ما يعبر عنه القرآن (بالقرار المكين) وهذا المكان في المنطقة العليا في الجزء



الأغشية أو الظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين

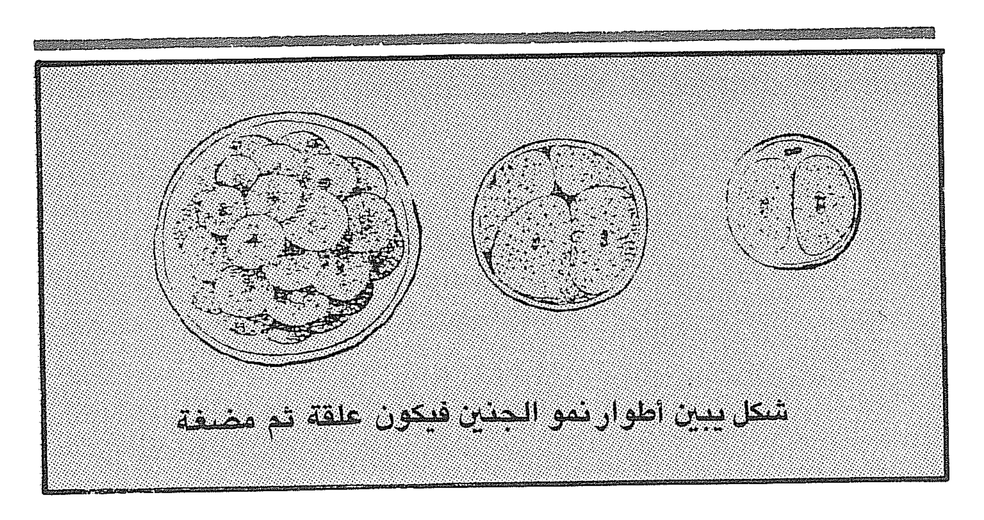
الخلفي لجدار الرحم .

فاذا لم تعلق النطفة بهذا المكان بالذات وعلقت بمكان آخر فان الجنين يتعرض للاجهاض وقد يسبب متاعب في الحمل وهو ما يسمى علميا « بالانغراس المعيب » .

وما أن تصل النطفة الى مكان الانغراس حتى تتعلق به وتلتصق بجدار الرحم وهو ما يعبر عنه القرآن (بالعلقة) وتستغرق الرحلة من القناة الرحمية الى مكان الانغراس خمسة أيام يكون الرحم قد تهيأ خلالها لالتصاق العلقة به . ويتم الالتصاق باندماج غشاء العلقة بغشاء جدار الرحم .

وتبدأ العلقة في الانقسام ، وتكبر في الحجم حتى تصبح في شكل المضغة وهو ما يسمى في الطب الحديث بالجنين التوتي (Mulbry Stage) ولنا هنا وقفة تأمل بين التعبير القرآني (**المضغة**) والتشبيه العلمي التوتة .. فالجنين في هذه المرحلة يكون عبارة عن قطعة لحم على سطحها بروزات أشبه بالبروزات والنتوءات التي تتركها الأسنان على قطعة اللحم التي تمضغها وهو ما يشبهه العلم بسطح التوتة المحبب .

وبعد هذه المرحلة يبدأ تكوين العظام تماما كما جاء في القرآن فأول مركز تمعظم (أي تكوين النسيج العظمي) يظهر في الأسبوع السابع الرحمي عندما يكون الجنين حوالي ٢ سم طولا ..



شكل يبين أطوار نمو الجنين فيكون علقة ثم مضغة

وبعد أن تتكون العظام يبدأ ظهور العضلات في الأسبوع الثاني عشر من عمر الجنين وهو ما يعبر عنه القرآن بقوله (**فكسونا العظام لحما**) .

وحتى عصر قريب لم يعرف الانسان طبيعة النطفة الأولى .. وكيف يتكون الجنين ، فكانت نظرية الاغريق التي تقول ان الجنين يتكون من نقطة دم داخل الرحم واذا لامسها مني الرجل تجمدت وكونت جنينا وذلك لأن الميكروسكوب لم يكن قد اكتشف حتى يتبين العلماء أن السائل المنوي عبارة عن حيوانات دقيقة وأنها تتحد مع البويضة في رحم الأنثى لتكون جنينا .. ولكن القرآن قد سبق الى ذكر هذه الحقيقة في قوله تعالى (**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج**) الانسان/ ٢ .. وكلمة أمشاج مكونة من اتحاد عنصرين أو جسمين مختلفين في النوع ، وهما الحيوان المنوي والبويضة وفي اللغة العربية يقال مشجه ـ يمشجه أي خلطه بشيء آخر .

وكثيرا ما يتعرض القرآن لحقائق علمية في التشريح وخاصة تشريح الأجنة : ومن هذه الحقائق ما كان غامضا على الفهم وقت نزوله ، وما احتار علماء التفسير في فهمه .

فمن ذلك قوله تعالى : (**فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب**) الطارق/ ٥ ـ ٧ .

والصلب هو العمود الفقري ، والترائب هو القفص الصدري .. ومعنى الآية أن الخصية التي تكون السائل المنوي مكانها الأصلي داخل البطن قرب العمود الفقري وقد ثبتت هذه الحقيقة بتشريح الأجنة .

فالخصية تهاجر من مكانها داخل البطن مع نمو الجنين .. ثم تنزل الى الكيس الخاص بها قبل الولادة وبعض الأطفال يولدون بأحد الخصيتين أو كليهما في بطنه ، وهذه تعيق نمو الطفل وتعرضه الى الاضطرابات الهرمونية ما لم تجر له عملية انزال الخصية الى الكيس وهذه

الحقيقة لم تكن معروفة حتى عصر قريب .

ثم تأتي آية أخرى لتزيد هذه الحقيقة تأكيدا . ففي سورة الأعراف يقول تعالى : (**واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم**) ١٧٢ ، فهذا تأكيد آخر على الموضع الأول للغدة التناسلية في الانسان ومن الحقائق التي ذكرها القرآن واحتار المفسرون في فهمها قوله تعالى : (**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**) الزمر/٦ قال بعضهم : ان الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن ثم ظلمة الحياة ثم ظلمة القبر . وقال آخرون : انها ظلمة البطن والرحم والمشيمة ... وكلا التفسيرين لا يستقيم مع المعنى المقصود من أن هذا التطور يكون داخل الرحم محاطا بثلاث ظلمات ..

ويفسر لنا العلم الحديث هذه الآية .. بأن الجنين نفسه ضمن مراحل نموه وتطوره يكون حوله ثلاثة أغشية رقيقة جدا .. هي (الأمنيون والكوربون والألنتوبس) وهذه الأغشية الثلاثة لا تكون موجودة في الرحم أصلا .. ولكنها تتخلق وتتشكل مع ابتداء تكون الجنين وتحيط به في مراحل تطوره ونموه وكلمة الظلمات التي ذكرها القرآن يقصد بها الأغشية المظلمة التي تحمي الجنين داخل الرحم ويتحرك داخلها والله أعلم ...

تعيين جنس الجنين :

يقول الله تعالى عن جنس الجنين :

(**ألم يك نطفة من مني يمني . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**) القيامة/٣٧ - ٣٩

لقد كان الاعتقاد السائد من آلاف السنين وحتى عهد قريب أن نوع الجنين سواء كان ذكرا أم أنثى يتوقف على المرأة وحدها . وأن هناك نساء تعيسات لا تنجب أرحامهن سوى البنات .. وأخريات ينجبن الأولاد .

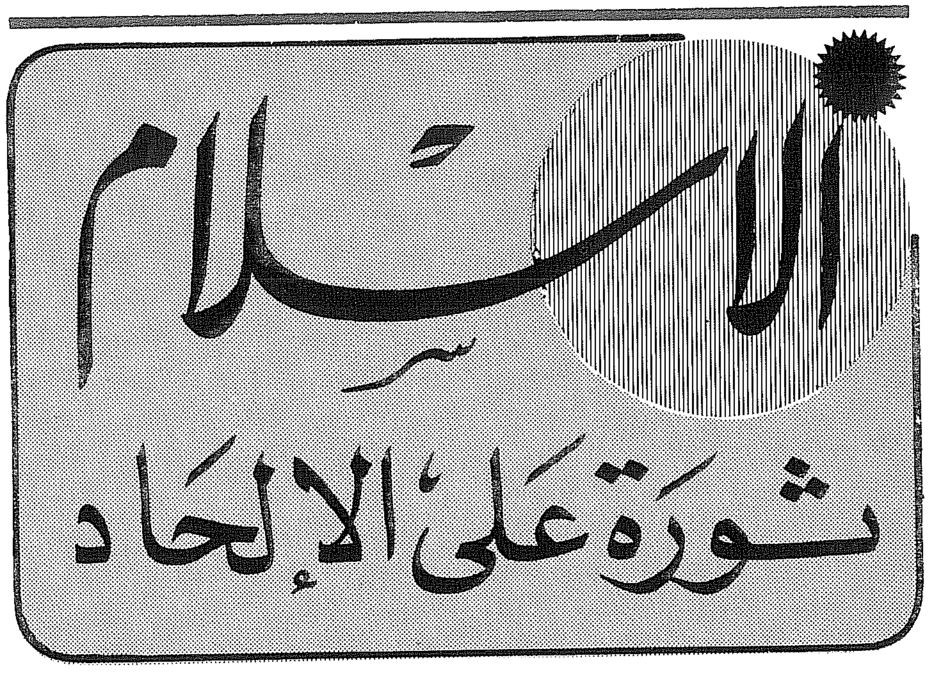
وكان هذا الاعتقاد متفشيا في الجاهلية الى الحد الذي يجعل الرجل يطلق المرأة اذا أكثرت خلفة البنات . وقد أثبت العلم الحديث أن مني الرجل فيه نوعان من الحيوانات مذكرة ومؤنثة وأن بويضة الأنثى لا علاقة لها بجنس الجنين .. فاذا اتحد حيوان منوي مذكر مع البويضة أنجبت ذكرا ، واذا اتحد معها المؤنث أنجبت أنثى فمني الرجل هو الذي يفرز جنس الجنين ..

وقد جاء القرآن ليقرر هذه الحقيقة قبل أن تعرف بأكثر من ألف عام . وهي أن النطفة أي جنين المستقبل يتكون من المني ، وأن هذا المني هو الذي يحدد اذا كان الجنين ذكرا أم أنثى هذا وحده اعجاز الهي ..

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى قوله تعالى (**فجعل منه**) أي جعل من هذا المني الذكر والأنثى ولم يقل (فجعل منها) أي جعل من النطفة نفسها .

هذه هي بعض معجزات القرآن الكريم في جسم الانسان وفي خلقه وتطوره .. وصدق الله تعالى :

(**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) ٧



للأستاذ/سيد خليل الابوتيجي

لقد جاء الاسلام الحنيف وسطا معتدلا متفقا مع طبائع النفوس وطبائع الاشياء ، فلم يستعمل القوة الا في المواضع التي تحتاج الى القوة ، ولم يكن شديدا صارما الا في كل ما هو حق وواجب ، كما حبب الرفق والتسامح والصفح فيما يتطلب ذلك ، وهو دين عالمي وتشريع سماوي هدفه سعادة البشر في الدنيا والاخرة ، وقد اعتمد في نشر دعوته على المنطق والحجة ، فكان يخاطب العقل في كل اموره ويحكمه في كل شأن من شئونه لان الانسان بالعقل والقلب عرف خط سيره وبهما يرتفع ويتسامى ويجمع بين عالمي النور والمادة .

ولما كان المنهج الالحادي خصيما للطبيعة البشرية عسيرا على الفطرة السليمة محقرا لشأن الانسان كان الاسلام ثورة عنيفة على كل ما يهين او يقلل من كرامة هذا المخلوق الذي وضعه الله موضع التكريم قال تعالى (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) سورة الاسراء ٧٠ ومن هنا كان النهوض بالكرامة البشرية اول مظهر من مظاهر الاسلام ، فهو يؤمن بحرية الفرد ومصلحته ما دامت لا تتعارض ومصلحة المجموع وعمل على ان يكون حر التفكير مستقل الرأي في كل ما يطرأ له من اشياء وما يلم به من امور ، وان يجتهد دون ان يتأثر باي عامل خارجي يضيق عليه ويحد من حريته ، وذلك اعتراف .

بشخصية الفرد ليحافظ على كيانه حتى لا يتلاشى في المجموع ويذوب في الدولة فان ذلك يقتل فيه حب النشاط والجهد والحيوية ويغرس في النفس النشيطة الخمول والكسل والشعور بالظلم . ولذلك كان الانسان في نظر الاسلام حرا يعمل ويمتلك ويتفاعل مع المجتمع . اما التصور الالحادي فهو لا يعترف بالفرد ولا يؤمن بذاتيته وحريته ومن هنا بدأ العداء ... فالاسلام اذ يحارب الفكر الالحادي لانه فكر يهدف الى تجريد النفس البشرية من اسمى غرائزها واجل عواطفها ولانه فكر تافه وضلال سافر وفساد كبير ، وهو قبل كل شيء مناف للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، اذ هو عبارة عن مجموعة متناقضات في ثوب مهلهل ترمي الى العداوة والخصومة ومما يسترعي الانتباه أن دعاة الالحاد يرفعون عن ضمير الفرد شعوره بالمسئولية في اخطائه ويلقونها على المجتمع فهم يهدمون الاساس الذي لا كيان للاخلاق بغيره ، ويوهمون المذنبين والخاطئين انهم ابرياء من التهم منزهون عن المسئولية لان المجتمع هو السبب في فساد من افسد واجرام من اجرم .

اما الاسلام الذي يستهدف في كل تشريعاته وقوانينه صلاح الفرد وسعادته فانه يلقي التبعة عليه اولا ويجعل المجتمع مسئولا عن اشاعة المنكرات وانتشار الرذائل كما يجعل حرية الفرد محدودة بحيث « لا ضرر ولا ضرار » حتى لا تكون الحرية سلما الى الفوضى وتخلصا من الاوامر والنواهي والواجبات فينزلق الفرد في حضيض الاباحية ويسلم نفسه الى الشهوات فيعيش كالبهيمة حسب ارضاء غرائزه واشباع رغباته ، ولذلك نرى مظاهر الفوضى الخلقية بارزة بصورة واضحة في المجتمعات الملحدة التي انعدمت فيها الضمائر وماتت فيها القلوب فلم تر دلائل الهدى ولم تبصر انوار الحق لانها اغلقت نوافذ الايمان .

اوهام في التصور الالحادي

١ ـ يتخذ دعاة الالحاد في المجتمعات الحديثة من المنهج العلمي معاول للهدم ووسائل لنشر سمومهم بين الناس ومن امثلة ذلك « نظرية داروين » في النشوء والارتقاء ، وهي نظرية قائمة على الظن والحدس والتخمين وليس لها دعائم قوية تؤيدها ومع ذلك يستغلها الملحدون في هدم الاخلاق وتدمير الجوانب الاجتماعية وطمس معالم الفطرة السليمة فيوهمون البسطاء بان الانسان ليس اكثر من حيوان فحسب فتهتز لديهم القيم الدينية والمعايير الخلقية ويتحول المجتمع البشري السامي بنعمة العقل الى قطعان من الوحوش والبهائم « عالم الغابات » لاهم لهم الا تلبية نداء الجنس الذي يرقى عندهم فوق كل نداء والصهيونية العالمية تعمل بكل ما تملك من طاقات وامكانات مادية واعلامية لتروج وتزخرف لهذه النظرية الهابطة التي جنت على البشرية وهدمت معايير الفضيلة ..

٢ ـ المذهب المادي .. وهو عند الملاحدة مذهب فلسفي قديم بدأ مع الحضارة الغربية منذ ثلاثة قرون وزاد اتساعه في القرن التاسع عشر وقد ظهرت نتائجه المشئومة في القرن العشرين ونقطة الارتكاز في هذا التصور المليء بالهذيان جملة صغيرة قصيرة تقول ان الكون مادة لا اله لها .. وهو تصور جاهلي لا يقوم على دليل ولا يستند الى شيء ، بل تصور واه متناقض ، ولووقفنا مع هذه الخرافة وقفة قصيرة لعرفنا انها نوع من الهوس اكتسى ثوب الفلسفة الجوفاء وحلة المنطق المحموم وحاول الماديون ان يجعلوا بينه وبين العقل نسبا وصهرا فافسدوا العقول بسمومهم .

فهذه الدعوة الخبيثة لا تعترف الا بما يؤثر في حياة الفرد تأثيرا مباشرا ويقع في دائرة الحس المادي ، وما دون ذلك اوهام وظنون وما تقوله الاديان السماوية عن المعاني الروحية والعالم العلوي .. فكل هذا عند « الماديين » اماني ودعاوى واضغاث احلام وعلى الانسان ان يعتقد انه ابن الطبيعة وان يعيش بلا قلب وبلا روح « انسان آلي » وعليه ان يغلق سمعه عن العقائد الدينية حتى لا تغلق امامه ابواب السعادة المزعومة ، ومن هنا كانت الشرائع السماوية العدو الاول للالحاد والاسلام بصفة خاصة لانه كاشف لافانين الخداع المادي وأينما كان الاسلام توقفت حركة الالحاد .

٣ ـ الصدفة مما يثير الاذهان ويقزز النفوس هذا التناقض الواضح في ذلك الفكر المحموم الذي يهدم بعضه بعضا ، وانني لواثق ان هؤلاء المنكرين الجاحدين من اصحاب الدعوات المضللة باسم العلم او الفلسفة لو رجعوا الى انفسهم بشيء من التعقل والتروي لادركوا حقا انهم على غير الصواب . ولكنهم مغرورون باوهامهم الزائفة محجوبون بمشاهداتهم المحسوسة حيث لم يروا غير المادة ورأوا سرابا خادعا فقالوا « الكون وليد الصدفة » .

بل من العجيب ان وجود قوة قادرة حكيمة مدبرة لهذا الكون امر غير قابل للمناقشة .. ونحن نتساءل كيف يلغي هؤلاء عقولهم ؟ وكيف يتصورون ان هذا الكون الهائل بسمواته واراضيه وشمسه وافلاكه ونجومه و ... و ... قد تكون على هذا النظام العجيب المتسق من تلقاء نفسه نتيجة للصدفة العمياء .

ومما لا شك فيه ان اي عاقل لا يعتبر هذا القول الا ضربا من ضروب العته والجنون ، لان الايجاد والتدبير والدقة والابداع والاحكام لا يمكن ان يتم الا بقوة حكيمة عالية هي يد الله جلت قدرته وهذه بداهة لا تحتاج الى كد الذهن او اجهاد الفكر ، وهذه حقيقة سافرة ، مشرقة لامعة قال تعالى :

(الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) ، سورة الزمر ٦٢ ـ ٦٣

فمن الحماقة والتغفل ان يتصور ذو

عقل ان الفوضى او المصادفة تخلق وتدبر وتبدع .. ولكن الملاحدة سفهوا انفسهم عندما الغوا عقولهم ..

دور الاسلام في مواجهة الالحاد :

يجب ان نعرف ان معنى الالحاد في اللغة هو الحيد والعدول عن الصواب ومعناه العرفي والتشريعي موت في الضمير وعماء عن الحق بل انتكاس في الفطرة الانسانية ، وانعزال عن القوة الحقيقية المؤثرة في الفطرة الانسانية في هذا الكون ، والالحاد انقطاع عن الحياة الابدية وتمزيق للصلة التي تربط بين المخلوق وخالقه حتى يعيش الانسان محصورا في قوقعة الحس الضيقة تتهشم داخلها عظامه فيحيا في دائرة المادة الغليظة بلا ادراك وبلا راحة ، وبغير طمأنينة ولا ثقة ولا يقين ، فالملحد في قلق دائم وفي ضياع مستمر وفي حيرة قاتلة لانه انسان قتل ضميره فغطت على عينه الأوهام فتجرد من الايمان واصبح أحط من مستوى البهيمة السائمة التي لم تعط قدراته ولم تؤت مواهبه قال تعالى : **(لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)** سورة الاعراف ١٧٩ .

ومن الآيات نفهم انه لا فرق بين انسان بلا عقيدة وحيوان يدب على اربع او يزحف على بطنه ..

واذا كان دعاة النزعة الالحادية يبدأون دعواهم الخبيثة بإماتة الضمير عند الانسان فان الاسلام قد ركز في كل تشريعاته على ايقاظ الضمير واحياء الشعور بمراقبة الله ، فالضمير هو ما يضمره الانسان ويستره وهو الوازع النفسي الذي يوجه السلوك ويقوم الاخلاق ويدفع صاحبه الى الخير ويمنعه عن الشر ولذا عنى الاسلام بتربيته ، وجعله حكما مسيطرا على القلب يصفيه ويزكيه قال تعالى : **(ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها ..)** سورة الشمس من ٧ الى ١٠ .

ومن يتأمل اساليب الالحاد ووسائل نشر سمومه يجدها ملتوية ، متغيرة متطورة تتخذ في كل يوم ثوبا جديدا ولونا براقا .. ولكن ما بسط الاسلام جناحيه في مكان الا تخاذلت وانكشفت الاعيب الملحدين وردت سهامهم الى نحورهم قال تعالى : **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)**

وهكذا يصد الايمان الملحدين ويبقى غصة في حلوقهم ويذري التراب في عيونهم ، وسيبقى الاسلام يلاحق وثباتهم ويتتبع خطواتهم حتى يردهم على اعقابهم خاسرين .

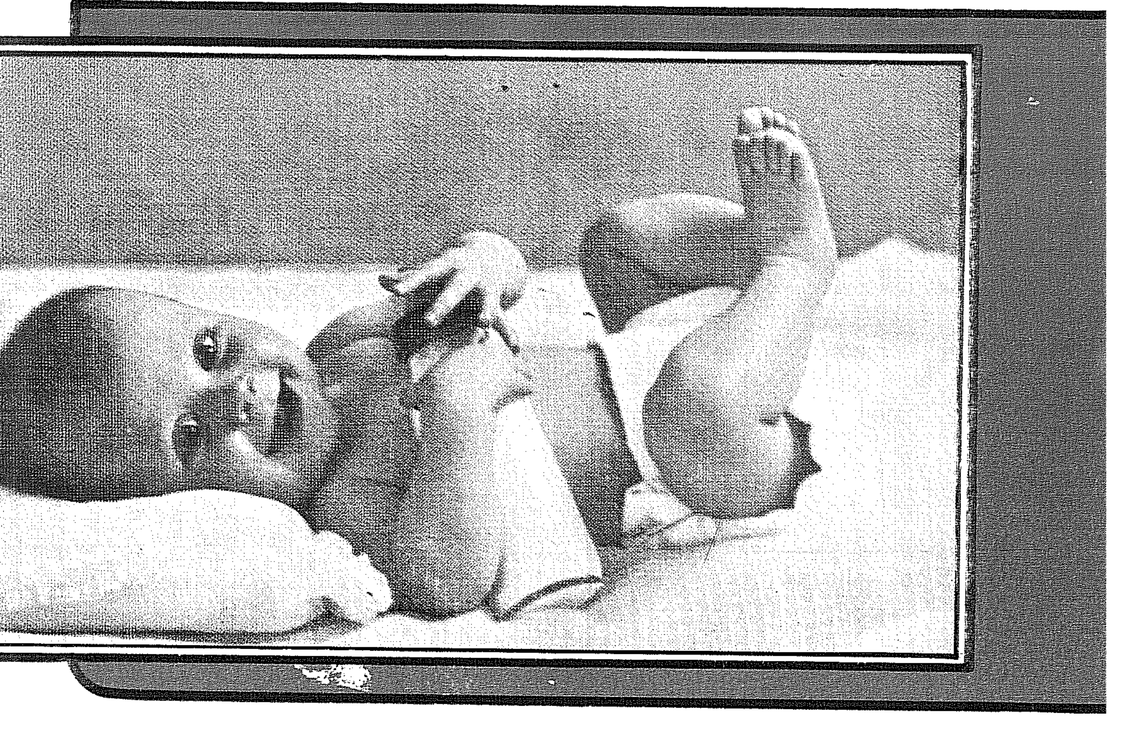
وسيبقى الاسلام ينير لاهله الطريق ويمد أبناءه بروحه ويهديهم بهديه ولن يغض الطرف عن اي مشكلة يتعرض لها بنوه الا وعالجها ووضع نقاطها فوق حروفها ..

وسيعرف الملحدون ان الباطل لا يستطيع ان يلتقط انفاسه ما دامت يد الحق كاتمة على انفه ، وان الالحاد لن يعيش ما دامت عين الاسلام ناظرة اليه .



تحت هذا العنوان ، لا اريد ان اقول ان الطفل المسلم في ايامنا هذه لا يجد ما يقرؤه ، وهذه معارض الكتب تعج بأجنحة كتب عليها « كتب الاطفال » ، كما لا اريد ان اقول ان الوسط الادبي في البلاد الاسلامية يغفل الاطفال اغفالا ، وهذه واجهات المحال تزينها اغلفة تحمل السلاسل المشهورة « قصص الاطفال » ، « مجموعة الطفل الذكي » ، « ادب الصغار » .. الى اخر ما تحفل به المكتبات من هذه المسميات .

ولكن الذي اريده ، ان ما يعنيه كثرة المعارض وامتلاء الواجهات على هذا النحو شيء ، وان ما يعنيه تقديم الادب المناسب للطفل ، شيء اخر ، فانك اذا زرت المعرض ، وملأت حقيبة طفلك بما تجد هناك ، فالقليل مما تحويه الحقيبة ، يتناسب مع الطفل .. سواء من حيث لغته « اقصد اللغة التي يستطيع ان يستوعبها والمستوى الذي يراد له ان يصبح عليه بعد تحصيل هذه الكتب » ، او من حيث مضمونه ومادته العلمية في مواكبة المناسبة التي يقدم فيها ، او من حيث اعداده العلمي والادبي والفني « اقصد مدى ما يستكمل من فنون القصة المكتوبة او الرواية المسموعة » ومن حيث الاسلوب الذي اعد به ، ومدى ما يتناسب هذا الاسلوب ، ليس فقط مع



القدرة الاستيعابية للاطفال ، ولكن ايضا مع ضرورة جلب اهتمام الطفل واستقطابه الى تحصيل مادة الكتاب .

هذا هو القليل ، مما تحتويه الحقيبة ، اما الكثير منه ، فقد اعد ارتجالا ، قل كيفما اتفق ، او قل كيفما جلب الربح ، ولا تعجب عندما اقول ان من المؤلفين ومن الناشرين من يعرف ان كتب ومجلات الاطفال ..

كنز لا يفنى ، وملك لا يبلى ، والاب عندما يدخل الى المعرض ، لا تنسى الواجهات ان تذكره بطفله ، وطفله ، امل عزيز ، يجب الا ينسى في هذه المناسبة ، بل وفي كل مناسبة ، هو يريد لطفله كتبا تحمل الاسم والمعنى اذا ما كتب عليها « كتب للاطفال » ،

والواجهات ، بعضها يريد ان يعطيه غرضه وكثير منها يريد له ان يأخذ من بضاعتها ، وفي الحالتين ، أو في الحالات جميعا ، هو آخذ من بضاعتها لطفله ، انه عزيز عليه ، ألم اقل ان من المؤلفين والناشرين ، من يعرف من اين تؤكل الكتف ؟

ولعل هذا ــ هذا المظهر التجاري ــ هو السر الكامن وراء امتلاء الواجهات بالكتب والمجلات

التي تتضمن من السموم ، ما يمكن ان تتضمنه قصة بوليسية « بطلها » لص ماهر يسرق النقود ويختلس الحلي ويخدع العسس ، أو قصة من قصص العنف « بطلها » ولد فاشل او رياضي منحرف يوظف عضلاتــه في اكثــر الاعمال سفالة من خطف الطعــام وترويع الاسواق وابتزاز النسـاء ، او قصة جنسية « بطلتهـا » مراهقــة تنتقل بين الحانات والمراقص ومواطن السـكر والعربـدة ، فضـــلا عن الاحضان والمخــادع مع الصبيـان والمردان ، وفي كل مرة ، اللص هو « البطل » والمنتهب هو « البطـل » والعربيدة هي « البطلة » وقد اعدت هذه الكتب اعدادا متقنا ، وصممت من اول غلافها الى اخر شيء فيها بدربة فائقة على جذب اهتمام الطفل ، ثم تسليته ، ثم تسميمــه ، .. ثم القضاء عليه « فكريــا » .. ثم ... دفعه في الهاوية .

وفي هذا السياق ، لا بد ان ادير عليك طرفا من سؤال ، يقول : ترى من المسئول ؟ ، هذا القصور الذي بات ضحيته الطفل العربي ، المسؤول عنه المؤلف ؟ أم الناشر ، ام الدولة ، ام الاب ؟... ام التطـور الادبـي عموما ؟

قد لا يثير الدهشة ان يكون هؤلاء جميعا شركاء في المسئولية ، فالذي يثير الدهشة ان يكون قطاعا واحدا منها هو المسئول عن كل هذا ، وانما المثير للأسى ، ان يكون الطفل محاطا بكل هؤلاء ، ثم اذا بحث عن نفسه لم يجد منهم من التفت اليه ، او على الاقل ، لا يجد من التفت اليه التفاتة حقيقية .. تعود عليـه « فكريــا » بالفائــدة وتذهــب عنــه بالخسران والضرر .

وعند الاجابة على هذا السؤال ، فاني بداية انحي باللائمة على كثير من الاباء والامهات الذين هم في موجات تدليل ابنائهم « ارجــو ان تلاحــظ الفارق الكبير بــين تدليـل الطفـل واسعاده » ، يشترون لهم مثل ما ذكرت من قصص ، دون ان يبذلوا ادنى عناء في فحص هذه القصص ، او حتى مجرد القاء نظرة عابــرة عليها ، او اخضاعها لمجرد المحاولة لما تفرضه اصول التربية السليمة ، التي يعرفها اب يريد لابنه العزيز ، سعادة فائقة ، لا ام « او اب » تريد لطفلها المدلل وقتــا مليئــا باللهــو والتدليل وغريب من امر هذه الام ، ان تدعي ـ من باب التظاهر ـ انهــا تعنى بثقافة طفلها الى درجة انها تشتري له قصص الاطفال ، في الوقت الذي فيه ، هي تدمر ثقافة ابنهــا وتضيع « فكره » سعيا منها وراء مظهرية لها هي ، لا وراء فائدة له هو .

ولا شك انني هنا ، لا اقصــد الامهات اللاتي حكى لي عزيز عن واحدة منهن ، كانت تناوله ـ ايام كان في المدرسة الابتدائية ـ ريــالا فضيا ليشتري كتابا من كتب السيرة

الشريفة ، يقرؤه عليها وعلى اخوته الأخر في مسامرات المساء ، وانما اقصد الام التي ارى الكثير من نماذجها في هذه الايام فلا احسبها كانت اما الا بالفطرة لا بالاعداد ، وبالطبيعة لا بالنشأة وكثير من هؤلاء الامهات « او قل من هذه النماذج فان لفظة ام ارفع من ذلك » اعدت وانشئت على انها امرأة ذات مظهر « عصري » ، او « متطور » او سواها من ترهات الانحلال .. هذه الام « او النموذج » تجدها تحدث صديقتها عن مشترياتها .. لطفلها من سوق الكتب تحدثها بتظاهر واضح ، ثم اذا ما قلبت حقيبة المشتريات وجدتها مليئة بامثال قصة « اللص الذكي » او « لغز السرقة » او « المراهقة والرجال » ، وربما كان اقلها خطرا على عقلية الطفل ، ما كان من قبيل قصة « الثعلب المكار » او « جحا وحماره » ، وربما لا تجد الا القليل – قصصا تغذي افكار الطفل بما ينفع الناس ويمكث في الارض ، وهذا القليل لا تجده – الا قلة – اعد اعداد متقنا .

والمؤلف – ايضا – له جانب من تلك الاجابة ، لا شك انه سيطلب منه ان يجيب على اسئلة تقول كم سأل نفسه عن الطفل الذي سيقرأ قصته ؟ عن عمره « سنا ومقدرة على الادراك .. الخ » عن المضمون الذي يقدمه للطفل في هذه القصة عن الجرعة المغذية – او ربما السامة – التي سيناولها له كتابه ، فضلا عن الاسلوب والالفاظ التي اعد بها .

كثير مع الاسف ، من مؤلفي كثير من القصص التي تعج بها المعارض والواجهات اذا اخلص الاجابة ، سيجد نفسه قدم الجريمة او الرذيلة او غيرها من اوجه الفساد ، في اطار « القصة الممتعة » وقدم المجرم او الفاسق او الفاشل او المنحل او غيرهم من صور المفسدين في صورة « البطل » ، وسيجد نفسه قدم لمشاعر الطفل ومكوناته النفسية وللمقدمات الفكرية لحياته ، جرعة مسممة ، والخطر الكبير ، انها مسلية وممتعة ، وسيتناولها الطفل راضيا مسرورا ، وهذا هو الذي يثير الأسى ، فان الذي يقدم مثل هذا للطفل ، ارضاء للمتعة ، هو – بالضبط – كالذي يقدم له الخمر ، هو يتلذذ بها وهي تودي به .

الا انني – هنا – يجب الا اغفل قدرا من المؤلفين ، اعتنى بما يقدمه للطفل ، منهم من اجاد ومنهم من حاول على الاقل ، منهم من صرفه اهتمامه الى المضمون فقدم قصة نبي ، او ذكر مجاهد او حديث موقعة ، ومنهم من صرفه الى الاسلوب ، ومن صرفه الى العرض ، او الى غيره من عناصر هذا الفن ، الا ان بعضا من هذه المحاولات – على اهميتها وتقديرنا لها – ما يزال بحاجة الى دربة وكثير مران ، وتوسعة حتى تشمل مختلف التساؤلات التي تفرضها عناصر هذا الفن ، فعلى الرغم من العناية ببعض هذه العناصر

« المضمون او الاسلوب .. الخ » ، تجد القصور واضحا في بعضها الآخر .

واقصد بهذه المحاولات الجادة ، من حاول تقديم السيرة الشريفة في مجموعات او قدم اعلام الاسلام والعروبة ، او وقائع الجهاد ، كل هذه موضوعات تناولها كتاب في مجموعات قصصية تصلح للاطفال ، ولكن بقيت العناية بهذه العبارة الاخيرة « تصلح للاطفال » تلفت انتباه الطفل وتدعوه الى قراءتها ، ثم تقدم له في اسلوب يتناسب مع سنه وعقليته حتى يستطيع ان يستوعبها .. كل هذا طبعا من غير ان يفسد مضمونها ، او يعطي للطفل انطباعا سيئا ــ او غير صحيح ــ عن هذا المضمون ، كمن قال وهو يحدث الطفل عن ابوي النبي « وقضيا ايام الزواج حبيبين « كذا » .. يرفرف عليهما طائر الحب « كذا » .. وكانت آمنة كلما تذكرت ان زوجها كان مشرفا على الهلاك ضمته الى صدرها « كذا » .. « الى ان وصل الى وداع عبد الله لآمنة يوم سفره ، فذكر انه قال لها « ..سأعود اليك يا حبيبتي « كذا » .. » « راجع احمد التاجي ــ آمنة ام النبي » ثم أتى الى دور الناشر في هذه الظاهرة ــ ظاهرة القصور في ادب الاطفال ــ فاقول انه وان كانت بعض الهيئات المعنية بهذا الامر ، يقوم بدور كامل ــ الى حد ما ــ الا ان الكثير منها ــ او على الاقل البعض منها ــ لا يكلف اجهزته عناء هذا البحث بقدر ما يصرف اهتمامه الى بحث امكانيات الربح ومدى الاقبال على اسم المؤلف ومدى امكانية رواج الكتاب بين الاذواق « وارجو ان نلاحظ ان كثيرا من اذواق جيل اليوم من الامهات والاباء اكثر ميلا الى صور التربية الغربية منهم الى صور التربية الحميدة ، فضلا عن انصراف اذواق بل واذهان الكثيرين منهم عن النموذج المسلم او النموذج العربي على حمادته الى النموذج الغربي على انحلاله ورعونته » ومدى السهولة او التكلفة في تنفيذ الكتاب ، الى غير ذلك من المعطيات التجارية .

غير ان الانصاف يستلزم الاشارة الى ان بعضا من مؤسسات النشر ، يجيد اختيار واعداد ما يقدمه للاطفال ، فضلا عن اجادته لتبويبه وعرضه ، ولذا فان من المناسب في هذه الدراسة ، ملاحقة هذه الظاهرة بين دور النشر في اكثر من مستوى ، فمن مستوى كبير من الالتزام ، الى مستويات لا التزام فيها الا بتحقيق الربح ، تتدرج دور النشر فيما تقدم للاطفال ، وغير الاطفال ، وحيث ان الذي يعنينا هنا ما يقدم للاطفال فبعض هذه الدور يقدم مجموعات نافعة مثل دائرة معارف الطفل التي تقدم له قبسا من المعرفة عن بعض المخترعات ، ومثل مجموعة السيرة النبوية وسلسلة رايات الاسلام ، وشرح وتعليم اركان الاسلام ، وتراجم ميسرة عن حياة ابطال

الاسلام في شكل قصصي للطفل .. وكل ذلك ، وغير ذلك تقدمه دار المعارف بمصر ، وهذا اقصى مستوى يمكن تصوره من الالتزام .

الا ان صدق القول ، يقتضي ذكر ان بعض هذه الدور ، وعند هذا المستوى من الالتزام ، ما يزال على شيء من القصور ، بحيث يعثر الطفل ـ بالكاد ـ على نذر يسير من اهتمام هذه الدور ، فبينما ترى دار المعارف تقدم للطفل خضما هائلا من مطبوعاتها وجانبا كبيرا من اهتمامها ، وترى الهيئة العامة للكتاب « بمصر » ، اذا دخلت معرضها وسألت الرجل عن كتب الاطفال ، أشار لك الى ركن صغير جدا ، تقلبه فتجد ثلاثة كتب فقط للاطفال ، احدهما يحمل اسم « اللقاء الفريد » .. والثاني ، « مشاهد من الطبيعة » .. والثالث اسمه « كلب آل باسكرفيل » ، اما بقية الكتب التي يزدحم بها « ركن الاطفال » فهي ـ كما رأيتها هناك ـ « النقد التحليلي عن عبد القاهر الجرجاني » الامارات العربية في بلاد الشام » و « ابن تيمية » و « لغة الشعر الحديث » و « مقالات في النقد الادبي » .. وغيرها مما لا يمكن تصور انه للاطفال ، ولا يمكن تصور الا انه للكبار .. بل .. وللخاصة من الكبار .

ومرة اخرى ، عند هذا المستوى من الالتزام ، قد نجد في دار المعارف ، قصصا للاطفال ، اسمها « العملية الجريئة » او « تان تان وعصابة شيكاغو » ، او « قراصنة الأحراش » .

ودون هذا المستوى . تنحدر درجات الالتزام حتى تصل الى الدور التي تصدر القصص البوليسية والجنسية ، مثل « الرأس الذهبية » او « بائع الجرائد » او « الدائرة الحمراء » ومختلف الكتب والمجلات المتلفة مثل « كيف نلعب النرد » ، « وبلاي بوي ـ اي الولد اللاهي » و « الف سؤال عن الجنس » وغيرها ، وهذه ومثلها تصدرها في العادة ، الدور الخاصة ، وكثير من اصحابها لا يعنيهم الا ما يحققون من ربح ، واكثرهم من يجد الاسهل ان يترجم عن الغرب هذه القصص والكتب والمجلات ، ويقدم منها جرعاته السامة الى اطفالنا ، ونحن نذكر جيدا الفترة التي قدمت فيها بكميات هائلة ، كتب مثل « ايفا الغانية » و « الارملة الطروب » و « رسائل الغرام » وغيرها .

ومناسب ان اعرج على مسؤولية الدولة تجاه هذا القصور ، واسهامها في تحقيقه ، باهمالها الواجب المتحتم عليها تجاه ما يقدم للاطفال .. فالدول جميعا لديها قوانين للنشر ، واجراءات يتحتم على الناشر اتباعها ، سواء لترشيد النشر او مراقبته ، وعندما تدرك الدول ما ترجو من هذه المراقبة ، او هذا الترشيد

ادراكا صحيحا ، فانهـا ولا شك ستحجب عن اطفالها وصبيانها هذا السيل من السموم ، وستضطر دور النشر الى درجة معقولة من الالتزام ، ولكن الواضح الان ، ان هذه القوانين والاجراءات ، توضع – او يوضع جلها – لخدمة النظم الحاكمة لا لخدمة الشعوب ، واذا اصبح الحكم للكراسي لا للامانات ، فقد اصبح لكل دولة ، قانون للنشر ، يصرف في جل اهتمامه الى مراقبة النشر بعين مصالح النظام ، وليس بعين مصالح الشعوب ، ولا يراعي في كثير ، ما ينشر بعيدا عن المساس بهذا النظام ، حتى ولو كان يدمر العقائد تدميرا وحتى ولو كان يتلف الاجيال اتلافا ، وكذا ، اصبح لكل دولة ، شرطة واجهزة تتفحص بدقة وتشديد بالغين ، كل ما ينشر وله صلة بالنظام او بكراسي الحكم ، او حتى باعداء شعوبها من اصدقاء وحلفاء النظم وكراسي الحكم ، ثم تصرف كل عنايتها عن أي شيء مما عدا ذلك ، ومن بين مالا يعنيها – حسب تصورها الخاطىء – هذه القصص ، وهذه الكتب المفسدة .

وربما هنا يقتضي الانصاف ان نقول ، ان قوانين النشر تنص مذكراتها على ان غايتها هي المحافظة على عقائد الشعوب وتجنيب افكارها السموم ، ثم عند التطبيق العملي ، يغفل تماما هذا الهدف ، وتتقرر اهداف اخرى تمليها مصالح الانظمة ، واعتبارات الحكام ، وهذا قصور عام في دور الدولة ، او في ادراكها لدورها وممارسته ، يمضي على الطباعة والنشر بصفة عامة ، ولا يسلم منه ما يظهر مطبوعا منشورا للاطفال .

وبعد ذلك آتي الى التطور الادبي العربي ، ومـا اسهـم به في هذا القصور ، فاقول ان اللغة العربية وما عرفت في تاريخها الطويل من اداب الشعر والنثر وغيرها ، ظلت بمنأى عن ادب الاطفال ، واستحوذ على جل اهتمامها – ان لم يكن على اهتمامها كله – ادب الكبار ، خذ مثلا الشعر ، قصائد الفخر والحماسة ، والنسيب والرثاء ، وغيرها ، وكلها للكبار ، وهكذا في غير ذلك من الفنون التي لم يحفل القائلون فيها كثيرا بالصغار ، حتى اذا كان عصر التدوين في اواخر العصر الاموي ، وسجلت الاعمال الادبية حفظا للتراث وصيانة له ، استحوذت اداب الكبار على جل اهتمام المدونين ايضا ، ولم تترك من اهتمامهم في اداب الاطفال الا نذرا يسيرا ، الا ان هذا النذر اليسير ، افصح عن بعض الاغنيات او الابيات التي كانت العرب ترقص بها اطفالها على سبيل المداعبة ، وهو ما ينبؤنا بأنه كان هناك نوع من الادب يعتني بالاطفال ، ان لم يكن ضاع فيما اغفل التدوين ، فهو هذه الاغاني على الاقل ، الا ان معظم هذه الاغاني ، اغان تتحدث عن الطفل ، وليس تتحدث الى الطفل ، ومنها البيت المشهور الذي كانت ترتجزه الشيماء

وهي ترقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع في حجر امها حليمة فتقول :

هذا اخ لي لم تلده امي
وليس من نسل ابي وعمي
فأنمه اللهم فيما تنمي

ويمكن القول بأن بعض هذا عائد الى نظرة المجتمع الى الطفل باعتباره صغيرا ، له ـ على اي حال ـ صفة الصغر ، التي من شأن من يتصف بها او ما يتصف بها الا يجد من عناية المجتمع الا اليسير ، ومع اعتبار ان هذا خطأ كبير في النظرة الى الاشياء ، فهو خطأ اكبر عند النظرة الى الطفل ، فهو ليس بالشيء الصغير ، ولكنه « الانسان » الصغير ، انه قبل ان يكون صغيرا ، كان انسانا ، ثم انه « الرجل » الصغير ، انه بعد ذلك سيكون رجلا .

وهذه النظرة المخطئة ، اسهمت في انصراف كتاب العربية وشعرائها ومختلف ادبائها عن الطفل ، حيث يكاد الناس يجمعون ـ مخطئين ـ على انه لا يعني بما يؤلف للصغار الا من لا يعنى بما يؤلف للكبار ، وفي المقابل ، يكاد الادباء يجمعون ـ مخطئين ـ على انه لا يؤلف للصغار الا من لا يجد ما يؤلفه للكبار .

ثم نظرا لان العربية الفصحى ظلت الى عهد قريب لغة المثقفين وحدهم ، فقد ابتعد كثير ممن الفوا بها عن التأليف للصغار ، واستحوذت ثقافة الكبار عل جل اهتمامهم ، حتى انه لم يبق للصغار مكان الا في اطراف من الادب الشعبي ، مما في الحكايات المسموعة و « الحواديت » الساذجة التي يكون لها اكبر الاثر في تشويه ثقافة الطفل وتخريب خيالاته ، ومن ثم في تردية شخصيته ، والاكثر من ذلك ، ان نصوص الادب الشعبي ، التي يطلق عليها لفظ « نصوص » مضافا الى لفظ « الادب » ما يزال معظمها مليئا بالخرافات والخزعبلات ، ومازال معظمها مواعيظها وحكمتها يغطي عليه بهارة الاسطورة ، ومازال معظمه للتسلية ، تسلية الصغار .. والكبار احيانا . ومثل ذلك « الف ليلة وليلة » و « قصة بني هلال » .

الا ان في العصر الحديث ، قل مثلا منذ العشرينات ، بدأ الكتاب والمؤلفون والشعراء يعنون بالصغار ، ويقدمون لهم ، حتى وصل الحال بأدب الاطفال الى ما هو عليه الان ، بما فيه من نواحي الكمال ونواحي القصور ، مثلا قدم امير الشعراء شعرا يتحدث الى الاطفال والى الصبيان في المدارس ، وقدم الكيلاني سجلا من القصص . الا انه عندما بدأت اداب العربية تدخل عالم الطفل ، وجدت ان خطوتها هذه جاءت متأخرة ، بعد عصور تتلوها عصور من ضآلة التجربة وقلة الخبرة وضحالة المعرفة ، فضلا عن تشويه الخيال وتزويد العقل الباطن للطفل بخرافات عن المخلوقات العجيبة مثل

« العفريت » و « الام الغولة » و « بساط الريح » و « الجدي الطائر » الذي ينقل خيال الطفل الى اخر الدنيا في غمضة عين ، واختصاره ، ان اللغة العربية عندما دخلت ادابها عالم الطفل ، لم تجد – ولو في البداية – مناخا ملائما ، ولا تربة صالحة لنمو شجرتها ، وازدهار ادابها الرفيعة ، سواء عند الكتاب ، اوعند الناشرين ، او عند القراء من الاطفال .

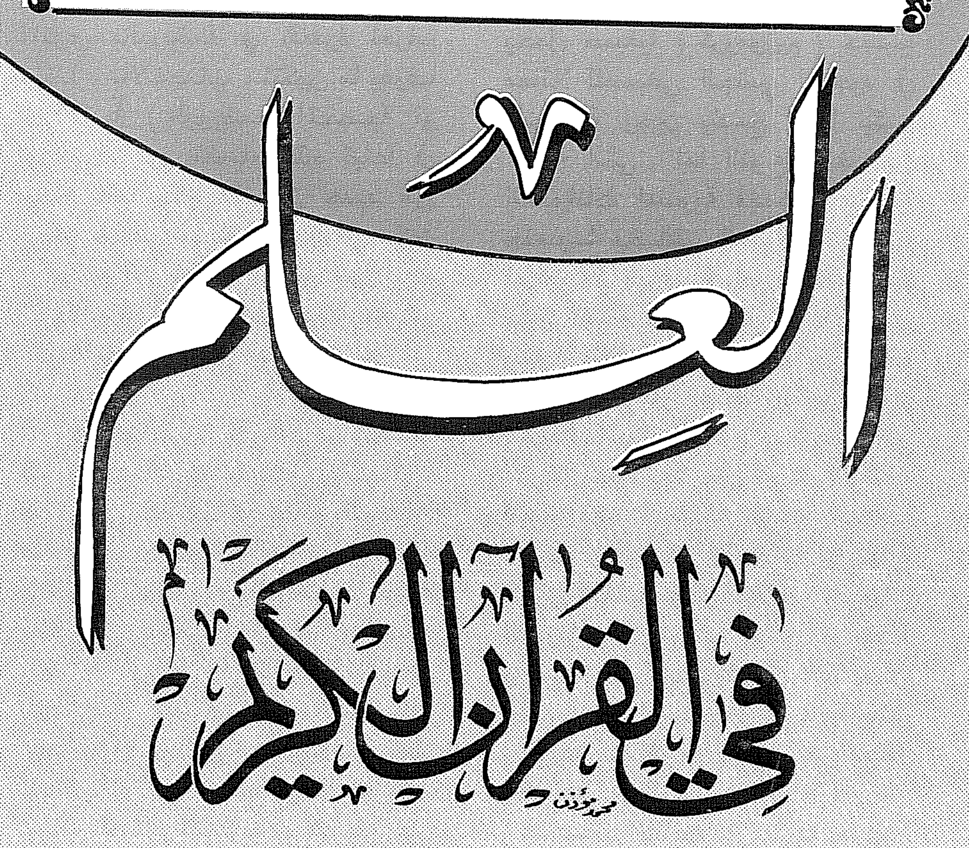
حتى اذا ما حل في الدهر منتصف هذا القرن « الميلادي » تقريبا ، كان التطور قد اتخذ بعدا اخر ، حيث شهد العقد الخامس فيضا من الادب في عالم الاطفال ، وبدأت مؤسسات ودور النشر تعترف بهذا العالم وتشعر بضرورة الدخول اليه مدخلا جديا ، كما ان اعتراف الكتاب بهذا العالم – بعد تغير نظرة المجتمع الى الطفل من اعتباره شيئا صغيرا الى اعتباره انسانا صغيرا ورجلا في دور التنشئة يجب ان تعد له المدارس وتلقن له الدروس ويحاط بوسائل العناية واسباب الحفظ – اخذ يتزايد ، واصبح الكثير منهم يعني بما يزود به ، باعتباره فنا جادا من فنون الادب .

هذا العصر ، عصر جديد ، عجيب ، غريب ، من الحق – عندما يتصل الحديث عن تربية الاطفال وبناء النشء – ان يقال انه « عصر الافات » ليس فحسب ، بل وان يقال عنه ، « عصر الاستفحال لاخطار الافات » عصر تطورت فيه وسائل الغزو الفكري والنفسي لعالم الطفل ، تطورت من صندوق الدنيا وخيال الظل ، الى المنياه « التلفاز » و « الفيديو » ، ومن « الحكاية » او « الحدوتة » الى الكتاب الخرافي او الرواية الجنسية ، واصبح الطفل فيه – ومن بعد ذلك الشاب ثم الرجل – هدفا حيويا توجه اليه – بمهارة – سهام هذه الآفات ، أرأيت الى البعوضة ، تأخذ القليل من دم المريض ، ثم تحقنه في الدم السليم ، فتعديه كله ، وهكذا هذه الآفات الفكرية ، تنقل الفساد حيث يكون ، في مجتمعات الغرب وشوارعه ومنتدياته ، او مجتمعات الشيوعيين الملحدين وشوارعهم ومنتدياتهم ، او في اوكار الفساد ايا تكون ، ثم تحقنها – بوسائلها الجهنمية – في عقول اطفالنا وغلماننا ، ونفوسهم وافكارهم .

لهذا ، أهيب بكل من له دور في عالم الطفل ، او بعبارة ادق ، اهيب بكل من يجب ان يكون له دور ، من اب او ام ومدرسة ومؤلف وناشر ودولة ، ان يدرك دوره ادراكا صحيحا ، وان يمارسه ممارسة صحيحة ، فليعمل كل منهم على انشاء جيل جديد ، تكون للأمة فيه حياة جديدة ، وليضع الكل نصب عينيه ، ان .. انهم مستقبلنا ، ليس فحسب ، انهم أماننتنا ، ليس فحسب ، انهم ... أبناؤنا .

(وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) .

الفرقان : ٥٤



للدكتور : احمد حسنين القفل

مناقشة هذه الآية الكريمة علميا يمكن ان تشمل ثلاثة اتجاهات :

اولا : قوله تعالى « **وهو الذي خلق من الماء بشرا** »

و« الماء » هنا معناه « السائل المنوي » الذي تسبح فيه النطفة او ما تشيع تسميته علميا « بالحيوان المنوي » او « المشيج المذكر » (شكل ١) . والحيوان المنوي تصنعه خصية الرجل البالغ . وهو وحده لا يمكنه ان يكون خلقا جديدا « بشرا » ولكن يلزم

ان يندمج معه ما يعرف علميا « بالمشيج المؤنث » او « البويضة » (شكل ٢) وهذه يصنعها مبيض المرأة البالغة في فترة خصوبتها (بعد البلوغ وقبل الوصول الى سن اليأس) . وعلى اثر اندماج الحيوان المنوي بالبويضة في ظاهرة تعرف علميا « بالاخصاب » تتكون ما يعرف باللاقحة (البويضة المخصبة او الزيجوت) وبانقسام هذه تباعا في رحم الام يتكون انسان جديد من البشر ، يبدأ حياته في قرار مكين (الرحم) (شكل ٣) ثم ينزل بعد الولادة الى هذه الحياة الدنيا ليعيش أجله المسمى الذي قدره الله له .

وفي الانسان بالذات ـ وكذلك الحيوانات التي تشابهه في التناسل ـ لا بد من اخصاب البويضة بالحيوان المنوي لكي تتكون اللاقحة وبالتالي الخلق الجديد ، واذا فشلت عملية الاخصاب امتصت البويضة وتلاشت ولهذا اشارت الآية الكريمة الى بداية الخلق من النطفة ـ كما سجلت ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم ـ . ولولا ماء الرجل الذي تسبح فيه الحيوانات المنوية لما كان هناك حياة لانسان على وجه الارض . لماذا ؟ ليس لان النطفة هي التي تخصب البويضة فتتكون بذلك اللاقحة التي تنقسم فتكون الفرد الجديد كما سبق القول . ليس لذلك فحسب . ولكن لأنه عن طريق النطفة ـ وعن طريقها فقط ـ تكون الذكورة والانوثة في بني البشر . وهل يمكن ان تستمر حياة دون ذكور واناث ؟ ولكن كيف يكون ذلك ؟ يكون ذلك لان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته في سبيل استمرار حياة البشر ـ وغيرهم ـ على وجه الارض اقتضت ان تصنع خصية الرجل نوعين من الحيوانات المنوية : احدهما يحمل صبغيا (كروموزوم) جنسيا مماثلا للصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة انثى . اما النوع الاخر من الحيوانات المنوية فيحمل صبغيا جنسيا يخالف الصبغي الجنسي الموجود في البويضة وحين يندمج معها يكون لاقحة ذكرا . وعلى هذا الاساس يتنوع البشر ذكورا وأناثا ولولا هذا التنوع لما كان هناك التزاوج ولما تسلسلت حياة البشر ـ وغيرهم ـ على الارض جيلا بعد جيل . ولقد اكتشف العلم هذه الحقيقة مؤخرا عندما ازدهرت علوم الوراثة بداية من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، مع ان القرآن الكريم قد سجلها جلية واضحة قبل ذلك بعشرات المئات من السنين . يقول سبحانه : (**وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى . من نطفة اذا تمنى**) النجم/ ٤٥ ـ ٤٦
(**ايحسب الانسان ان يترك سدى . الم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والانثى**)القيامة / ٣٦ ـ ٣٩

وعلى اثر الاخصاب وتكوين اللاقحة ، تنقسم هذه تباعا لتتكون بذلك الاطوار الجنينية في رحم الام ،

كمرحلة لا بد منها في بداية خلق الانسان ، ويزداد حجم الجنين ، وبالتالي رحم الام كل يوم بمقدار حسب ما اراد الله له : يقول سبحانه : **(الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار)** الرعد/٨

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين .) المؤمنون ١٢ - ١٤ .

(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ..) الحج /٥

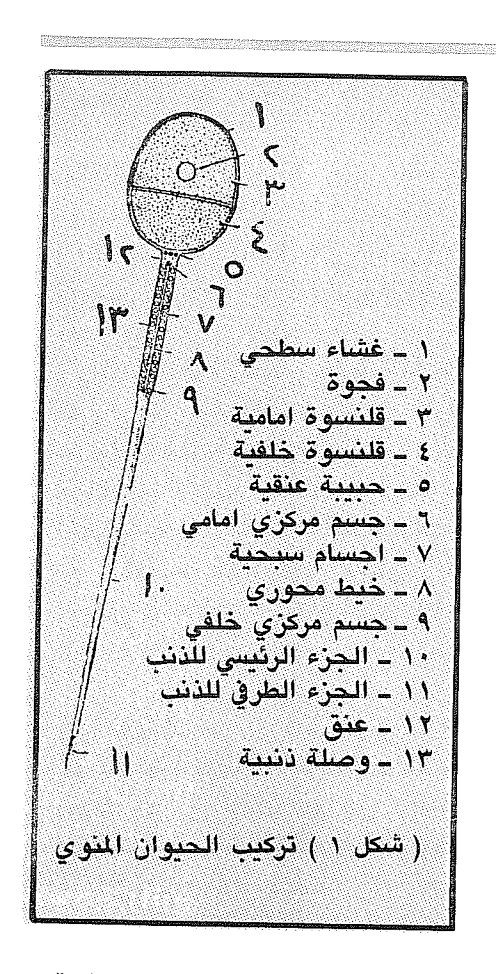
(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم .) المرسلات /٢٠ - ٢٢

ولما كانت اللاقحة التي يتكون منها الفرد الجديد ، هي نتيجة اندماج الحيوان المنوي من الاب مع البويضة من الام ، فان الصفات الوراثية في اللاقحة تكون بذلك امتزاجا للصفات الوراثية من الاب (٥٠٪ تقريبا) وللصفات الوراثية من الام (٥٠ ٪ تقريبا) ، وينشأ الفرد الجديد من البشر وبه هذا المزيج من الصفات الوراثية التي تجعله فردا له شخصيته (ذاتيته) التي لا يشاركه فيها انسان غيره قط (الا في القوائم النموذجية) فكل فرد من البشر كما يقال « نسيج وحده » في كل صفاته - ومن الناحية العلمية ، ثبت وراثيا ان الصبغيات (الكروموزومات) التي تتكون منها نواة اللاقحة تحمل في طياتها (على الجينات) كل الصفات الخلقية (الجسمية) التي يتميز بها الفرد الجديد عن كل فرد اخر من سائر البشر ، يتميز بها وهو جنيني في بطن امه ، وبعد ان يولد ، وطول حياته حتى الموت ، ولو بلغ ارذل العمر . ولو ان هذه الصفات التي تتسع لها الصبغيات - على ضآلة حجمها - لو انها ترجمت الى كلمات لما اتسع لتسجيلها عشرات المجلدات الضخمة . ومن هنا يتبين العمق الحقيقي لمدلول حديث النبي الامي الذي لا ينطق عن الهوى في قوله - صلى الله عليه وسلم - « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » رواه البخاري ، قالها عليه الصلاة والسلام قبل ان نعرف شيئا عن قوانين الوراثة ومدلولاتها وابحاثها بعشرات المئات من السنين ، فسبحان من علمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيما .

عند بدء الاخصاب وتكوين اللاقحة ، لوحظ - في الحالات الطبيعية - وجود جاذبية بين الحيوان المنوي والبويضة ، فوجود الجاذبية

هذه ضمان للاخصاب الذي يتم في العادة بحيوان منوي واحد لا اكثر . وعلى هذا الاساس تتم الجاذبية بين البويضة وبين حيوان منوي به صبغي جنسي مشابـه لما فيها ، فتتكون بذلك لاقحة أنثى ، أو بين البويضة وحيوان منوي به صبغي جنسي مخالف لما فيها فتتكون بذلك لاقحة ذكر ، او قد لا يتم التجـاذب بـين الحيـوان المنـوي والبويضة لسبب او لاخر فلا يتم الاخصاب ، ولا تتكون اللاقحة ، واذا استمرت الظاهرة الاخيرة كان العقم (عـدم الانجاب) . وعـلى اساس الحقيقة السابقة ، فان الزوجة قد تنجب اناثا فقط او ذكورا فقط ، او ذكورا واناثا معا ، او قد لا تنجب اطلاقا رغم سـلامة الـزوجين من الناحية الصحية - وكل هذا يتوقف على الجاذبية الكائنة بين الحيوانات المنوية بنوع منها او بنوعيها معا او عدم الجاذبية بينها وبين البويضة وتدل هذه الظاهرة على ان انجاب البنات هي مسئولية الزوج في الجزء الاكبر منها . وعلى الذين يلـومون زوجاتهم لانهن ينجبن بنات ان يدركوا هذه الحقيقة . ويسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية الوراثية وقبل ان ندرك اسبابها الحقيقية . يسجلها قبل معرفتها بعشرات المئات من السنين . يقول سبحانه .

(لله ملك السماوات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) الشورى / ٤٩ - ٥٠



(شكل ١) تركيب الحيوان المنوي

وبناء على المنـاقشة السـابقة ، يتضح ان الله العلي القدير ، قد شاءت حكمته ان يخلق من الماء اي المنى « بشرا » اي رجالا ونساء ، وان هذا التنوع في الخلق بين ذكور واناث هو السبب الاساسي في استمرار حياة البشر على الارض . وتكون الاشارة الى خلق البشر من « الماء » هي لفت النظر الى ان الانسان - والانسان بالذات - لا بد ان يكون نتيجة تزاوج بين ذكر وانثى ، بل وتأكيد لهذه الحقيقة . فالذكر وحده ، او الانثى وحدها لا

يمكن لاي منهما ـ في حالة الانسان ـ ان ينجب ذرية ـ اما في حالة بعض الحيوانات الاخرى فقد تكون الانثى قادرة وحدها ، ودون الذكر ، على انجاب ذرية بظاهرة تعرف علميا « **بالتوالد العذري او البكري** » ومثال ذلك حشرات المن والاطوار اليرقية للديدان المفلطحة وانتاج الذكور في حشرات النحل والنمل . بل ان بعض الحيوانات التي تتناسل بحيوانات منوية وبويضات ـ كما هو الحال في الانسان ـ قد امكن اجبار بويضات الانثى غير المخصبة على الانقسام وتكوين اجنة (بدون حيوان منوي) باستخدام وسائل خاصة (اشعاع ذري ـ هرمونات ـ وخز بالابر) وقد تم ذلك في اناث الضفادع والارانب . لكن هذا لا يمكن ان يحدث في الانسان ، ولو حدث لكانت كارثة ، ولهذا ركز القرآن الكريم على بداية الخلق من النطفة في كثير من آياته ، واكدها ، وزاد الله الامر تأكيدا بولادة سيدنا عيسى من غير اب ، وجعلها سبحانه معجزة خارقة للعادة ، لا يمكن تكرارها ، والمعجزات امور لا يقاس عليها .

ثانيا : قوله تعالى (فجعله نسبا وصهرا)

الاسرة هي اللبنة التي تتكون منها المجتمعات البشرية وتتكون الاسرة في العادة من الاب والام والاولاد ذكورا كانوا ام اناثا ، وتنسب الاولاد الى الاب في الاسرة ، وتتم المصاهرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات ـ والبشر جميعهم ينسبون الى ادم عليه السلام ، فهم « بنو آدم » وهو ابو الآدميين جميعا ، هذا هو النسب في حالة الانسان . اما النسب في حالة الحيوانات الاخرى ـ ان تم ـ فيكون غالبا منسوبا للام لانها هي التي ولدت او وضعت البيض ، وغالبا ما يكون الاب مجهولا ، اذ يكون الاخصاب عشوائيا ، لا يتحدد فيه الاباء . والحيوانات ـ من غير الانسان ـ تنظم تناسلها بالغريزة (الفطرة) ، فقلما يتعدى ذكر على انثى الا في وقت الحاجة تماما ، ولابقاء النوع ، وقلما تقبل الانثى الذكر ، الا وقت الحاجة تماما ، وقد تقبله مرة واحدة في حياتها التي تطول لسنوات محتفظة بما حصلت عليه من حيوانات منوية لتتصرف فيها بالقدر اللازم لتصريف امور نتاجها (النحل والنمل) . اما الانسان فهو المخلوق الوحيد تقريبا الذي غالبا ما يزاول العملية الجنسية للمتعة اكثر مما يزاولها للانجاب ، فكثيرا ما تتم المباشرة بين الزوج وزوجه الحامل لا لغرض الا للمتعة ، وهذه المتعة في الانسان هي الاساس في برامج « تنظيم الاسرة » في كثير من اقطار الدنيا .

وبناء على ما سبق يكون المعنى القريب او المباشر للآية الكريمة ، هو خلق البشر رجالا ونساء من الماء الدافق (المنى) ليتم بينهما ـ بين الجنسين ـ التزاوج الذي عن طريقه

يتم النسب والمصاهرة ، نسب البنين الى الآباء ، والمصاهرة بين الاسر وبعضها البعض عن طريق البنات - وبذلك يرتبط الجميع بوشائج الدم وصلات القربى ، هذا المعنى واضح في قوله تعالى :

(ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم / ٢١

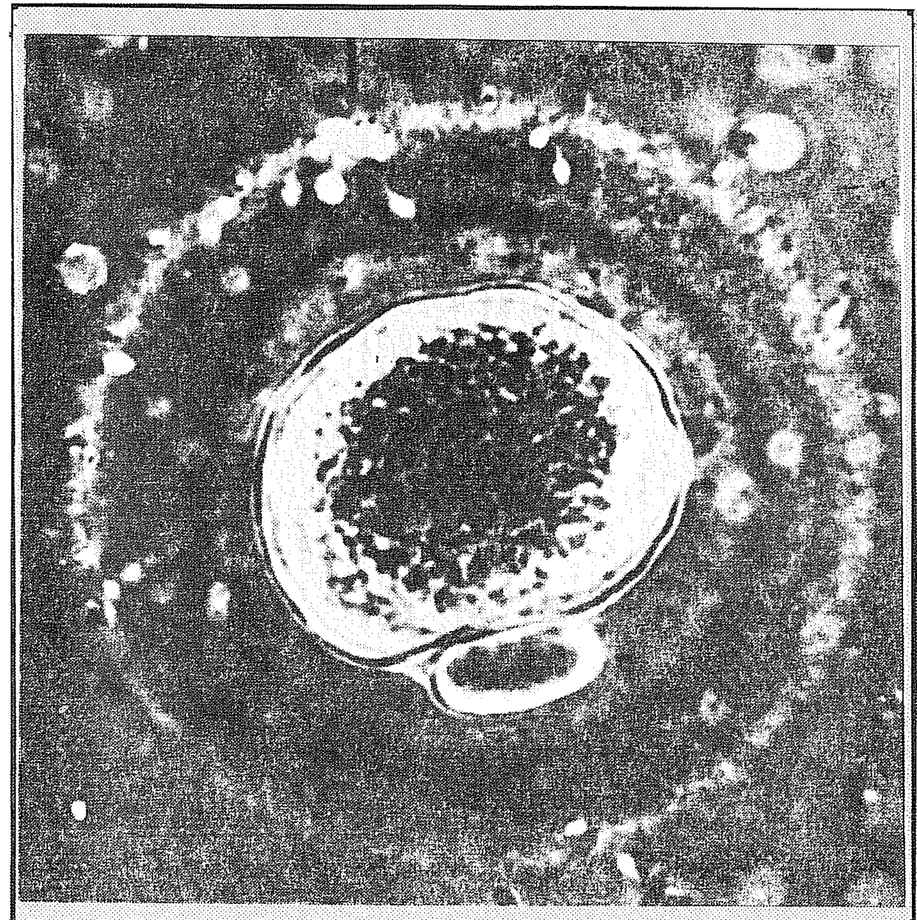
اما المعنى البعيد للنسب والمصاهرة فيمكن ان نتصوره علميا على النحو التالي :

اي فرد من البشر ، ومنذ ان دب ادم على الارض وحتى تقوم الساعة ، اي فرد لا بد ان يبدأ حياته بلاقحة على اثر اخصاب يتم بين حيوان منوي من اب وبويضة من ام ، اي بين مشيجين تناسليين من فردين سابقين له في الوجود . فهو اذن يبدأ بخلية تناسلية واحدة (اللاقحة) تنقسم تباعا ودون توقف فتكون بذلك الفرد الجديد ذكرا كان او انثى بكل مكوناته من انسجة واعضاء واجهزة تختلف عن بعضها اختلافا شاسعا (شكل ٤) . وبناء على ماسبق ، فهناك ملاحظات علمية يمكن ان نسوقها على الوجه التالي :

١ - يبدأ الفرد الجديد - اي فرد جديد - بلاقحة ، وما هي الا خلية واحدة نتجت عن اندماج حيوان منوي من رجل مع بويضة من امرأة . ومن ثم تكون اللاقحة نتاج خليتين تناسليتين (انصاف خليتين من الوجهة الوراثية) فقط . ولهذا تمثل اللاقحة ما يعرف علميا « **بالبلازما التناسلية grem plasm** »

٢ - البلازما التناسلية الممثلة في اللاقحة تنقسم ثم تنقسم تباعا فيتكون بذلك الفرد الجديد بتمامه وكماله ، والذي يتكون بدوره من « بلازما تناسلية » ممثلة في الخلايا التناسلية التي ينتجها جهازه التناسلي بالاضافة الى بلازما اخرى تعرف علميا باسم « **البلازما الجسمية somato plasm او البلازما الخضرية Vegetative plasm** » ممثلة في كل ما عدا الخلايا التناسلية ، فهي ممثلة في كل الانسجة والاعضاء والاجهزة التي يتكون منها الجزء الاكبر من الفرد الجديد (شكل ٤) .

ويتضح مما سبق ان البلازما التناسلية قد اعدها الله لتنتقل من فرد الى اخر . فقد انتقلت اول ما انتقلت من آدم ابي البشر وزوجته حواء في صورة لاقحات كونت كل منها فردا من ذرية آدم الاولى (الجيل الاول) ثم انتقلت من الجيل الاول - بعد التزاوج - الى الجيل الثاني ومن هذا الجيل الى جيل لاحق وظلت وستظل تنتقل من جيل الى جيل على هذا النحو السابق حتى يرث الله الارض ومن عليها (شكل ٤) - ومعنى ذلك ان « **البلازما التناسلية لها كفاءة الخلود** » فما انتقل منها بداية من آدم سوف يظل ينتقل وينتقل حتى تقوم الساعة - ومعنى ذلك ببساطة ان



شكل (٢) رسم فوتوجرافي دقيق لبويضة حية من مبيض سيدة . ويلاحظ الجسم القطبي (على اليمين) فائدته تخليص البويضة من نصف عدد صبغياتها ليبقى فيها النصف منها فقط . وترى الحيوانات المنوية (مشار اليها باسهم) التي وصلت الى مشارف البويضة يحاول واحد منها ان يدخلها .
لاحظ النسبة بين حجم البويضة وحجم الحيوان المنوي .

كل آدمي دب او سيدب على ظهر الارض من عهد آدم وحتى يوم القيامة ، كل آدمي هو امتداد لابي البشر آدم عليه السلام ، وفيه منه « بقية » هذه البقية هي البلازما التناسلية التي يسلمها كل جيل سابق لكل جيل لاحق . ويترتب على ذلك ايضا انتقال الصفات الوراثية من جيل الى جيل ، وبهذا يكون الارتباط نسبا ومصاهرة عن طريق التكاثر

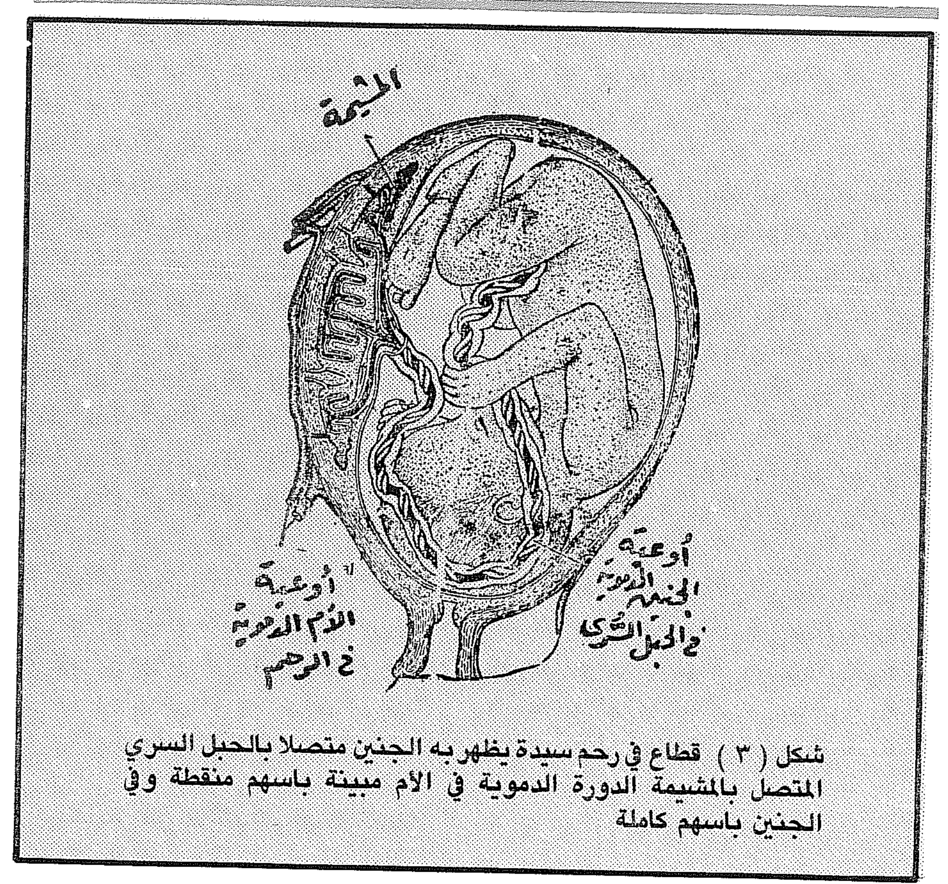
بالتزاوج او ما يعبر عنه القرآن الكريم « بالنكاح » .

والفرد الجديد الذي بدأ حياته جنينا بالبلازما التناسلية (اللاقحة) وحدها ودون شريك قد تكونت في هذا الفرد ومن هذه البلازما تباعا اثناء الاطوار الجنينيةوما بعدها ، قد كونت فيه من جديد بلازما تناسلية (خلايا تناسلية) بالاضافة الى كل جسمه الباقي الذي يتكون من البلازما الجسمية . وعليه يؤكد العلم - في حالة الانسان - ان البلازما التناسلية قادرة بانقساماتها على تكوين بلازما تناسلية جديدة مع بلازما جسمية وليس العكس صحيحا ، اي ان البلازما الجسمية لا يمكن بحال - في حالة الانسان - ان تكون بلازما تناسلية البتة . مع انه في بعض الحيوانات الاخرى من غير الانسان - مثل العدار (الهيدرا) والاسفنج وبعض الديدان المفلطحة (بلاناريا) (شكل ٥) وغيرها - يمكن ان تكون البلازما الجسمية بلازما تناسلية وجسمية من جديد ، فاذا قطع الحيوان قطعا (اربا) فان كل قطعة - تمثل بلازما جسمية - يمكنها ان تكون حيوانا جديدا قائما بذاته له جهازه التناسلي (بلازما تناسلية) واجهزته الجسمية الاخرى (شكل ٥) .

البلازما الجسمية في اي فرد آدمي مآلها الموت لا محالة . بل قد يموت بعضها ولا زال صاحبها حيا يرزق (مثل كرات الدم الحمراء ، وكثير من الخلايا الطلائية على الجلد او في باطن القناة الهضمية) . لكن حين ينتهي الاجل المسمى فيموت الانسان برمته ، فانه يموت بكل اجهزته بما فيها من خلايا تناسلية بقيت فيه - لكن خلاياه التناسلية (الحيوانات المنوية في الرجل والبويضات في الانثى) التي قدر لها ان تشترك قبل موته في تكوين لاقحات تبقى كامتدادات له فقد انتقلت منه اثناء حياته لتشترك في تكوين ابنائه او بناته .. وهكذا على نحو ما وضحناه سابقا . ولهذا يحلو لبعض العلماء ان يقول معبرا عن هذه الظاهرة « ما البلازما الجسمية في اي فرد الا مجرد عربة وظيفتها الاساسية ان تحمل وتحافظ على البلازما التناسلية حتى تسلمها الى غيرها » اليس هذا صحيحا ؟ .

واذا كان القارىء الكريم قد اخذ فكرة عن امكانية خلود البلازما التناسلية على النحو الذي وضحناه سابقا ، فانه يستطيع ان يستنتج على الفور « عمق النسب » الذي يعنيه هذا التعبير في الآية الكريمة . كما يمكن ان يرن في اذنه عمق هذا النسب ، كلما سمع اللفظ او النداء « يا بني آدم .. » في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

بقيت فكرة لا بد من تسجيلها عن ارتباط « الارحام » في كل ابناء آدم . والرحم في المرأة هو جزء من جهازها



شكل (٣) قطاع في رحم سيدة يظهر به الجنين متصلا بالحبل السري المتصل بالمشيمة الدورة الدموية في الأم مبينة باسهم منقطة وفي الجنين باسهم كاملة

التناسلي - بلازما جسمية - حيث يربى الجنين وهو المسمى « بالقرار المكين » في قوله تعالى :

(الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون) المرسلات / ٢٠ - ٢٣ .

في الاسرة الواحدة المكونة من اب وام واحدة لأبناء متعددين ذكور واناث ، يكون جميع الأبناء قد سكنوا على فترات متتالية رحم هذه الام لا محالة ، فصلة الرحم بينهم واضحة بلا غموض واذا كان لهذه الام اخوة واخوات من اب وام واحدة فهم لا شك بدورهم قد جمعهم رحم هذه الام (جدة الاسرة الاولى) وهكذا اذا تسلسلنا خلقا على هذا النحو ، فسوف نصل الى :

١ - ان رحم حواء قد سكنه على فترات كل اولادها من آدم ، ذكورا كانوا ام اناثا .

٢ - ان اناث الجيل الاول اللائي تزوجن باخواتهن قد سكن ارحامهن كل اناث وذكور الجيل الثاني .

٣ - واذا تسلسلنا على النحو السابق

لوجدنا ان كل ام لاحقة قد سكن رحمها ذكور واناث من ابنائها وبناتها لكن هذه الام بدورها كانت اختا لذكور واناث سكنوا رحم ام سابقة . ومعنى ذلك بعبارة اخرى :

- ان حواء هي ام لابنائها الذكور والاناث من الجيل الاول .
- ان حواء هي ام لامهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثاني
- ان حواء هي ام لامهات أمهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الثالث .
- ان حواء هي ام لامهات امهات حملن ذكورا واناثا من الجيل الرابع .

وهكذا يمكن ان نسلسل حتى لنجد ان « صلة الرحم » تربط كل من في الارض جميعا رجالا ونساء منذ وجدت حواء على الارض وإلى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ونخلص من مناقشتنا السابقة عن البلازما التناسلية والارحام ان الناس جميعا تربطهم وحدة التكوين كما تربطهم وشائج الدم (القرابة) . واذا استقرت هذه الحقيقة في ذهن كل انسان اتضح له ان الناس كلهم متساوون فليس لجنس امتياز على جنس اخر الا بالتقوى والعمل الصالح ، فتكريم الانسان لا يكون بلون ضد لون ، او جنس ضد جنس ، او قومية ضد قومية ، انما التكريم بالتقوى كما ينص على ذلك قوله تعالى :

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات / ١٣ .

وهكذا تكون البلازما التناسلية وخلودها ، وتكون الارحام وصلاتها ، تكون هذه وتلك سببين شديدين « النسب والمصاهرة » كما ورد في الاية الكريمة ، واذا كان القارىء قد تدبر وتمعن في هذين البعدين تدبرا شديدا وتمعنا عميقا ، فبامكانه ان يقرأ قول الحق تبارك وتعالى مدركا هذين البعدين اشد الادراك . يقول سبحانه :

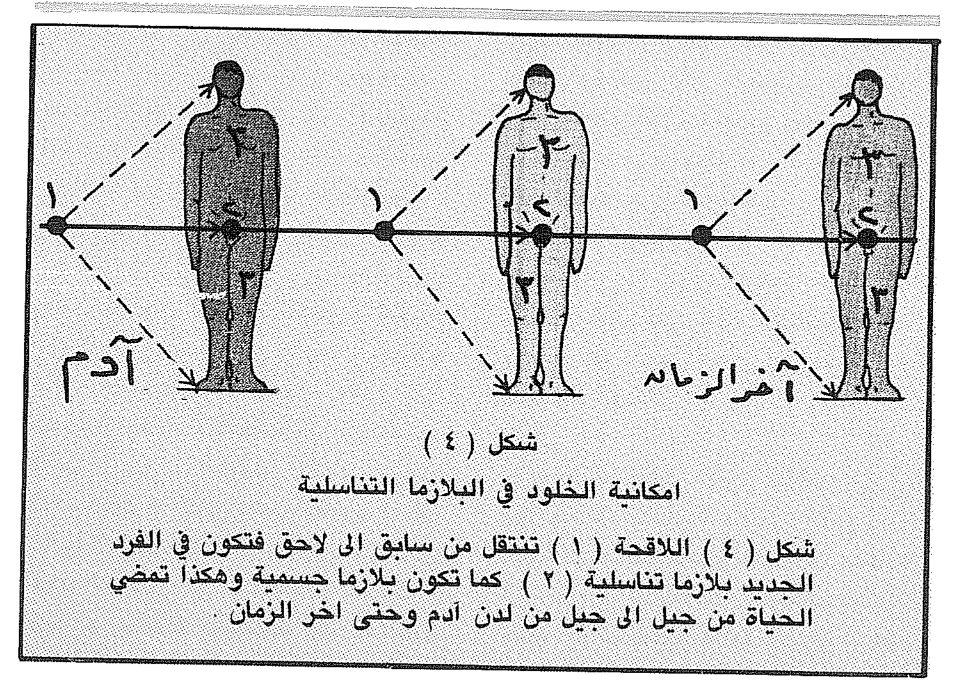
(يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا .) النساء / ١

فالنداء من الله الى الناس باتقائه لانه سبحانه :

١ ـ قد خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وهذا ما يتعلق بالبلازما التناسلية فكلهم مخلوقون بالتسلسل منها كما سبق القول . والنداء موجه للناس منذ وجود ادم وحتى تقوم الساعة .

٢ ـ وعبارة « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » تشير الى تنوع الحيوانات المنوية وبالتالي انتاج ذكور واناث من البشر في كل زمان ومكان .

٣ ـ واتقاء الله والارحام معناه ملاحظة الصلات المتينة بين الناس ،



شكل (٤)

امكانية الخلود في البلازما التناسلية

شكل (٤) اللاقحة (١) تنتقل من سابق الى لاحق فتكون في الفرد الجديد بلازما تناسلية (٢) كما تكون بلازما جسمية وهكذا تمضي الحياة من جيل الى جيل من لدن آدم وحتى آخر الزمان .

وكأنهم افراد اسرة واحدة يرتدون جميعا الى رحم واحد .

ثالثا : قوله تعالى « وكان ربك قديرا . »

لا يستطيع احد ان يحصي اثار قدرة الله التي تتجلى في كل شيء خلقه . لكن الآية الكريمة التي نحن بصددها تعالج خلق البشر من ماء التناسل (المنى) على النحو البديع والمعجز الذي نرجو ان نكون قد وضحناه سابقا . وفي هذا المجال وحده يمكن ان نتأمل معا الملاحظات الآتية :

١ ـ شاء الله وقدر ان يخلق الحيوان المنوي كما تصنعه الخصية شاء ان يجعله في صورة تخالف صور اي خلية اخرى في جسم الانسان (شكل ١) ، فجعله متحركا مكونا من رأس وذنب ومعدا بشكل خاص يؤهله لاداء وظيفته على الوجه الاكمل . فكان خفيف الوزن ، رشيق القد ، كثيرة اعداده اذا ما قورنت باعداد بويضات الانثى (النسبة بالحجم ١ : ٢٥٠,٠٠٠) وهذا ما يجعل فرصة التلاقي والاخصاب كبيرة . فالمعروف ان المشيج المذكر هو الذي ينتقل الى حيث توجد البويضة في جهاز المرأة التناسلي ، وعليه فاذا لم يكن مكيفاً بالشكل المطلوب ، والحجم المناسب والحركة الملائمة ، التي هيأها الله جميعا له ، لو لم يكن كذلك ، لما امكنه ان يزاول مهمته الشاقة على الوجه الاكمل ، ليكون هناك رجال كثير ونساء .

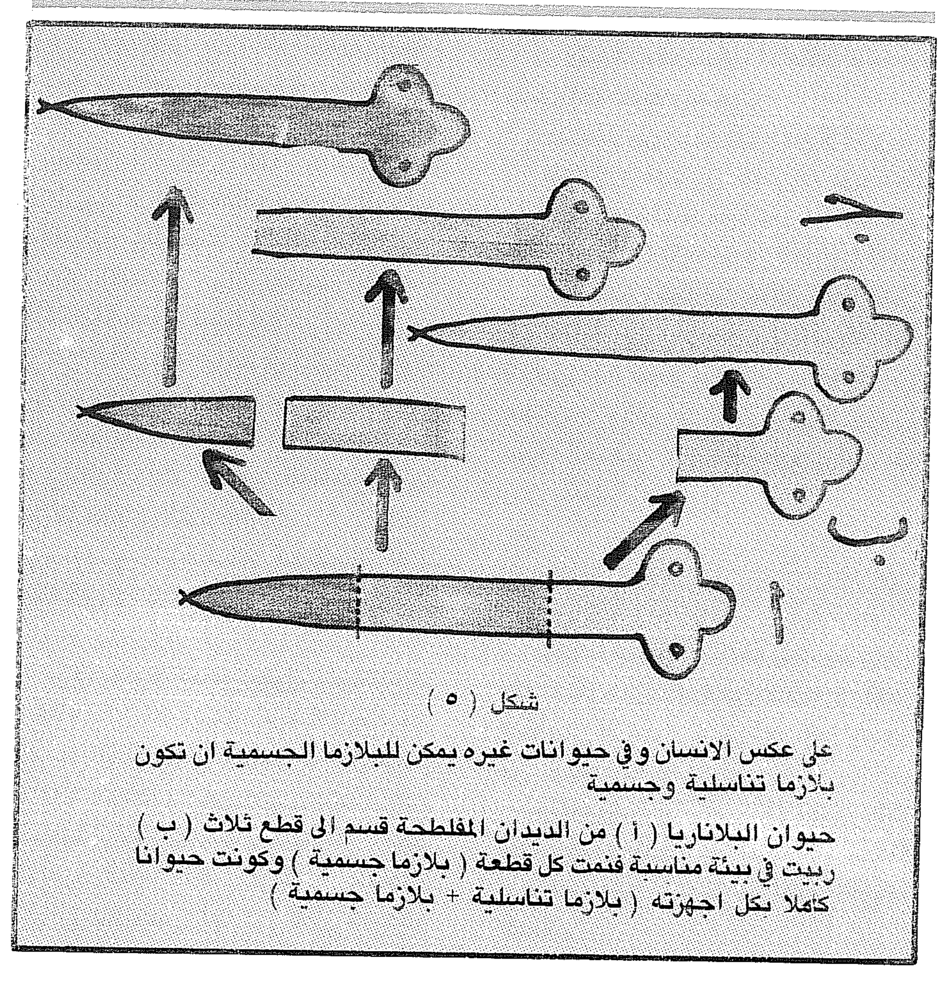
٢ ـ على عكس جميع خلايا الجسم

الاخرى - اي خلايا البلازما الجسمية - فان الامشاج بنوعيها، لها طريقتها الخاصة في الانقسام الذي اختصها الله بها لتتكاثر اعدادها، ولتعد نفسها للاخصاب. وتعرف هذه الطريقة علميا «بالانقسام الاختزالي» ونتيجته ان يحمل كل من المشيج المذكر والمشيج المؤنث، ان يحمل كل منهما «نصف عدد الصبغيات فقط» حتى اذا اندمجا معا بالاخصاب، تكونت لاقحة بها «العدد الكامل من الصبغيات» الذي يشبه نظيره في كل خلايا الجسم الاخرى. ترى من الذي افهم الامشاج ان تسلك هذا المسلك؟ انها لو خالفته بمسلك آخر لنشأت لاقحة لا تمت لصاحبها بصلة، ولما تم تكوين الخلق الجديد على الوجه المرضي، بل قد لا يتأتى تكوينه كلية. انها قدرة الله الخالق، الذي خلق فسوى. وقدر فهدى.

٣ - مكن الله بقدرته اللاقحة - وهي خلية واحدة - مكنها من الانقسام المتوالي لتكوين الفرد الجديد بخلاياه التي تعد بالبلايين وبأنسجته المختلفة، وباعضائه واجهزته المتباينة. ترى من الذي مكن لمثل هذه الخلية التي لا تزن سوى جزء واحد من بلايين البلايين البلايين الاجزاء من الجرام الواحد، من الذي مكنها على ان تنقسم فتكون فردا قد يصل وزنه الى مائة كيلو جرام أو يزيد؟ ونواة اللاقحة التي لا تشاهد الا بالمجاهر المكبرة كثيرا كنقطة حبر على ورقة بيضاء، هذه النواة هي سجل كامل وحافل بكل الصفات الوراثية التي تجعل الفرد الجديد وطوال حياته فرداً له «شخصيته أو ذاتيته» التي ينفرد بها عن كل ما سواه منذ خلق ابيه ادم وحتى تقوم الساعة. وما البصمة الا مثال واحد من امثلة عديدة تدل على هذه الذاتية. هذا صنع الله، فهل يمكن ان يدانيه في صنعته احد؟

والانقسامات الاولى للاقحة تؤدي الى خلايا متشابهة، فمن الذي يأمر خلية او مجموعة من الخلايا محددة ان تسير في اتجاه معين تخالف مسيرة خلية او مجاميع خلايا اخرى؟ هذه تكون جهازا دوريا، وتلك جهازا عصبيا، وثالثة عظما، ورابعة لحما و... الخ. وعلماء الاجنة يعرفون تمام المعرفة ان الخلية التي تتجه لتكوين مشيج او جهاز بعينه تظل على مسيرتها دون أن ترتد او تنكص على العقب مهما وقع عليها من تأثير. انها تصر على تنفيذ ما امرت به. انها ملائكة الرحمن تجعل من اللاقحة خلقا اخر، انسانا بكل صفاته، فتبارك الله احسن الخالقين.

والانسان الكامل يكون جسمه متماثلا، بمعنى ان شقه الايمن يشبه الى حد بالغ شقه الايسر، ففي الحالات الطبيعية، لا نجد خلافا بين اذن يمنى واخرى يسرى، ولا بين ذراع ايمن وذراع ايسر وهكذا. بل ان الشعر يتوزع على الجسم في تماثل



شكل (٥)

على عكس الانسان وفي حيوانات غيره يمكن للبلازما الجسمية ان تكون بلازما تناسلية وجسمية

حيوان البلاناريا (أ) من الديدان المفلطحة قسم الى قطع ثلاث (ب) ربيت في بيئة مناسبة فنمت كل قطعة (بلازما جسمية) وكونت حيوانا كاملا بكل اجهزته (بلازما تناسلية + بلازما جسمية)

تام ، حتى اذا شاب بعضه عن يمين ، شاب نظيره عن شمال . وقس على ذلك الكثير الكثير . من الذي امر الخلايا ان تسلك مسلكا معينا ؟ وما هي التوجيهات الحازمة التي لا تجعل يمينا يشذ عن شمال . العلم لا يعرف عن ذلك شيئا . لكن علم الله المحيط هو الذي تكمن فيه اسراره . وقدرته تعالى تتضح في مظاهره التي تحير العقول .

٤ ـ مكن الله البلازما التناسلية في صورة اللاقحة ان تكون الخلق الجديد بكل مركباته من بلازما تناسلية واخرى جسمية (شكل ٤) وشاءت حكمته وفي الانسان خاصة الا يحصل العكس ، فلا تكون البلازما الجسمية فردا جديدا (كالحال في بعض الحيوانات الاخرى) ، وقد جعل سبحانه للبلازما التناسلية كفاءة الخلود بانتقالها من سابق الى لاحق من لدن آدم وحتى تقوم الساعة ،

وجعل وسيلتها الى ذلك الخلود ارحام الامهات التي تكفل لها الاستمرار والحياة ، وبالتالي يتم « النسب والصهر » . ومن هنا اصبح لفظ « الرحم » ومشتقاته رمزا للصلة والقرابة والرحمة في كثير من آيات الذكر الحكيم ، والاحاديث القدسية الشريفة يقول سبحانه :

(هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) آل عمران / ٦

(واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) النساء/١

(واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) الانفال/٧٥

وفي حديث قدسي يقول سبحانه ما معناه : ان الله اشتق اسم الارحام من اسمه تعالى (الرحمن - الرحيم) وانه سبحانه يحض على وصلها وعدم قطعها ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . ويقول سبحانه انذارا للقاطعين لها : **(فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم .) محمد /٢٢ & ٢٣**

رابعا : حول النسب والمصاهرة :

واكمالا للفائدة ، وتوضيحا للآية الكريمة ، نسجل هنا خواطر مفيدة عن النسب للانبياء الذي حدث على اثر المصاهرة وتكوين العائلات .

١ - وتبدأ بالرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم :

أ - فنسبه من جهة ابيه هو كالاتي :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (وكان في زمن سيدنا موسى عليه السلام على الصحيح وقيل في زمن سيدنا عيسى)

ب - واما نسبه من جهة امه فهو كالاتي :

سيدنا محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (الجد الخامس للرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ابيه) .

والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي به نسبه الى سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام .

٢ - اما شجرة النسب التي ينتمي اليها سيدنا عيسى وتضم كثيرا من اسماء الانبياء الاخرين فقد سجلها « موريس بوكاي » في مؤلفه بالانجليزية والفرنسية والذي ترجمته الى العربية دار المعارف بالقاهرة (تحت رقم ١١١٩) في ذكرى الملك الراحل « فيصل بن عبد العزيز » رحمه الله وعنوان المؤلف « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء

المعارف الحديثة » ويعترف المؤلف المسيحي ان الاناجيل تختلف فيما بينها في تسجيل نسب سيدنا عيسى ، وقد قدم دراسة مقارنة في هذا الصدد واختار هنا ما سجله المؤلف من انجيل « لوقا » عن شجرة نسب المسيح ، وان كان المؤلف نفسه يوجه اليها بعض المطاعن ، ولكني اوردها هنا لفائدتها ، فقد بدأها بأبي البشر آدم عليه السلام على الوجه التالي :

آدم ، ـ شيث ـ اندش ـ قينات ـ مهلئيل ـ يارد ـ اخنوخ ـ متوشالح ـ لامك ـ نوح ـ سام ـ ارفكشاد ـ قينان ـ شالح ـ عابر ـ فالج ـ راعو ـ سروح ـ ناحور ـ تارح ـ ابراهيم ـ اسحق ـ يعقوب ـ يهوذا ـ فارص ـ حصرون ـ عرني ـ اومني ـ عميناداب ـ نحشون ـ شالح ـ بوعز ـ عوبيد ـ يسى ـ داود ـ ناتان ـ متاتا ـ منا ـ مليا ـ الياقيم ـ يونان ـ يوسف ـ يهوذا ـ شمعون ـ لاوي ـ متات ـ يوريوم ـ عازر ـ بوسى ـ عير ـ المووام ـ قوسام ـ آدي ـ ملكي ـ تيري ـ شالتئيل ـ زربابلَ ـ يسا ـ يوحنا ـ يهوذا ـ يوسف ـ شمعي ـ متتيا ـ مآت ـ نجاي ـ حسلي ـ ناحوم ـ عاموس ـ متتيا ـ يوسف ـ ينا ـ ملكي ـ لاوي ـ متات ـ عالي ـ يوسف (آل عمران والد مريم التي ولدت المسيح)

وقد ناقش المؤلف (موريس بوكاي) الاختلافات الكثيرة في الاسماء بين انجيل « لوقا » وانجيل « متى » وكان هذا موضع نقد شديد منه . وعلى سبيل المثال لم يرد اسم النبي « سليمان » بعد « داود » في انجيل لوقا مع وروده في « انجيل « متى » . وعلى هذا الاساس فتكون شجرة النسب الواردة هنا على عهدة من سجلها .

٣ ـ يرتبط النسب والصهر ارتباطا شديدا بظاهرة « البلوغ » في الانسان ، كما يترتب على هذه الظاهرة الكثير من التكاليف الشرعية في الاسلام ، والرجل يصبح في حكم « البالغ » عندما يستطيع انزال المنى لاول مرة ، فهذا شاهد بلوغه ، اما المرأة فتصبح بالغة عندما تحيض لاول مرة ، ومعنى الحيض ترتيب دورة شهرية لها يحدث اثناءها التبويض (اي وصول البويضة من المبيض الى قناة المبيض حيث يمكن اخصابها) . ويكون « البلوغ » بالمعنى العلمي الدقيق هو « بداية امكانية الانسان او قدرته على توريث البلازما التناسلية لغيره من بعده كامتداد له » . ترى لماذا كانت مسئولية التكاليف الشرعية مرتبطة بالبلوغ ؟ . ولماذا كان العمر السابق على البلوغ « فترة سماح » لا يحاسب المرء عليها ؟ يقول علماء الدين ان فترة السماح هذه تكون انضاجا للعقل والخبرة والتدريب حتى اذا حان البلوغ كان الانسان على استعداد لتحمل مسئولياته امام ربه . قد يكون ذلك سليما ولكن السبب الكامل ـ على ما اعتقد ـ لا يكمن في هذا التفسير

وحده ، فكم من صبي لم يبلغ الحلم بعد أن اكتسب خبرة وتعقلا اكثر من رجل بالغ في ريعان عمره - ومن جهتي ، فاني اعتقد ان ارتباط المسئولية بالبلوغ هو ارتباط للمسئولية بتوريث الصفات عن طريق البلازما التناسلية (اللاقحات) ومعنى ذلك ان الوالدين اللذين اصبحا قادرين على امتداد حياتهما في ذريتهما لا بد ان يكونا اسوة لهما في كل عمل يأتيانه ، والمسئولية التي تلقى على عاتقيهما منذ بلوغهما هو اشعار لهما « بالامانة الثقيلة » التي يقبلان على حملها .

٤ - واذا كانت الاولاد في الاسرة ينسبون الى ابيهم وتلدهم امهاتهم ان تعددت الزوجات او امهم ان كانت زوجة واحدة ، فقد احترم القرآن الكريم هذه العلاقة احتراما شديدا ، فحرم التبني ، وهو ادعاء البنوة لشخص ليس امتدادا لابيه ، كما انكر على الزوج ان يدعي ان زوجته كأمه (الظهار) محرمة عليه . يقول سبحانه :

(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما) . الاحزاب / ٤ - ٥

(الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور) المجادلة/٢

وبقدر ما يحترم القرآن الكريم النسب الحقيقي على النحو السابق ، فان الحق تبارك وتعالى يقدم رابطة العقيدة الدينية على رابطة النسب الحقيقية ، فابن سيدنا نوح الذي هو من صلبه ، يشفق عليه والده من الغرق فيدعو ربه لانقاذه ، فيكون جواب الله له ما يحكيه القرآن الكريم :

(ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين .) هود/٤٥ - ٤٦ .

والمعنى ان ابن سيدنا نوح ان كان ينتمي اليه نسبا ، فانه يسلك مسلكا يخالف ما يدعو اليه والده ، ومن ثم فانه لا يكون على دينه ، فالعقيدة الدينية رابطة اقوى من النسب ، ومن ثم كان ابن نوح ليس من اهل نوح لانه ليس على عقيدتهم . وفي غزوة بدر الكبرى تجلت هذه الظاهرة واضحة قوية ، فقد احلت العقيدة الدينية قتل المؤمن لمخالفه الكافر ابنا كان او ابا ، والامثلة على ذلك تسجلها كتب السيرة وهي كثيرة .

٥ ـ وكما حرم الله التبني حفاظا على النسب الحقيقي ، فقد أمر ان تعتد المطلقات حتى تبرأ ارحامهن من الحمل قبل ان يقدمن على الزواج من جديد . وقد اكد ذلك حتى لا تختلط الانساب بين زوج سابق وزوج لاحق .

يقول سبحانه .

(يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ..) الطلاق/١
(واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ..) الطلاق / ٤
(والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ..) البقرة / ٢٢٨

فسر القرء على انه الحيض او الطهر بين حيضين ، والسؤال الان هو لماذا التحديد بثلاثة قروء او ثلاثة اشهر ؟ . المعروف ان الحيض يحل بالمرأة الخصيبة (ليست في سن اليأس) مرة كل شهر تقريبا في الاحوال الطبيعية . وقد ثبت طبيا بالابحاث ان المرأة قد تحمل ، لكن الجنين وهو في بداية حياته لا يستهلك كل الدم الوارد الى الرحم فينزل بعضه في ميعاد الحيض مرة ، او مرتين على الاكثر ولكنه لا ينزل ابدا للمرة الثالثة عند استقرار الحمل . لم تكن هذه الحقيقة الطبية معروفة وقت نزول القرآن الكريم ، فهي لم تعرف الا حديثا . ومن ثم يكون انتظار المطلقة لثلاثة قروء كافيا ومؤكدا لاستبراء رحمها من الحمل ، ولا يحل لها ان تتزوج قبل استكمال عدتها هذه حتى لا يختلط النسب اذا لم تراع هذه الحقيقة مراعاة تامة .

٦ ـ ونختم المقال بالاشارة الى التركيز الواضح الذي يسجله القرآن الكريم بصدد نسب سيدنا عيسى الى امه تأكيدا لمعجزة ولادته من غير اب .

● فقد ذكر لفظ « المسيح » في القرآن احدى عشرة مرة جاء فيها غير منسوب لأمه ثلاث مرات فقط (النساء : ١٧٢ ـ المائدة : ٧٢ ـ التوبة : ٣٠)

● وذكر لفظ « عيسى » في القرآن خمسا وعشرين مرة جاء فيها غير منسوب لوالدته تسع مرات فقط (البقرة : ١٣٦ ـ النساء : ١٦٣ ـ الانعام : ٨ ـ الشورى : ١٣ ـ الزخرف : ٦٣ ـ آل عمران : ٥٢ ـ ٥٥ ـ ٥٩ ـ ٨٤) .

● وذكر لفظ « مريم » في القرآن اربعا وثلاثين مرة جاء فيها دون ذكر لابنها احدى عشرة مرة فقط ، منها ستة في آل عمران وحدها .

والله تعالى أعلم .

مائدة القارئ

بين

قال الحريري في درة الغواص : بين لا تدخل الا على المثنى والمجموع ، كقولك : الدار بينهما ، والدار بين الاخوة ، فأما قوله تعالى : « **مذبذبين بين ذلك** » فان لفظة ذلك تؤدي عن شيئين ، كشف ذلك بقوله تعالى : « **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** » ونظيره : « **لا نفرق بين احد من رسله** » فلفظة احد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع .

الحبس

ما الحبس الا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
ان زارني فيه العدو فشامت ... يبدي التوجع تارة ويفند
او زارني فيه المحب فموجع ... يذري الدموع بزفرة تتردد
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى ... احد عليه من الخلائق يحسد

خطايا ... وحسنات

قال لقمان لابنه :
يا بني اجعل خطاياك بين عينيك الى ان تموت ،
واما حسناتك فاله عنها فانه قد احصاها من لا ينساها .

انت الزمان

قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة :
كيف زمانك يا معن ؟
قال : يا امير المؤمنين ، انت الزمان ،
فان صلحت صلح الزمان .
وان فسدت فسد الزمان .

الهدية ... والصدقة

الهدية ترد بلاء الدنيا ، والصدقة ترد بلاء الآخرة

جفاء موجع

قال حكيم : جفاء القريب اوجع من ضرب الغريب .

ستر الله

قال ابو هريرة ـ رضي الله عنه : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « كل أمتي معافى ، الا المجاهرين ، وان من المجانة ان يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يا فلان ! عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » .

اخرجه البخاري

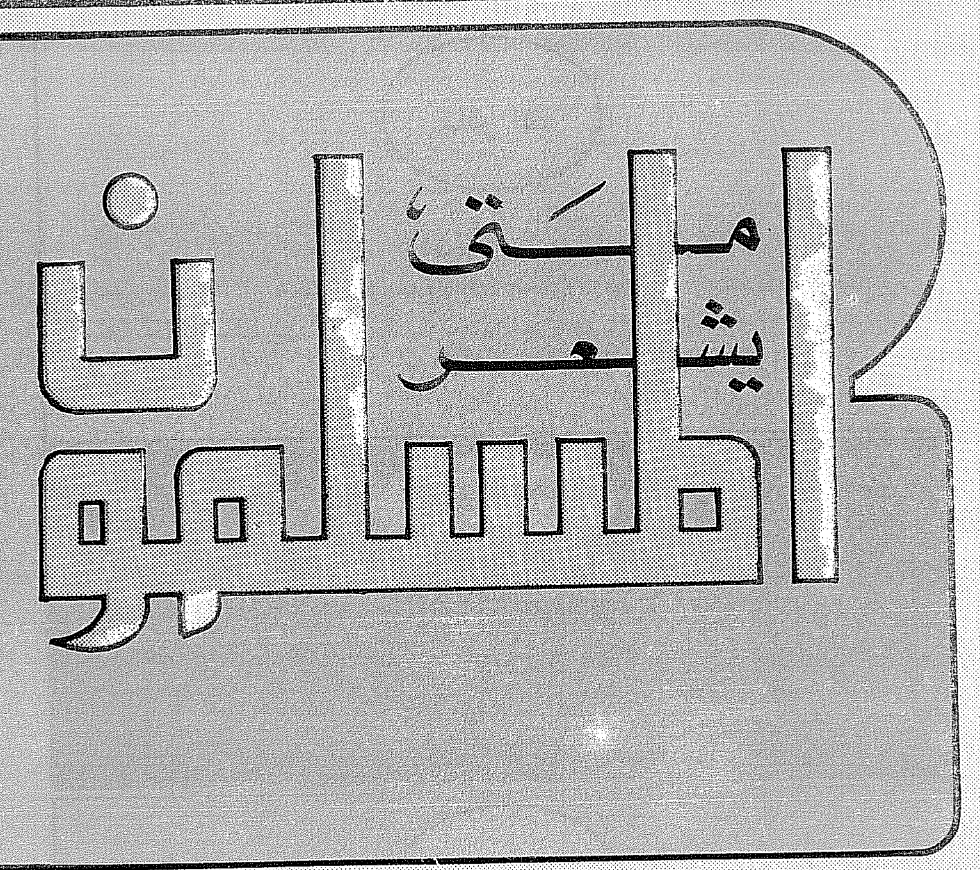
الذين آمنوا

قال الله تعالى : « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » .

الآية ٣١ من سورة ابراهيم

مكارم الاخلاق

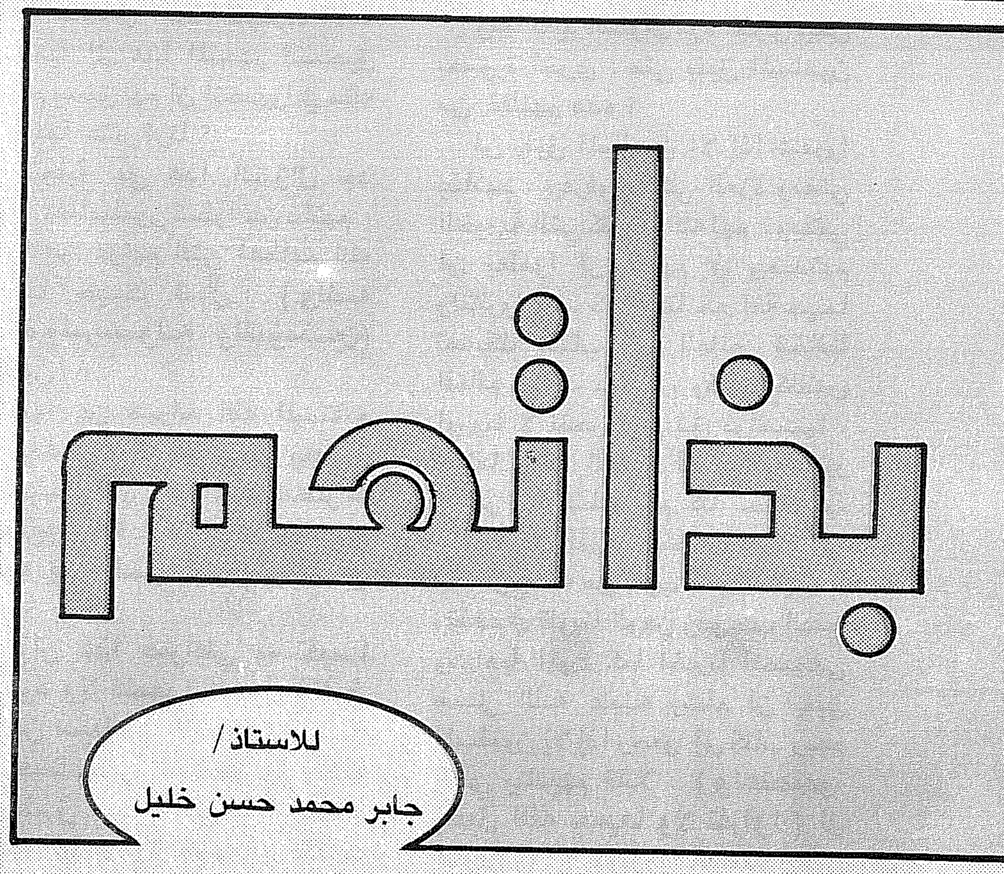
وقعت سفانة بنت حاتم في اسر الجند المسلم وكانت ضمن السبى الذي عرض على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما وقفت بين يدي الرسوم الكريم قالت : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب ! فان ابي كان سيد قومه يفك العاني ، ويقتل الجاني ، ويحفظ الجار ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه احد في حاجة فرده خائبا ، انا ابنة حاتم الطائي .
فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا ، ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق . ثم اردف فقال عليه الصلاة والسلام : ارحموا عزيزا ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بين جهال .



حبانا الله تبارك وتعالى ـ معشر المسلمين ـ بنعم فاقت النعم التي أنعم بها على غيرنا من الأمم . أنعم علينا بنعمة التوحيد وما أعظمها نعمة ولا سيما أن البشرية تجرعت كأس الضلالة حتى الثمالة من جراء ابتعادها عن عقيدة التوحيد .

وأنعم علينا بنعمة الاسلام وكفى بها نعمة وجعله خاتم الأديان السماوية وأكملها قال تعالى : (**إن الدين عند الله الاسلام**) آل عمران/١٩ وقال : (**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة/٣ بل جعله دين البشر عامة لأنه الدين الكامل ، وتوعد الذين يلقونه غير مسلمين فقال تعالى : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران/٨٥ .

وأنعم علينا بالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي فيه علاج ما عجزت البشرية بماديتها واعتمادها على عقلها الناقص عن علاجه ، وتتجلى هذه النعمة في حفظه عما أصاب غيره من الكتب السابقة من التحريف



والتبديل وصدق الله إذ يقول : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ وبين الحق تبارك وتعالى ان هذا الكتاب حوى كل شيء فقال : (**ما فرطنا في الكتاب من شيء)** الأنعام/ ٣٨ وان هذا القرآن هداية للبشر : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)** البقرة/ ٢ .

وأنعم علينا بخير الأنبياء وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله للبشر عامة على عكس الذين سبقوه من الأنبياء والرسل فقال تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الأنبياء/ ١٠٧ .

هذا فيض من غيض وقطر من بحر نعم الله التي أنعم بها على المسلمين بل أكثر من ذلك جعلهم خير أمة أخرجت للناس فقال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/ ١١٠ وكذلك جعل الله الأمة الاسلامية شاهدة على بقية الأمم فقال تعالى : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس)** البقرة/ ١٤٣ .

وهنا نتساءل : لماذا تقهقرت الأمة الاسلامية إلى هذا المنحدر السحيق الذي لم يسبق لهم أن انحدروا في مثله منذ أربعة عشر قرنا ؟

والاجابة على هذا السؤال جد يسيرة : فالمسلمون تخلوا عن ذاتهم ، وتخلوا عن عزتهم التي أعطاهم الله إياها حيث قال : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون/٨.

تخلوا عن صراط الله المستقيم الذي ينشدون الله كل يوم أن يهديهم إليه حينما يقولون : (**اهدنا الصراط المستقيم**) الفاتحة/٥ ، والذي وضحه لهم الحق تبارك وتعالى في قوله :

(**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الأنعام/١٥٣ .

فوجدنا بعض المسلمين يولي وجهه قبل الشرق حيث الشيوعية الملحدة ، والبعض الآخر يولي وجهه قبل الغرب بماديته الجارفة التي لا مكان فيها للفضيلة والخلق القويم .

ووجدنا البعض يعلن على الملأ إسلامه ويلبس مسوح العلماء وهو ألد الخصام ، يفعل في السر ما يهدم به ما يقوله في العلانية ، ووجدنا آخرين ليس لهم هم إلا القضاء على الاسلام والمسلمين ثم يدعون الايمان . هذا الانفصام في الشخصية يعاني منه المسلمون الآن ، وفي أيديهم العلاج لكل ما تعاني منه البشرية من آلام ، ومع هذا فقد فضلوا الداء على الدواء .

وهنا نعيد السؤال مرة أخرى ولكن بصورة أخرى : متى يفيق المسلمون من غفلتهم هذه ؟

لن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم ، وعرفوا معنى العزة ومعنى الخيرية التي كتبهما الله لهم ، ويكفي أن يعلموا أن قوتهم في وحدتهم وانظروا كيف كنا ؟ كنا خير أمة حينما تمسكنا بكتاب رب العالمين فخافنا العالم وعرف بأسنا ، وكانت كنائس اوروبا لا تتجرأ على دق نواقيسها ، حينما كانت السفن الاسلامية تعبر البحر المتوسط ، يوم كنا تحت راية الخلافة في القرون الماضية ، أما الآن فقد نزع الله من قلوب عدونا المهابة ، وقذف في قلوبنا الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت كما أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لن يفيق المسلمون إلا إذا رجعوا إلى كتاب ربهم الذي يناديهم قائلا : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران/١٠٣ . وتركوا العصبية التي كادت تقطع أوصالهم ، لأنهم نسوا أو تناسوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية » رواه أبو داود وقوله (صلى الله عليه وسلم) : « ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » رواه احمد ، وبمثل ذلك دعانا في حجة الوداع في وصية لنا معشر المسلمين بنبذ النعرات القومية جانبا والالتفاف حول لواء الاسلام لأننا جميعا لآدم وآدم من تراب .

لن يفيق المسلمون إلا إذا اقتنعوا بأن الأعداء من حولهم مهما اختلفت مذاهبهم ومهما اختلفت عقائدهم فإنهم يجتمعون على هدف واحد هو استئصال شأفة الاسلام، والعمل على طمس الوجود الاسلامي من وجه البسيطة.

لن يفيق المسلمون إلا إذا اعتزوا بلغتهم لغة القرآن الكريم فلم يفرطوا فيها، وحاربوا الذين يحاولون النيل منها بالدعوة إلى العامية تارة وبالدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية تارة أخرى.

ولن يفيق المسلمون إلا إذا شعروا بذاتهم كأمناء على رسالة الله في العالم وأنه بضياعهم يضيع العالم لأنهم حملة مشاعل النور إلى البشرية التي تعج في ظلمات بعضها فوق بعض.

ولكي يفيق المسلمون من سباتهم العميق نضرب لهم هذا المثل الذي ضربه الفيلسوف المسلم محمد إقبال حينما أراد أن يبين أثر تخلي المرء عن خصائصه وعن ذاته:

«كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعى وفير الكلأ عيشا رغيدا، ولكنها أصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها. فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريح من هذا الخطر الداهم الذي يهددها في أوطانها وأرواحها، فرأى أن استخدام القوة مع هذه الأسود أمر مستحيل، فلابد من استخدام السياسة والدهاء والحيلة، فظل يتودد إلى هذه الأسود في حذر حتى ألفته وألفها، فاستغل هذه الألفة وبدأ يعظ الأسود ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء، وإلى أن تترك أكل اللحم، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون، ويقبح لها الوثب والاعتداء حتى بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش، وأخذت تتكاسل في السعي وراء الرزق، ومالت إلى حياة الدعة والهدوء، واكتفت بأكل الأعشاب كما تفعل الكباش فماذا كانت النتيجة؟

كانت النتيجة أن الأسود استرخت عضلاتها، وتثلمت أسنانها وتقصفت أظفارها وأصبحت لا تقوى على الجري، ولم تعد قادرة على الافتراس وبذلك تحولت الأسود إلى أغنام».

وهنا بيت القصيد: لماذا تحولت الأسود إلى أغنام؟

لأنها تخلت عن خصائصها وتخلت عن ذاتها وكذلك الأمة الاسلامية حينما تخلت عن ذاتها.

ونعود إلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام صحابته رضوان الله عليهم نجد أنهم فتحوا البلاد شرقا وغربا وخضع لهم أعداؤهم في ذلة وانكسار لأنهم عرفوا مكمن عزتهم فتمسكوا به، وعرفوا مكانة المسلم بين الناس فعملوا على إعلاء هذه المكانة متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله.

وحينما تخلى المسلمون عن ذاتهم، ساروا في ركاب الملحدين تارة وفي ركاب الكفار تارة أخرى، صاروا في

ذيل القافلة ونسوا أن هؤلاء الذين يتبعونهم يعتزون ويتمسكون بأفكارهم الباطلة سواء كانوا شيوعيين أم صليبيين أم يهودا .

ومن نتائج فقدان الذات أن سلط الله على الأمة الاسلامية رعاع البشرية وسفلتها ممثلة في هذه الشوكة التي وضعها أعداء الله في قلب أمتنا الاسلامية في فلسطين ألا وهي اسرائيل .

واسرائيل تمثل في المثال الذي ضربه الشاعر المسلم محمد إقبال ذلك الكبش الذي يخفي مكره ويدعي العجز لكي يسلب الأسود أعز ما يملكون ، وإذا نظرنا الى فريضة من الفرائض التي تركها المسلمون وكانت سببا في فقدان ذاتهم نجد أن تركهم الجهاد كان القشة التي قصمت ظهر البعير فقد ابتعدوا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ولم يكتفوا بهذا ، بل تركوا سبيل عزهم ومجدهم ألا وهو الجهاد ، وصدق رسول الله حينما قال : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا » رواه احمد وأبو داود .

ويرجع هجر الجهاد في سبيل الله إلى عوامل كثيرة اختمرت في نفوس المسلمين منها ما فعله ذلك الكبش اللئيم وأتباعه من المستشرقين وأذياله من المستغربين من أبناء المسلمين حيث أشاعوا فرية أن الاسلام انتشر بحد السيف ، ولسنا بصدد الرد على هؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نور الشمس بأفواههم ، ولكننا لابد أن نكشف اللثام عن الغرض الخبيث وراء هذه الأكذوبة ألا وهو أن هؤلاء المستشرقين وأذنابهم ومن يدور في فلكهم يريدون ان يقولوا لضعاف النفوس من المسلمين إن دينكم انتشر بحد السيف ، ولكي تنفوا عن أنفسكم هذه الجريمة يجب عليكم أن تلقوا السلاح من أيديكم ، وألا تفكروا في الجهاد أبدا حتى لا تتهموا بما اتهم به أسلافكم .

ووجدت هذه اللعبة هوى عند الذين فقدوا ذاتهم وأصبحوا يسبحون في بحار الغي والضلال فرأينا منهم من يمد يد السلام إلى من لعنهم الله ، ورأينا بعضهم يحالف الملاحدة الذين كفروا بالله .

وأيضا من نتائج فقدان الذات أننا لم نعد نتذوق حلاوة الأخوة في الله وتركنا شعوبا مسلمة لله تصارع قوى البغي والعدوان دون أن نمد لها يد العون اللهم إلا بكلمات التأييد وبالخطب الرنانة والشعارات البراقة ونسينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » رواه الحاكم وقوله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه مسلم واحمد .

وفي هذا النطاق وجدنا المعتصم يجهز جيشا لفتح عمورية التي أهدر أهلها كرامة امرأة مسلمة هضم أعداء الله حقها فصاحت : وامعتصماه فرد لهذه المرأة اعتبارها وأخذ لها حقها معززة مكرمة ولكننا من منطلق فقدان الذات تركنا أفغانستان وارتيريا

واندونيسيا ترزح كل منها تحت أيدي أعداء الله وتصرخ فينا قائلة : «إسلاماه» ولكن ما لجرح بميت إيلام لقد ضاعت أصداء هذه الأصوات في سماء تجاهل المسلمين لاخوانهم .

وأخيرا نعود لنسأل أنفسنا : متى يعود المسلمون إلى سابق مجدهم ؟ وبعبارة اخرى : متى يشعر المسلمون بذاتهم ؟

يخبرنا الحق تبارك وتعالى أنه جعل لهذه الأمة الخيرية إذا نفذت الشروط التي بينها الله في قوله : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) فالشروط الثلاثة التي استوجبت لهذه الأمة الخيرية هي : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والايمان بالله . ولسنا بصدد الغوص في بحار هذه الشروط الثلاثة ولكن بحسبي أن أقف وقفات سريعة عند كل منها فمن الأمر بالمعروف أن يأمر كل شعب من الشعوب الاسلامية حكامه بأن يتكاتفوا مع بعضهم البعض لمواجهة ما يحيط بالعالم الاسلامي من مؤامرات يهودية وصليبية وشيوعية امتثالا لقوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) ولقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » رواه الشيخان .

ومن الأمر بالمعروف أن نجتمع على ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وبذلك نفوت الفرصة على أعداء ديننا الذين يتربصون بنا لتفكيك أواصرنا حتى يسهل عليهم ابتلاعنا وصدق رسول الله إذ يقول : (إن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية) رواه احمد وأبو داود والنسائي والحاكم .

أما عن المنكرات فهي أكثر من أن تحصى وإذا ضربنا أمثلة عليها فاختلاف المسلمين فيما بينهم هو أكبر المنكرات ، والدعوة إلى العصبية والنزاع العرقي هو أيضا من المنكرات التي يجب أن نتجنبها .

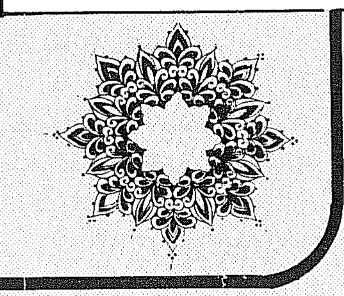
واتصال حبل المودة بين المسلمين وأعداء الله من اليهود هو من أشد المنكرات ولا سيما أن الله كشف عن خستهم وخفايا نفوسهم وأن الله كتب عليهم الذلة والمسكنة فكذلك من أحبهم لأن من أحب قوما حشر معهم ، أما من أحب الله العزيز واتبع منهاجه فسيكتب الله له العزة .

وأخيرا فان الايمان بالله يكون باعلاء شرع الله فتكون الدساتير في بلاد الاسلام كلها مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ، ويكون شرع الله هو الغالب لا شرع البشر مهما بلغت مكانتهم . ومن الايمان بالله أن يعمل الجميع على أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ومن الايمان بالله أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد يجمع شملهم في ظل خلافة إسلامية ، وأن يتعاون المسلمون جميعا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الاثم والعدوان .

يومها ويومها فقط نشعر بذاتنا المسلمة ، ونشعر بعظم مكانتنا بين هذا العالم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

من الشعر الديني

مؤمنا



صاعد في الجو يبغي مأربا في مدار الشمس او مسرى القمر
كلما أمعن سيرا في الفضا وجد الارض تناهت في الصغر
والجبال الشم في ارجائها قد بدت في العين اشباه الابر
ورأى أهرام خوفو مثلما تبصر النملة او حبة بر
لم ير الانسان في ارجائها ما له في اي نحو من اثر

* * *

أين من يملأ كبرا صدره وارم الأنف ، وفي الخد صعر ؟
يحسب الناس جميعا دونه وهو في قمة اجناس البشر
اين من يشعل حربا كلما انس القوة في بر وبحر ؟
لا يبالي ، هلك الناس به او اقاموا من تخوف فوق جمر
يملأ الارض فسادا طيشه كل عود من أذاه ينهصر
هو والرحمة ضدان ، ولا يعرف الرفق وإن لان الحجر !!

* * *

أين من ينكر ربا قادرا وهو في أنعمه الغر غمر ؛
يرتع الجاحد في خيراته ثم يمضي وهو بطران اشر
يدعي ظلما وزورا انه ليس الا العلم رب مقتدر !
ما علوم الارض في علم السما غير حسو الطير من ماء النهر !

* * *

عجبا للمرء في حالاته قلب في أمره لا يستقر
كلما كان بخير سالما جحد النعمة ، والرب كفر
وإذا ما مس ضر جسمه ضج بالشكوى ولله جأر

يغزو الفضاء

○ للشاعر : محمد عبد الفتاح محمود علم الدين

يطرح الكبر ويحني رأسه ان رأى يوما قواه في خطر
فاذا ما انجاب عنه ضره عاد للشر سريعا وفجر !!

❊❊❊

قتل الانسان ما اكفره ! من عناد ينكر الشمس بظهر
يحسب الخلاق عنه غافلا وهو مرصود ليوم لا مفر
ما جزاء المرء في طغيانه غير ان يسلك في سلك سقر !

❊❊❊

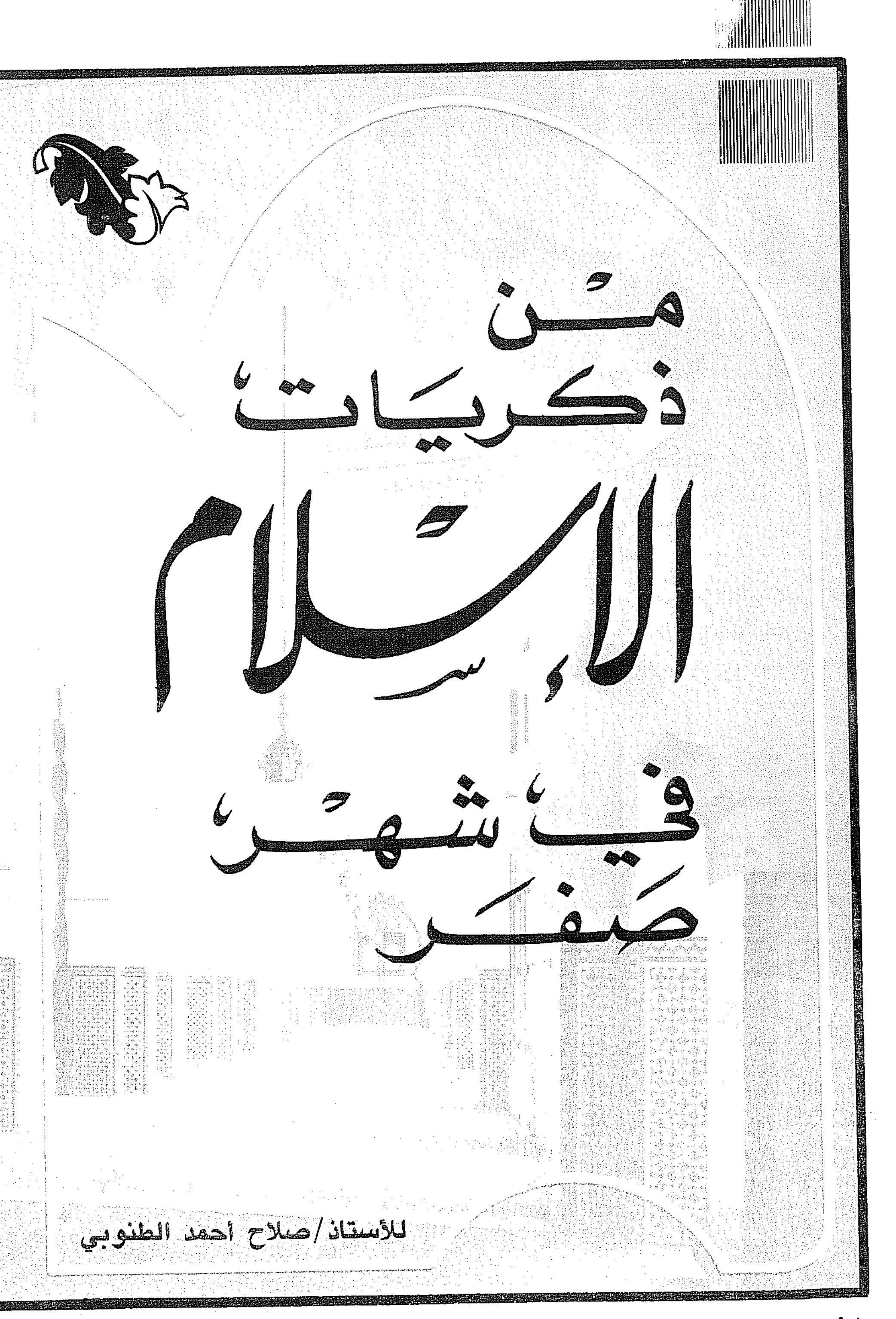
ايها الجاحد : مهلا ، إنما انت تمضي في ظلام مستمر
املأ العين بانوار الضحا واملأ الصدر بانفاس السحر
متع العين بجنات الربا يانعات دائبات بالثمر
والنبات الغض في ارجائها دائم الخضرة ريان عطر

❊❊❊

اعل يا جاحد يوما في الفضا واملأ القلب جلالا تنبهر
انما الكون فسيح رائع يخلب اللب ويسبي من نظر
ارجع الطرف الى آماده يرجع الطرف كليلا ينحسر
كل من يطلب اقطار السما ينتهي عمرا ولا يقضي الوطر
ليس عمر المرء الا ومضة من قرون الضوء يأتي من مجر !!

❊❊❊

اسمع التسبيح في تأويبه من نجوم وجبال وشجر
واعن لله الذي يعنو له كل خلق غاب عنا او حضر



من ذكريات الإسلام في شهر صفر

للأستاذ/ صلاح أحمد الطنوبي

صفر : الشهر الذي بعد المحرم . قال بعضهم : انما سمي بهذا لأنهم كانوا يتمارون الطعام فيه من المواضع . وقيل : لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا . وروى عن رؤبة أنه قال : سموا الشهر (صفرا) ؛ لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل ، فيتركون من لقوا صفرا من المتاع ، وذلك أن صفرا بعد المحرم ، فقالوا : صفر الناس منا صفرا . قال ثعلب : الناس كلهم يصرفون صفرا الا أبا عبيدة ، فمنعه للعلمية والتأنيث ، بارادة الساعة ، يعني أن الأزمنة كلها ساعات .

أنظر محاسن التأويل ـ الامام جمال الدين القواسمي جـ ٨ صـ ٣١٤٤)

وفي شهر صفر ذكريات اسلامية كثيرة منها :

(١) غزوة ودان (الأبواء) في شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة :

أول مغازيه التي خرج فيها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بنفسه ، خرج في صفر على رأس اثنى عشر شهرا من الهجرة (يونية سنة ٦٢٣م) يريد عيرا لقريش ، وبني ضمرة ، وقيل : لم يكن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » مريدا لهم ؛ بل مريدا للعير التي لقريش ، فلما لقى بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا ، وكان خروجه في ستين راكبا ، ليس فيهم أنصاري ، فلم يدرك العير التي أراد ، وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على أنهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ، ولا يعينون عليه عدوا ، وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، وأنه اذا دعاهم لنصر أجابوه .. عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، وكان لواء الرسول « صلى الله عليه وسلم » أبيض ، وكان معه حمزة « رضي الله تعالى عنه » واستخلف على المدينة سعد بن عبادة « رضي الله تعالى عنه » ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

(٢) ملحمة يوم الرجيع في شهر صفر سنة ٤هـ (مايو سنة ٦٢٥م)

الرجيع : ماء لهذيل ، قرب الهدأة بين مكة والطائف ، وبعث الرجيع هي سرية عاصم بن ثابت الانصاري « رضي الله عنه » ، وكان بعثه في صفر من السنة الرابعة من الهجرة النبوية ذكر ابن اسحاق أنه « قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بعد أحد رهط من قبيلتي : عضل والقارة (وهما قبيلتان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة) فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث رسول الله « صلى

الله عليه وسلم » نفرا ستة من أصحابه وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير الليثي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وخبيب بن عدى ، وزيد بن الاثنة بن معاوية ، وعبد الله بن طارق .. »

خرج هؤلاء حتى أتوا الرجيع ، فغدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلا ؛ ليعينوهم على قتلهم ، فلم يدع القوم وهم في رحالهم ، الا الرجال بأيديهم السيوف ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم ، وقالوا ذلك ؛ لأنهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ، ويأخذوا في مقابلهم مالا لعلمهم أنه لا شيء أحب الى قريش من أن يأتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ، ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد ؛ فأبوا أن يقبلوا منهم .

فأما مرثد وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ، وقاتلوا حتى قتلوا محتسبين أرواحهم الطاهرة في سبيل الله والاسلام .

وأما الثلاثة الآخرون (زيد وخبيب وعبد الله بن طارق) فقد لانوا ورغبوا في الحياة ، فأخذتهم هذيل أسرى وانطلقوا بهم نحو مكة ، وقبل دخولهم اليها تمكن عبد الله بن طارق ـ أحد المسلمين الثلاثة ـ من فك قيده ، واستل سيفه ، فتأخر عنه القوم ، ثم رموه بالحجارة حتى قتلوه فلحق باخوته شهيدا في سبيل الله والاسلام .

ولما أرادوا قتل خبيب بن عدى ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه ... ، وقيل : ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك ، فقال أبوسفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا .

(٣) سرية بئر معونة في شهر صفر ٤هـ :

وتسمى هذه السرية سرية المنذر ابن عمرو الخزرجي ، وتسمى أيضا بسرية القراء ، وكانت هذه السرية في شهر صفر في السنة الرابعة من الهجرة (مايو سنة ٦٢٥م) على رأس أربعة أشهر من أحد . قدم على رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في المدينة أحد زعماء الأعراف وهو أبو براء عامر ابن مالك المعروف بـ « ملاعب الأسنة » وهو من رؤوس بني عامر ، فعرض عليه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يظهر عداوة للاسلام ، ولكنه عرض على النبي « صلى الله عليه وسلم » أن يبعث دعاة من أصحابه الى أهل نجد ، فلعلهم يستجيبون ويسلمون ، فخشى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » غدر أهل نجد بهم ، فقال أبوبراء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس الى

أمرك .

فبعث النبي « صلى الله عليه وسلم » المنذر بن عمرو الساعدي في أربعين رجلا من خيار المسلمين ، فانطلقوا في سبيل الله حتى نزلوا ببئر معونة ـ بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ـ وبعثوا أحدهم بكتاب النبي « صلى الله عليه وسلم » الى عامر بن الطفيل يدعوه الى الاسلام ، فلم ينظر في الكتاب بل قتل الرجل الذي ينبغي ألا يقتل لأنه رسوله ، والرسل لا تقتل ! واستصرخ بني عامر كي يقتل أصحاب النبي ، فأبوا أن يخذلوا أبا براء الذي أجارهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم ، فأجابته قبائل منهم ، واندفعوا معه حتى أحاطوا بالمسلمين ، فاستل هؤلاء سيوفهم ودخلوا مع أعداء الله في معركة غير متكافئة ، وصدقوا الله حتى قتلوا ، لم ينج منهم الا اثنان كعب بن زيد الذي تركوه وبه رمق ، فعاش ووصل الى المدينة ، وعمرو بن أمية الضمرى الذي أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه !

وجاء رسول الله « صلى الله عليه وسلم » خبر أهل بئر معونة ، فقال : هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره وقد كنت لهذا كارها متخوفا ؛ فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر ابن الطفيل ، ومات عامر بن الطفيل .

قال حسان بن ثابت يرثي قتلى بئر معونة :

على قتلى معونة فاستهلي
بدمع العين سحا غير نزر

على خيل الرسول غداة لاقوا
ولا قتهم مناياهم بقدر

وقد احتسب المسلمون عند ربهم هؤلاء الدعاة المجاهدين في سبيل الله تعالى ، غير أن حزنهم عليهم كان عظيما ، وآية ذلك أن النبي « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه ظلوا شهرا كاملا يبتهلون الى الله تعالى ويدعونه عقب صلاة الفجر من كل يوم أن ينتقم لهم من قاتليهم . ومن جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة : عامر ابن فهيرة مولي أبي بكر الصديق « رضي الله عنه » وهو الذي عذب في الله فاشتراه أبوبكر فأعتقه ، واستشهد عامر وهو ابن أربعين سنة . رضى الله تعالى عنه .

الدروس المستفادة من يوم الرجيع وبئر معونة :

١ ـ يدل كل من حادثة الرجيع ، وبئر معونة على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة الى الاسلام ، وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه ؛ فليس أمر الدعوة موكولا الى الأنبياء والرسل « عليهم السلام » وحدهم ، أو الى خلفائهم ، والعلماء دون غيرهم .

ان ايفاد هاتين السريتين لم يكن الا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل الله ، والدعوة الى هذا الدين ، والسهر على نشره بشتى الوسائل ، أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا

شهداء ؟ وهذا ما كان يرجوه كل مسلم آنئذ !

٢ ـ الايمان القوي الذي يتجلى في محبة الصحابة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وظهر هذا جليا في جواب زيد بن الدثنة لأبي سفيان قبيل قتله ، وكذا جواب : خبيب بن عدي ، ولا ريب أن هذه المحبة من أهم الأسباب التي حببت الى قلوبهم كل تضحية وبذل في سبيل دين الله تعالى ، والدفاع عن رسوله « صلى الله عليه وسلم » ومهما بلغ المسلم في ايمانه فانه بدون مثل هذه المحبة لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » يعتبر ناقص الايمان ، وانها لحقيقة صرح بها رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اذ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين » (متفق عليه) .

(٤) سرية غالب الليثي الى بني الملوح بالكديد في صفر سنة ٨هـ (يونية سنة ٦٢٩م) :

خرج المسلمون حتى اذا كانوا بقديد لقوا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء وهي أمه فأخذوه ، فقال : انه جاء يؤيد الاسلام ، ولكنهم أوثقوه وخلفوا عليه رجلا وشنوا عليهم الغارة ، واستاقوا النعم ، وحملوا ابن البرصاء ، وعادوا الى المدينة ، وأسلم ابن البرصاء ، وتوفي آخر خلافة معاوية (رضى الله عنه) .

ولما رجع غالب الليثي من هذه السرية ، بعثه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى موضع مصاب بشير ابن سعد بفدك (ومعه ٢٠٠ رجل) وذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة ؛ وقد نجحت هذه السرية نجاحا تاما ، فقد قاتل المسلمون ساعة ، ووضع فيهم السيف وقتلوا منهم قتلى ، وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وعادوا الى المدينة .

(٥) سرية قطبة بن عامر الى خثعم في صفر سنة ٩هـ :

أرسل رسول الله «صلى الله عليه وسلم » قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبقرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعا ، وقتل قطبة بن عامر من قتل ، وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة .

(٦) بعث أسامة بن زيد لغزو الروم في شهر صفر سنة ١١هـ :

ويعتبر بعث أسامة بن زيد هذا هو

آخر البعوث النبوية ، اذ أنه في أثنائه انتقل الرسول « صلى الله عليه وسلم » الى الرفيق الأعلى .

وأسامة بن زيد بن حارثة ينتهي نسبه الى لؤى بن كعب ، وكان أبوه مولي للرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وأمه هي أم أيمن ، وقد كانت مولاة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكانت حاضنة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ، وقد أصبحت أمه عنده بعد وفاة أبيه ، فأعتقها وزوجها زيد ابن حارثة الذي أنجب منها أسامة ، وولد سنة ٦١٣م أي قبل هجرة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بتسع سنين .

وعاش أسامة مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وحظى عنده بالعناية والمحبة مثل أبيه ، وقد قال عنه رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ان اسامة بن زيد لأحب الناس الى وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا » ، ويتحدث أسامة (رضي الله عنه) عن منزلته عند الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » بقوله : « كان يأخذني رسول الله والحسن بن علي ابن أبي طالب ثم يقول : اللهم أحبهما فاني أحبهما » .

وكان الرسول « صلى الله عليه وسلم » يردف أسامة وراءه ، وقد دخل الرسول « صلى الله عليه وسلم » مكة يوم الفتح وهو رديفه ، كما أردفه حين أفاض من عرفة . وقاتل أسامة ابن زيد في موقعة « مؤتة » تحت راية أبيه زيد بن حارثة ، وكان أسامة يوم حنين من الذين صمدوا مع الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

وبعد أن رجع الرسول «صلى الله عليه وسلم » من حجة الوداع أمر بتجهيز جيش كبير بقيادة أسامة ، وكان فيه أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص وسائر المهاجرين الأولين ، كما أمر أسامة أن يتوجه بهذا الجيش الى البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، على مقربة من مؤتة ، حيث استشهد أبوه قال له الرسول «صلى الله عليه وسلم » : سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، وأغر صباحا عليهم ، وأسرع المسير تسبق الخير ، فان ظفرك الله بهم فاقبل « البث فيهم »

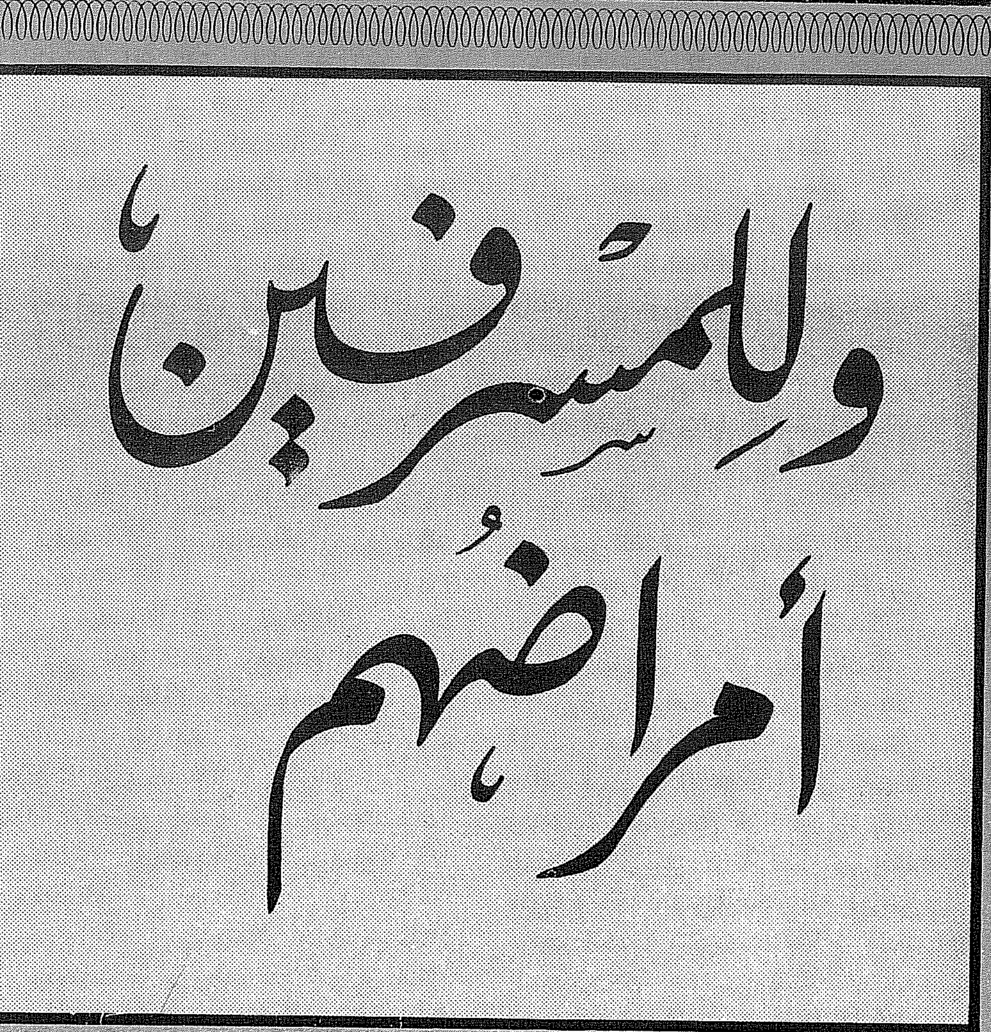
وخرج أسامة وأمر الجيش بالتحرك ، وبينما هم يتهيأون للمسير جاء الخبر بموت النبي « صلى الله عليه وسلم » وعاد المسلمون ليشغلوا في أمر تجهيز النبي «صلى الله عليه وسلم » ودفنه ، وموضوع الخلافة بعد المصطفى « صلى الله عليه وسلم » ولما تمت البيعة للصديق رضي الله عنه كان أول ما أمر به هو انفاذ جيش أسامة ؛ تنفيذا لوصية النبي « صلى الله عليه وسلم » وكان رأي بعض الأصحاب أن يتأجل مسير هذا الجيش ريثما ينتهي المسلمون من تأديب المرتدين والمتمردين على

الاسلام بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ؛ لكن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) صمم على انفاذ هذا البعث مهما كان الأمر وقال كلمته الخالدة :

« والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تخطفتني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي «صلى الله عليه وسلم» ، ثم نادى على الناس أن يتهيأوا للخروج مع أسامة ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) بنفسه يودع جيش أسامة وهو يمشي على رجليه ، وأسامة بن زيد راكب .. فقال أسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبوبكر : والله لا تنزل ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة .. وسار أسامة في طريقه حتى وصل الى حدود الشام ، فأغار عليهم وقاتل قاتلي أبيه ، وانتصر عليهم وغنم غنائم كثيرة ، ثم رجع الجيش الى المدينة منتصرا ، وخرج الصديق (رضي الله عنه) والمسلمون يستقبلون الجيش المنتصر خارج المدينة ، ويهنئونهم بالفوز على أعدائهم ، واعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ، وكان أول عمل فعله أسامة بمجرد دخوله المدينة أن ذهب الى مسجد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الذي ودع الدنيا قريبا ، والذي كان معهم بالأمس ، ذهب ليصلي ركعتين شكراً لله تبارك وتعالى على ما وهبهم به من نعمة الفوز والنصر . وعقب رجوعه الى المدينة اشترك في حروب الردة فأغار على قضاعة ، وأبل ، وقد حقق أسامة في هذه الحروب نصرا كبيرا رفع الروح المعنوية عند المسلمين .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان أسامة وابنه عبد الله مكرمين عنده ، فقد فرض لاسامة خمسة آلاف درهم ، ولعبد الله ألفين ، كما كان أسامة مقربا أيضا الى عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) وموضع ثقته بعد توليه الخلافة ، ولما قامت الفتنة التي انتهت بقتل عثمان كان أسامة من الذين وجههم عثمان للبحث عن أسبابها فقد أرسله الى البصرة وقد حفظ أسامة الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين ، وقد كان تأميره لحكمة بالغة من الرسول «صلى الله عليه وسلم» اذ فيه حث له على التضحية في سبيل الله ، والحرص على الاقتصاص من قاتلي أبيه ، كما كان فيه قضاء على العنجهية العربية والتفاخر بالأحساب والأنساب ، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الاسلام ، وأيضا فقد كان من التوجيهات النبوية الحكيمة الى تهيئة الفرص للشباب الصالح واثارة عزائمهم وهممهم الى معالي الأمور وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات الجسام والمهام العظام .

وتوفي أسامة بن زيد سنة ٥٨ من الهجرة في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله تبارك وتعالى عن هذا البطل العربي حبيب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ، وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي وسلم تسليما كثيرا .



للدكتور/ غريب جمعة

جلس الرجل يتحدث وقد تمددت بطنه امامه وتضخمت لغاديده وتورمت اجفانه ثم تعالت زفراته وتوالت اهاته شاكيا آلاما مبرحة في جسمه عامة وفي الاصبع الكبير لقدمه بصفة خاصة وبعد ان انتهى من شكواه قام الطبيب بفحصه ثم وصف له الدواء وطلب منه ان لا يسرف في تناول بعض الاطعمة التي لا تتناسب مع مرضيه . وعندئذ صاح الرجل في وجه الطبيب قائلا :- وكأنما يريد ان يلقنه درسا في الدين -

الم تقرأ قوله تعالى « **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** » الاعراف/٣٢ وابتسم الطبيب ابتسامة لا تخلو من اشفاق وسخرية معا من هذا الفهم المغلوط لايات القرآن وقال للرجل : بلى قرأتها وقرأت الاية التي قبلها فهل تعرفها ؟ وسكت الرجل .

قال الطبيب : ليتك عرفت ما قبلها . اذا لصح فهمك وصح بدنك معا .

اما ما قبلها فهو قوله تعالى : « **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » (الاعراف / ٣١) .

والذي احب ان تفهمه جيدا هو : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » :

ان الله تبارك وتعالى يعلمنا ان نأكل ونشرب ما لذ وطاب من انواع المآكل والمشارب من غير اسراف وانما علينا بالعدل والتوسط فلا تقتير ولا اسراف سواء كان الاسراف يشمل الزيادة في البخل او الزيادة في الانفاق وتجاوز الحلال الى الحرام لأنه سبحانه لا يحب المسرفين ولا يرضى عنهم . وتؤكد السنة النبوية الشريفة هذا المعنى حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة (كبر وإعجاب بالنفس) ولا سرف فان الله يحب ان يرى اثر نعمه على عبده » (رواه النسائي وابن ماجة) والاسراف في المأكل والمشرب اذا تجاوز الحدود الشرعية فهو حرام واذا تجاوز الطاقة المالية فهو خطر واذا تجاوز الطاقة البدنية فهو ضرر . والذي تشكوه ايها الرجل سببه الاسراف في اكلك وشربك وهي اعراض مرض (النقرس) (Gout) او « داء الملوك » واليك التفصيل :

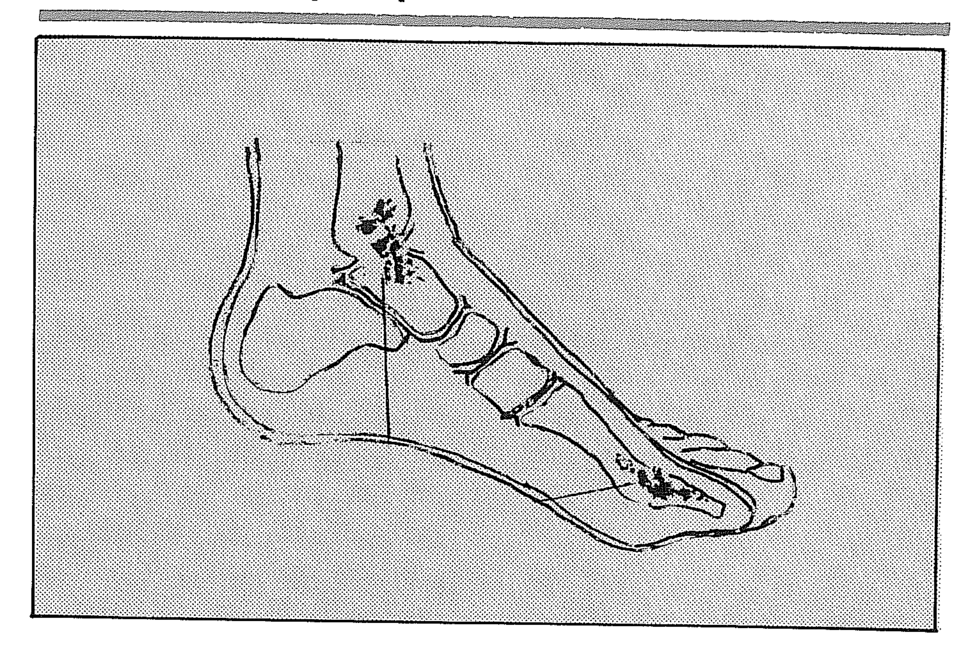
كلمة عامة :

يعتبر النقرس من امراض المفاصل المعروفة من قديم الزمان وقد أصيب به بعض المشاهير امثال الاسكندر الاكبر ولويس الرابع عشر والرئيس الامريكي بنيامين فرانكلين . وهذا المرض مصحوب بارتفاع نسبة حمض « البوليك » (Uricacid) في الدم ونسبته الطبيعية ما بين ٣ ـ ٦ مليجرام في كل ١٠٠ سم من الدم وترتفع تلك النسبة بعد بدء المرض بوقت قصير وتترسب املاح ذلك الحمض في الغضاريف (جمع غضروف) والمفاصل فتتلفها كما تترسب في اربطة العضلات وفي الكلية في بعض الاحيان .

وهذا المرض يصيب الرجال غالبا ما بين الخامسة والثلاثين والخمسين ولكنه قد يظهر قبل ذلك .

اسباب المرض :

ليس من المعروف الاسباب التي تتحكم في نسبة حمض البوليك بالدم



يبين الشكل رواسب حمض البوليك في مفصل رسغ القدم وابهامها وتسبب تلك الرواسب « النقرس » وهو نوع من التهاب المفاصل

وبالتالي اسباب النقرس على وجه التحديد ولكن الذي لا شك فيه ان الغذاء يلعب دورا رئيسيا في هذا المرض .اذ ان حمض البوليك مشتق من المواد التي يدخل « البيورين » في تركيبها والبيورين مركب كيميائي سهل التحول الى حمض البوليك ومن الاطعمة الغنية بالبيورين ما يلي :
اللحم خصوصا الاحمر ـ الكبدة ـ الكلاوي ـ البنكرياس ـ الديوك الرومي ـ السردين ـ الرنجة ـ الانشوجة ـ الشاي ـ القهوة ـ الشمبانيا ـ النبيذ ـ البيرة .

وعلى ذلك فان النقرس اكثر شيوعا في اولئك الذين يأكلون اللحوم بكثرة واصحاب المآدب الحافلة بأطايب الطعام والمسرفين في طعامهم وشرابهم امثال الاغنياء والملوك لذلك اطلق عليه « داء الملوك » وان كان قد وجد بعض حالات النقرس بين النباتيين ولكن على الرغم من ذلك لا بد من اتباع نظام غذائي معين لا يحتوي على اللحوم بكثرة حتى نقلل من ارتفاع نسبة حمض البوليك بالدم .

انواع النقرس :

١ ـ النقرس الحاد :
يظهر هذا النوع غالبا بدون انذار واكثر المفاصل اصابة هو المفصل الاخير من الاصبع الكبير بالقدم وتظهر الاصابة في ساعات الصباح

حيث يستيقظ المريض على الم بذلك المفصل ربما يصعب عليه احتماله ويزداد هذا الالم مع حركة الاصبع او لمس الاغطية له . وقد تظهر نوبة الالم عقب عملية جراحية او عدوى او نتيجة لبس حذاء ضيق وقد تظهر من غير سبب ، وقد يصاب المريض بصداع وارتفاع في درجة الحرارة مع عدم القدرة على المشي .

واذا نظرنا الى المفصل وجدناه متورما لامعا شديد الحمرة واذا لمسناه وجدناه ساخنا ويخف الالم احيانا اثناء النهار ليعود تارة اخرى اثناء الليل مسببا الارق في كثير من الاحيان . وتستمر النوبة من يومين الى اسبوع ثم يقل الالم تدريجيا مع استمرار الورم اياما اخرى يصعب فيها لبس الحذاء ثم تزول النوبة الحادة الاولى . ثم تمضي فترة قد تمتد الى عام او عامين لا يشكو المريض فيها الما بالمفاصل على الاطلاق وان كان بعض المرضى يشعر بتعب في ذات المفصل ولكن لا يمنعهم من ممارسة نشاطهم العادي ويستمر الحال هكذا الى ان تتكرر النوبة وتتحول الحالة من حالة حادة الى حالة مزمنة . وقد تكون للنوبات المتكررة ـ في بعض الاحيان ـ علامات منذرة بحدوثها مثل : اضطراب المعدة والامعاء واحساس المريض بالانقباض وتغير المزاج وقد تكون تلك العلامات واضحة جدا بدرجة تجعل المريض او اهله قادرين على التنبؤ بأن نوبة جديدة ستصيبه . وتعود النوبة في نفس المفصل او مفاصل اخرى وحينما يتحول النقرس الى مرض مزمن يكون من العسير التمييز بينه وبين التهاب المفاصل شبه الروماتزمي .

وقد لا تتبين نوبة النقرس الحادة وبخاصة اذا اصابت مفصلا غير مفصل الاصبع الكبير بالقدم وقد تشخص على انها التهاب بالمفصل لا يرجع الى النقرس ولكن يمكن اكتشاف ذلك بواسطة اختبار بسيط لقياس نسبة حمض البوليك في الدم فاذا كانت مرتفعة كان ذلك نذيرا بأن المرض هو النقرس .

العلاج :

تعالج النوبة الحادة بكثير من الادوية في مقدمتها (خلاصة اللحلاح) « الكولشيسين » وهو يستخلص من نبات الزعفران وهو علاج معروف من عهد اطباء بيزنطة في القرن الخامس الميلادي ويمكن ان تعالج النوبة كالاتي :

١ ـ اقراص « كولشيسين » (١/٢ جرام) قرص كل ساعة حتى يخف الالم او يحدث اسهال ثم قرص الى قرصين يوميا فيما بعد .

٢ ـ فوارة سترات الصوديوم او اليوروسلفين (Ulrosolvine) (ملعقة صغيرة على الـ ١/٢ كوب ماء بعد الاكل) .

٣ ـ اقراص « فينايل بيوتازون » (قرص بعد الاكل ثلاث مرات يوميا) .

٤ ـ مشتقات الكورتيزون مثل « البريديلون » (قرص بعد الاكل اربع مرات يوميا) .

٥ ـ اقراص زيلوريك (Zyloric) (قرص مرتين يوميا) .
٦ ـ راحة تامة بالفراش .
٧ ـ تناول سوائل بكثرة ويجب ان لا يقل حجم البول عن لترين يوميا .
٨ ـ تجنب الاطعمة والمشويات التي تؤدي الى زيادة نسبة حمض البوليك سالفة الذكر بقدر الامكان . تلك خلاصة علاج النوبة الحادة والامر متروك للطبيب المعالج بطبيعة الحال .

النقرس المزمن :

لا شك ان تكرر اصابة مريض النقرس بالنوبات الحادة التي لا تعالج يؤدي الى ظهور اعراض النقرس المزمن وفي الغالب لا يحدث ذلك قبل مضي عشر سنوات على الاقل على ظهور النوبة الحادة الاولى .

وفي النقرس المزمن تترسب بللورات صلبة من حمض البوليك تعرف بالحصب في المفاصل (انظر الى الرسم) والانسجة وتؤدي الى حدوث تشوهات بها كما في مفصل الاصبع الكبير وشحمة الاذن . ويتلف المفصل المصاب بالنقرس بنفس الطريقة التي يتلف بها اذا اصيب بالتهاب روماتيزمي وقد ينتهي به الامر الى فقدان الحركة تماما . وقد يصاب نسبة من مرضى النقرس تصل الى عشرين في المائة بأعراض نتيجة اصابة الكلية .

وكلما ظهر النقرس في سن مبكرة كان المريض اكثر تعرضا للاصابة بأعراض عنيفة اما هؤلاء الذين يصابون بالنقرس بعد سن الخمسين فنادرا ما تحدث لهم تلك الاعراض .

العلاج :

تعالج الحالة المزمنة بنفس الادوية التي تعالج بها الحالة الحادة مع التعديل بالطبع وقد تستدعي الحالة اضافة انواع اخرى من الادوية اذا اصيبت الكلية وقد تساعد الجراحة في ازالة الحصبات وتقويم التشوهات .

والآن وقد انتهينا ايها الرجل من الكلام (بايجاز) عن مرضك دعنا نتمم الصورة لك ولغيرك بالحديث بايجاز عن نتائج الاسراف في تناول المواد الغذائية المختلفة ثم الحديث عن الغذاء المتوازن .

نتيجة الاسراف في تناول المواد البروتينية :

وهي التي تحتويها الاطعمة سالفة الذكر بالاضافة الى البيض والسمك واللبن والجبن وقد عرفنا انها تؤدي الى ظهور مرض النقرس كما تؤدي الى ارهاق الجسم في عملية الهضم كما تساهم بما فيها من دسم في الاصابة بضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين . لذلك كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحذر من تناول اللحم فيقول :

« اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر » . قال السيوطي في شرحه على « الموطأ » (٣ / ١١٧) : اياكم واللحم اي الاكثار منه فان له ضراوة . قال « الباجي » : يريد عادة يدعو اليها ويشق تركها لمن الفها وزاد في النهاية

فلا يصبر عنه من اعتاده يقال : ضرتي بالشيء اذا لهج به .

والمعروف ان التركيز على البروتينات مع حرمان الجسم من الخضروات التي تحتوي على السليولوز يعرض الانسان الى الامساك ومضاعفاته . والمعروف ان البطنة تذهب الفطنة وتوقظ الشهوات .

نتيجة الاسراف في تناول المواد الكربوهيدراتية (النشوية = السكرية) :

من المعروف ان الاكثار من المواد السكرية يؤدي الى حدوث تخمر بالامعاء وقد يؤدي الى حدوث اسهال والمعروف ان هذه المواد يتم احتراقها داخل الجسم لتتحول الى سعرات حرارية بالقدر الذي يحتاجه الجسم وما زاد عن ذلك فانه يتحول الى شحم يتراكم بالجسم ويتسبب في زيادة وزنه . ويتحد السكر الزائد بالكالسيوم الموجود بالانسجة فتنخفض نسبة الكالسيوم بالدم ويتم تعويض ذلك من العظام والاسنان وبالتالي يؤدي ذلك الى ضعف العظام وتسوس الاسنان كما انها ليست في مصلحة مرضى البول السكري .

الاسراف في تناول المواد الدهنية :

لا شك ان المواد الدهنية تشكل عبئا ثقيلا على اجهزة الجسم كلها وفي مقدمتها الجهاز الهضمي وهو المسئول عن هضمها بالاضافة الى الجهاز الدوري (القلب والاوعية الدموية) حيث تؤدي الى زيادة الوزن وبالتالي زيادة العبء على القلب وارتفاع نسبة « الكولسترول » بالدم . (-هو المادة التي تؤدي الى تصلب الشرايين) .

الغذاء المتوازن :

لكي يكون الغذاء متوازنا لا بد ان يحتوي على العناصر الاساسية التي يحتاجها الجسم وهي : البروتينات ـ الكربوهيدرات ـ الدهون ـ الفيتامينات ـ المعادن .

وقد منح الخالق جل وعلا الجسم قدرة فائقة على التصرف الكيميائي في محتوياته فهو يستطيع ان يحول الدهون الى سكر ويحول السكر والبروتينات الى دهون حسب حاجته ولكنه لا يستطيع ان يحول السكر والدهون الى بروتين وعلى ذلك فلا يجوز حرمانه من البروتينات بحجة تناول اغذية اخرى واهم مصادر البروتين هي :

اللحم ـ السمك ـ البيض ـ اللبن ـ الجبن . وهذه مصادر البروتين الحيواني اما مصادر البروتين النباتي فهي :

الفول ـ العدس ـ البازلاء ـ البندق وغيرها .

وحاجة الجسم من البروتين اقل مما يظنه الناس فالشخص البالغ يستطيع ان يعيش في حالة صحية جيدة اذا تناول نصف جرام بروتين لكل كيلو جرام من وزنه فمثلا الشخص الذي يزن ٧٠ كيلو جراما يحتاج الى ٣٥ جراما يوميا من

البروتين العالي المرتبة مع ما يلزمه من الدهون والكربوهيدرات والفيتامينات والمعادن والماء .

والفيتامينات مواد خاصة توجد بكميات متفاوتة في الاطعمة وهي تحافظ على قوة الابصار وتساعد على نمو الجسم وعلى غيره من وظائف الجسم .

اما المعادن الضرورية للجسم : فهي : الكالسيوم والفوسفور (لتكوين العظام والاسنان) والحديد (يدخل في تكوين كريات الدم الحمراء) . والمعادن الثلاثة متوافرة في البيض ومنتجات اللبن واللحم الخالي من الشحم والدقيق الممتاز .

ومن مصادر الكالسيوم الجبن والعسل الاسود ورؤوس اللفت .

ومن مصادر الفوسفور : الحبوب واللحم والسمك .

ومن مصادر الحديد : اللوبيا والفاصوليا والكبد والبنجر والسبانخ وخبز القمح الكامل .. ويحتاج الجسم الى قدر يسير من اليود (لمنع حدوث « الجويتر » بالغدة الدرقية) ويمكن الحصول على هذا القدر من ملح الطعام الذي يحتوي على اليود .

ويحتوي الغذاء المتوازن كذلك على قليل من المغنسيوم والمنجنيز والنحاس . والمواد الكربوهيدراتية تمد الجسم بالطاقة بعد وقت قصير من تناولها اما الدهون والبروتين فانها تحتاج الى بعض الوقت حتى يحصل الجسم على الطاقة منها .

ولا يمكن ان يضع الانسان قائمة واحدة للغذاء المتوازن لأن لكل بلد مزاجه الخاص في المأكل والمشرب وطريقة اعداد ذلك بل ان لكل انسان بمفرده رغبة في طعام قد لا يشاركه فيها غيره وهكذا .. ولكن يمكن ان تكون هناك قائمة تقريبية بحاجة الجسم اليومية من الطعام وهي :

- لبن : نصف لتر (يزاد في حالة الاطفال) .
- بيض : واحدة (او ما يساوي ذلك من الفول او الجبن او اي بروتين اخر) .
- لحم - سمك - دجاج : شريحة او شريحتان .
- بطاطس : واحدة او اثنتان .
- فاكهة : ثمرتان احداهما حمضية (اي مصدر لفيتامين ج او اي بديل) .
- خبز : رغيف مصنوع من الدقيق الكامل او مضافا اليه مواد اخرى ويضاف الى ذلك الحلوى والدهون واطعمة اخرى لاستكمال الوجبات والحفاظ على وزن الجسم في حدوده الطبيعية .

وبعد ..

فاننا نرجو ان لا يسيطر الشره الغالب والشوق العارم الى الطعام على ابناء المسلمين وان يرتفعوا في درجات من الفهم الى مستوى قوله تعالى :

« **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

وان لا يهبطوا في دركات سوء الفهم الى مستوى الذين قال الله فيهم « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** » (محمد / ١٢) .



(١)

لاريب أن الأدب العربي افتقد انسانا مسلما ظل طيلة حياته ذائداً عن حياض اللغة والدين ، متصديا لخصوم القرآن المبطلين ، يحمل قلبا لا يخشى الا الله ، وقلما مؤيدا بمدد الاسلام ، وانه لمنحة للذين عايشوه فتنكروا له قبل ان يكون هاديا لبني العروبة الأوفياء .. .. ولكنهم جمدوا مآثره ، ورفضوا مصنفاته ، انه الأديب الحجة المرحوم : « **مصطفى صادق الرافعي** » ١٨٨٠ – ١٩٣٧م .

واذا ما ذكر ذهب الفؤاد الى آفاق سماوية ، تعلو فتنشر الجو عبيراً ينطق بحلاوة اللفظ وصدق المعنى ، وعذوبة البيان ،.... ولكم حز في النفس ان تأتي الذكرى المئوية لميلاده ثم لا يتذكره كاتب او اديب ؟! – في وطنه – ناهيك المحاولات المدبرة في الخفاء للقضاء على فكره ، وانها لمؤامرات ساقطة ! وعما قليل سيعلم اهلها منقلبهم السيء ، ولا عليك ممن سار في ركابهم ، فتالله ماكره « ابا السامي » الا حاقد وما ابغضه الا منافق ..

وسلوا التاريخ عن معاركه مع جل الأدباء .. لماذا نشبت نارها واضطرم لهيبها ؟ ؟– لا لشيء – شهد الله – سوى « القرآن والفصحى » ، وكأن « الرافعي » قد كلف حراستهما دون غيره من البشر اما وقد اكتملت فيه فضائل الذات الاسلامية بيد أنه يتصل بالفاروق « **عمر بن الخطاب** » الخليفة الثاني ، واجداده كلهم من

تاريخ لا يُنسى وذكرى لن تموت

للاستاذ
عبد الجواد محمد الخضري

ذوي الاريحية والعلم زد على ذلك الذكاء المتوقد ، والفطرة الصافية التي وهبها الحق كل الشمائل الحسنة والطباع النيرة فهي مدفوعة الى الانصاف مقتحمة مواطن الهلاك - ارضاء لله - الكبير المتعال « **لقد كان ناقدا عنيفا حديد اللسان ، لا يعرف المداراة ، ولا يصطنع الادب في نضال خصومه .. وكان فيه صراحة وصرامة ، وكان له في الادب مذهب وحده .. وحرصه على اللغة من جهة حرصه على الدين اذ لا يزال منهما شيء واحد قائم كالاساس والبناء لا منفعة فيهما معا الا بقيامهما معا** » وليس بد من كشف اللثام عن واحدة من اخطر المعارك التي دارت رحاها منذ ان بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - والى ان تنقضي الحياة !! ولم لا ؟ وكلما ظهر اعداء الدين ظهرت الصيحات المدوية بالمصطلحات التي ابتدعها اهلها للكيد بين المسلمين وما قضية « **القديم والجديد** » **الا خدعة يرتكز عليها المستعمرون ، حتى لا يتفرغ الناس الى شئون الفكر العملي واللحاق بركب التقدم « التقني » .. واذا كنت اليوم اقلب صفحات ماضية فما اردت الا تنبيه العقول الى الفكر الوافد في اثواب « التعادلية » التي ينادي بها بعض الادباء العرب المحدثين ، انهم لا يفرقون بين مسلم ويهودي ، ولا بين عربي وغربي ،**

ولا بين اخلاق وانحلال ، وفي غيبة الضمير اعادوا ما ردده « طه حسين » في الربع الثاني من القرن العشرين وانه لواجب للأدب ان يسترد حقه المنتزع في عيد

« الرافعي » الذي رد على هؤلاء بأقوى ما عرف من اسلوب ، وما ظهر من بيان « **بوسيلة القلم الذي لا يجاري والفكر الذي لا ينقض والخيال الذي لا يلحق ، والقوة المستحصدة ، والطبع المستجيب ، والكلام الذي تراه حيا ساميا فتحسبه ينبع من موضع يد الله في النفس الانسانية** » .

ـ ٢ ـ

وبدأت امارات الحرب حين نشر الدكتور « **طه حسين** » **كتابه**) **في الشعر الجاهلي**) وحمل فيه حملات شعواء على الحقائق التاريخية .. زاعما انه يحكم منهج (ديكارت) الفيلسوف الفرنسي فضل الطريق ، وضلل تلاميذه ، ولما سئل عن احداثه اجاب : ان لي طريقة حديثة في الأدب والشعر ، وطرائق البحث ! فهب الادباء يدافعون عن حمى التراث القومي ، ومن هؤلاء : « **الخضر حسين ـ محمد فريد وجدي ـ محمد احمد الغمراوي ـ شكيب ارسلان** » ، وغيرهم الا ان « الرافعي » افرد العقل فجاء بمقالات جاءت كاللهب المقذوف .. ظلت تترى في ثورة عارمة كأن فيها « معنى الدم » .. ولان الله غالب على امره ، متكفل بحفظ دينه حدث ما لم يكن في حساب حاسب ، اذ ان ازمة سياسية ـ ارادها الجبار المنتقم ـ فوقعت بين الحزب الحاكم ، وحزب الامة وكان الدكتور ينتمي الى الحزب الحاكم بينما حزب الامّة هو حزب الزعيم « سعد زغلول » مما جعل الشعب بمثقفيه وقرائه وعوامه يقفون يداً واحدة تحت لواء (الرافعي) ضد طه حسين .. وتابع القراء مقالاته التي نشرت في مجلة (كوكب الشرق) فصار للناس رأي في الادب ادلوا به من باب السياسة التي اتفقت وتصادفت في الوقت نفسه مع الحقيقة الدينية ليكون الرأي لكلمة الله « **على ان هذه المقالات باقبال الناس عليها ـ لسبب ادبي او لسبب سياسي ـ قد بعثت روحا دينية كانت راقدة ، واذكت حمية كانت خامدة ، والفت قلوبا الى قلوب كانت متنافرة ، ونبهت طوائف من عباد الله كانت اشتاتا لتعمل للذود عن دين الله** » ..

وكان لا بد من تقديم عميد الأدب العربي للمحاكمة ، واصدرت الجامعة الأوامر بجمع نسخ الكتاب من المؤلف ومن المكتبات ، ومنع تداوله ... ، « ورب ضارة نافعة » لقد عرف العالم العربي « الرافعي الناقد » الذي رسم معالم النقد الاسلامي من ناحيتي المبنى والمعنى وطبع مقالاته في كتاب عرف فيما بعد « بالمعركة تحت راية القرآن » ارتأى صاحبه ان ضعف اللغة مرده الى ضعف الدين « **ولن تجد ذا دخيلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت له مثلها في اللغة** » وما هذا الحكم الا كبرهان على سمو اخلاق الرجل ، وثقته بالمنهج الالهي في تربية الذوق وتهذيب الحس والأدب ، ان

خرج من مرآة القرآن أعان القارىء على الحياة الآمنة ونظم له امور الدنيا ، وهون عليه متاعب الدهر وتلك مهمة الأدب الذي اشترط له « الرافعي » ان يوافق السلوك والتطبيق أي ان « ادب النفس قبل ادب الدرس » واذا كان بعض المفكرين ينفي صفة النقد عنه ، فانه ـ اي النافي ـ معذور !!

وانها لمتناقضات ان نحتكم الى قواعد الغرب في الحكم على الشرق ، مع المفارقات والتفاوتات بيننا نحن الشرقيين وبينهم ..

إن من شك في ايمانه يجب ان لا نأخذ عنه الا ما صح عند سليم العقيدة ، وليس من الجائز ادخال النظريات الالحادية اللاأخلاقية في اغراض الادب بله الفكر بصفة عامة .. واذا رأينا اي اديب يماري في ذلك اخذنا عنه بحذر حتى لا نقع في محظور نهى الدين عنه فالكلمة المكتوبة تخضع لقول الله : (**ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد**) ق/١٨ ، وحين ننظر الى الادب نجرد انفسنا من المؤثرات الخارجية التي تلعب دورها في تعلية هذا واسفال ذاك ... وتأمل ما يقوله « الرافعي » بهذا الصدد .. .. انما نعمل على اسقاط فكرة خطرة ، اذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه ، فقد تكون غدا فيمن لا نعرفه ، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء لاجهلنا من نجهله يلطف منه ، ولا معرفتنا من نعرفه نبالغ فيه .. فان كان في اسلوبنا من الشدة او العنف او القول المؤلم او التهكم « فما ذلك اردنا » ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي ان يضل ، فما به زجر الاول به عظة الثاني .. .. » ..

ـ ٣ ـ

تلك مجمل آرائه في النقد ، فهو لا ينتقد الأشخاص لذواتهم كلا ! بل يستهدف التقويم والاصلاح فليست الخلافات المذهبية دافعا للاختلاف والعداء تحت ستار الادب وفي نفس الوقت يؤكد على سلامة نيته وصفاء قلبه بأن استعمال هذا الاسلوب لا يختص بعدو دون حبيب بل انهما سواء في مثله فلا مواربة ولا « مجاملة » حتى ولو ادى الجهر بالحق الى تحول الصديق عدوا ..

أما الأسلوب اللاذع الذي استخدمه في كتبه المتعلقة بالنقد الادبي ففي رأينا الشخصي انها جاءت ملائمة لمقتضى الحال ، فالهجمة الشرسة التي قادها الاستعمار ضد الاسلام جعلت من بعض المرتزقة ورجال الادب معاول هدم لتقويض الصرح الشامخ ، ولن نتزيد ان ـ قلنا : اخطر حقبة مر بها الفكر الاسلامي هي التي انحصرت ، في غضون العشرينات والثلاثينات ، فيها ظهرت الأهواء الفاسدة والمذاهب الأدبية العليلة التي تركت أثرها السيء في الأمة الى اليوم ، وكلما ازداد

الانسان قربا من « الرافعي » فهم اهدافه السامية من مكتوباته ، وليعلم خصومه ان مؤلفه (على السفود) لا يسجل مفاهيم النقد التي ارتضاها ، وقد صرح قبل رحيله الى عالم الخلود للأستاذ « محمد سعيد العريان » انه لم يكتب ما كتب في حالته المعتدلة العادلة ، ولعل هناك ما لا اعلمه من اكراه « الرافعي » على تصنيف هذا الكتاب وارجح انه تراجع عن جله .... ولو عاش لجلس والعقاد على كرسي واحد كما كانا قبل بذور الشقاق ، على اي خصومة « طه » لله وحده ولك ان ترى حياته ناطقة بفعله .. لقد نظر الدكتور العربي المسلم المسمى بأشرف الاسماء (طه) الى الاسلام نظرة يأباها المنطق والانصاف ، ويتعسف حين يوافق اليهودي الكافر « كليمان هوار » فيقول قالة !! ضد العروبة .. رغم ان قصة ابراهيم حيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهودية وبين التوراة والانجيل ، وهذا افتراء على الواقع وجهل بالتاريخ ، واستخفاف بالعقل فالنصوص الموثقة تقول : ان العرب لا يعتبرون اليهود منهم ، وما كان للعرب ان يتبرأوا من اليهود الا للعداوة الدائمة بين العرب واليهود يقول « الجاحظ » : **جاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ، ومعظم اليهودية انما كانت بيثرب وحمير وتيما ، ووادي القرى في ولد هارون دون العرب »** .

ويسوءنا ان تردد الأبواق العميلة ما اثاره الدكتور لخدمة بعض الاغراض الشخصية والذين يسلكون هذا الدرب يبغضون العرب ، ويزرعون الشعوبية الحمقاء ، اتراهم يجهرون لاجل الادب ؟ ام لحاجة في صدورهم ، لقد عقدوا « المهرجانات » واقاموا الحفلات بل قامت دار نشر صهيونية بطبع مصنفات « طه حسين » ، وتنوي احدى دول الاسلام اصدار جائزة للفكر الاسلامي تحمل اسم « طه حسين » .. أهذا منطق .. اهذا كلام ؟

لعمري ، هذا أقل شيء يفعله اليهود مع عميد الأدب الذي افتتح الجامعة العبرية وروج للفكر اليهودي عن طريق مجلته (الكاتب) ، وانكر شخصية واحد منهم هو (ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ) انكره ليبرىء اليهود من الفتن المدسوسة في العهد الاول ..

ان الادب ليس ملكا لاحد ، ولا يحق لقوم ان يحتكروا احكامه ، والى الذين ـ يقدسون الاشخاص نقول : راجعوا انفسكم بروية ربما عدتم الى الصواب بعد القول الفصل الذي قرره الاستاذ : « انور الجندي » ورفيقه « المحتسب » بشأن « طه حسين » الذي صوره « الرافعي » اصدق تصوير حين قال : « **انه مجموعة افكار مضطربة متناقضة ، وطباع زائفة ، وما من عالم في الارض الا وانت واجد آراءه قائمة بمجموع**

اخلاقه اكثر مما هي اتية من صفاته العقلية ، ولذلك يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان اخوف ما اخاف على امتي كل منافق عليم اللسان » رواه احمد . وطه رجل ارسلوا لسانه وقلبه الى اوروبا « فتنكر للعربية والعقيدة » .

ـ ٤ ـ

ان تقديس الادب ومفكريه ، ليس من قيمنا الربانية ، ورحم الله سادتنا الذين وضعوا ميزان « الجرح والتعديل » وهؤلاء لو ادوا الامانة لاقتدوا بهم في تحكيم هذا الميزان في الادب ـ ايضا !!

ومازالت اقلام المنصفين تنادي بابعاد الفكر الوافد المحمل بالانحلال والفسوق ، وها هي ذي مدرسة « الرافعي » تقف في وجه الخصوم .

ومن حسن الطالع انها ليست اقليمية بل عربية اسلامية ، ولن تجد دولة من عالمنا العربي الا و « للرافعي » بنهجه رسول هداية يكشف الظلمات ، وينير الطرقات ورحم الله الذين تمسكوا بالخط البياني الذي سار عليه صاحبنا ومنهم : « محمد احمد الغمراوي ـ كامل محمود ـ محمد سعيد » اذا طالعت بواكيرهم الادبية سبحت في عالم الطهر والعفاف .. ورحم اللغة امسك وشيجة من رحم النسب عند هؤلاء ، لقد تمسكوا بلغة القرآن فكرا واسلوبا وتعبيرا بالرغم من اختلاف مناهجهم الدراسية ، ومناهلهم في البحث ، وهذه هي العظمة التي لا تحتكم الى عبادة غير الله ، احبوا « الرافعي » بلا واسطة ولا سبب اللهم الا وحدة الفكر ، وشمولية الهدف ، ومازالت ثلة من خلفهم تعطي بلا من .. .. بارك الله خطوات الأحياء : « **علي الطنطاوي ـ محمد شاكر ـ عبد السلام هاشم حافظ ـ حسين زيدان** » رواد مدرسة الاصالة .

واني اناشد المتأدبين الجدد بمطالعة آثار « الرافعي » حتى يستقيم قلمهم ، ومن ذا الذي اقتدى به ؟ ثم ضل ولم ينتفع لقد كتب ـ رحمه الله ـ في اللغة والدين والفلسفة والحب والتاريخ وغدت كتبه « **تاريخ آداب اللغة ـ اعجاز القرآن ـ تحت راية القرآن ـ السحاب الاحمر ـ أوراق الورد ـ رسائل الأحزان** » ... من اهم ما يزين عصر الانحطاط الادبي ، وتخيل معي رجلا اعزل اليد ، لم ينتقل من بلدته « طنطا » ولم يعرف رئيسا او حاكما ومع ذلك خاض المعارك كلها ، وانتصر فيها باخلاصه وايمانه وكأني به ، وهو يستنفر جهده للدفاع عن حمانا ليحمي حقيقنا ! ولله در القائل :

مهذب الطبع مامون الضمير اذا
بلوته كان باديه كخافيه
حاز الكمال فلم يجنح لمنقبة
فلست تنعته الا بما فيه !!



للدكتور/ عبد الحي الفرماوي

في بيت أحدهم اجتمع الرجال السبعة ، وأخذوا يتباحثون فيما بينهم هذا الموقف ، الذي شغلهم جميعا كما شغل الناس جميعا ، وتوحد موقفهم حياله بينما أختلفت مواقف الناس جميعا . وقال أحدهم : لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بغزو الروم .

ماذا تقول يارجل ..؟ ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصرح بجبهة الغزو عادة .

فقال الذي أخبر : انه قد بين الجهة هذه المرة للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يقصده وحتى يتأهب الناس لذلك .

فقال ثالث : يالها من فطنة هذه التى يتحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم عندما صرح بذلك حتى يكون الناس على بينة فيقررون الذهاب للجهاد معه أو عدم الذهاب وهم كذلك على بينة خاصة ونحن في زمان من عسرة الناس وشدة من الحر ، وجدب من البلاد وقد طابت الثمار أو أوشكت والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم .

وأخذوا يتبادلون أحاديث غزو النبي صلى الله عليه وسلم للروم بتبوك ويذكرون بعد المسافة وقلة الزاد وموقف المنافقين المثبط للهمم والمشكك في النصر ، ويذكرون كذلك تدافع الناس على النبي صلى الله عليه وسلم للاشتراك في السير معه كما يشيدون بمواقف أهل الغنى الذين أخذوا في

تجهيز المجاهدين .

حتى قال أحد السبعة : لكن يا أصحابي !! ماذا سنفعل ؟

لقد قال الله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/ ٤١ . وان الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الروم يحتاج منا الى مال كثير لا نملك منه شيئا ، كما يحتاج الى ظهور تحملنا ، وليس عندنا ما يحملنا مع المجاهدين .

وقال آخر : ولابد لنا إن شاء الله من الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة البعيدة تنفيذا لأمر الله تعالى ، ولا ينبغي ان يفوتنا الاشتراك فيها ، فان احساسا يخامرني بأنني سوف أنال الشهادة في هذه الغزوة بأذن الله تعالى .

وقال ثالث : عندي اقتراح ..!!

فقال الجميع : ما هو ..؟

قال : فلنجمع ما نملكه نحن السبعة ونقتسمه بيننا حتى نتمكن به من شرف الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو .

فأطرق الجميع رؤوسهم ووافقوا على هذا الاقتراح بصوت خفيض لا يكاد يبين .

وبدءوا في احصاء ما يملكون رغبة في تجهيز أنفسهم جميعا بما لديهم كذلك .

فأطرق الاول مفكرا وقال بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثاني مفكرا وقال كذلك بصوت خفيض : لا شيء عندي .

واطرق الثالث وقال نفس المقالة .

وقال الرابع كذلك .

والخامس كذلك .

وقال السادس وأنا كذلك : ما عندي شيء .

وقال صاحب الاقتراح : والأسف يغطي ملامح وجهه وأنا كذلك .

اذا ..!!

ماذا نفعل ..؟؟ لابد من الاستجابة لامر الله تعالى

لابد من الذهاب ، لابد من مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الغزو

لابد من الذهاب ، لابد ...

ولفتهم الحيرة بصمت ثقيل طويل .

وقال أحدهم : عندي اقتراح آخر !!

فقال الجميع بلهفة : ما هو ؟؟

قال :فلنذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطلب منه أن يحملنا معه وسوف يكفينا مؤونة الزاد والراحلة ، وهو يعلم أننا جميعا أهل حاجة .

فقال الجميع : نعم ما رأيت ، وبهذا لا يفوتنا شرف الاشتراك وفرصة الاستشهاد في هذه الغزوة .

واستقر رأيهم على هذا الحل الذي لم يجدوا غيره يحقق لهم هدفهم ، ويمكنهم الامتثال لقوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا**)

وقام الجميع من المجلس .

* * * * *

وتوجه الرجال السبعة الى النبي

صلى الله عليه وسلم
سالم بن عمير .
وعلبة بن زيد .
وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب .
وعمرو بن حمام بن الجموح .
وعبد الله بن المغفل المزني .
وهرمي بن عبد الله .
وعرباض بن سارية الفزاري .
ودخلوا عليه صلى الله عليه وسلم .

وقالوا : يا رسول الله ..!!

ان الله قد ندبنا للخروج معك والجهاد لرفع راية الاسلام ونحن نحب أن لا يفوتنا السير في صفوف الذاهبين معك لقتال الروم في تبوك بيد اننا ــ كما تعرف ــ أهل حاجة وفقر ولا نملك جميعا من الزاد والراحلة ما يجعلنا مع المجاهدين .

وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فترة ، راجع فيها رجاله وعدته وعتاده وما تجهز لديه ، ووجد عليه الصلاة والسلام انه لم يتبق لديه ما يحملهم معه عليه .

وسكت جميع الحاضرين مجلس النبي صلى الله عليه وسلم .

وسكت الرجال السبعة : يداعبهم الامل في حمل النبي صلى الله عليه وسلم لهم معه ويراودهم حب الاستشهاد في سبيل الله تعالى وترفرف أمام اعين خيالاتهم رايات نصر النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الروم الذاهب اليهم .

وخيم الصمت على المجلس .

ثم .. ثم نطق النبي صلى الله عليه وسلم قائلا لهم : (**لا أجد ما أحملكم عليه**) .

ووقعت الطامة على رؤوس الرجال السبعة ، وعلت الدهشة وجوههم . وملامحهم تنطق بأنهم ما سمعوا أو أنهم سمعوا لكنهم ما فهموا ، أو أنهم سمعوا وفهموا لكنهم ما كانوا يودون ذلك ، ولم يصرفهم ما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم عن رغبتهم الصادقة وحبهم الشديد للذهاب الى قتال الروم .

فقال أحدهم : بصوت ينم عن التواضع في الطلب ، يا رسول الله ! احملنا معك على أقل ما يحمل عليه المجاهد ، احملنا على ما يمكن الاستغناء عنه بحيث لا تتركنا نتخلف عن هذه الغزوة البعيدة .

وقال آخر وصوته يقطر رجاء وتوسلا ، يا رسول الله ! احملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة لنغزو معك .

فقال صلى الله عليه وسلم وقد درس هذا الامر قبلا وأصدر فيه رأيا بصوت تواسيهم نبراته : (**لا أجد ما أحملكم عليه**) .

وصمت الرجال السبعة وقتل الأمل الذي يداعبهم ، وسدت المنافذ أمامهم وقطع منهم خيط الرجاء .

اذاً ..

فلن يمكنهم الذهاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولن ينالهم شرف الجهاد معه في هذه الغزوة البعيدة .. وسيكتب عليهم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وانصرف الرجال السبعة من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.

(وأعينهم تفيض من الدموع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وأن ينالهم عقابه على تخلفهم هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم ليسوا من الضعفاء ولا من المرضى حتى يكون لهم العذر في هذا التخلف الذي صار شيئاً مخيفا وباب عصيان فتح عليهم ، واسود الابيض أمام اعينهم ، وخيم خوف العصيان عليهم ، وجثم كابوس التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدورهم .

وانهمر الجميع في البكاء نعم في البكاء الشديد واستولى عليهم بصورة عجيبة يقطر منها الايمان ويفوح منها الخوف من الله ويشع منها حب الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصار الرجال السبعة يبكون ويتوجهون الى الله تعالى .

- في الطرقات يبكون .
- في البيوت يبكون .
- في المسجد يبكون .
- في جماعتهم يبكون .
- على انفرادهم يبكون .

خوفا من عصيان الله وحرصا على الجهاد مع رسول الله وأملا في فرج يدركهم بما يأملون ويرغبون فيه .

وشاع خبرهم وذاع بالمدينة أمرهم .

وتندر بهم المنافقون .

وحزن من اجلهم المسلمون لكن ماذا يفعلون ؟ فالاغنياء قد تبرعوا بالكثير من أموالهم وقد جهز منها النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم من جهز من المجاهدين ، والآخرون قد جهزوا انفسهم بأموالهم الخاصة . وأشفق النبي صلى الله عليه وسلم كذلك عليهم .

لكن ماذا يفعل ..؟

رغبتهم صادقة ، وحرصهم شديد ، لكنه لا يجد ما يحملهم عليه .

اذاً فأمرهم لله تعالى .

لعل الله يسمع بكاءهم ويتقبل عنهم عذرهم ويستجيب لدعائهم .

* * * * *

وكان الله تعالى سميعا مجيبا .

فقد نزل القرآن .

نعم بخصوصهم نزل القرآن .

ليرفع عنهم الاثم ويعفيهم من الحرج والمؤاخذة ويتقبل منهم عذرهم .

حيث قال تعالى : **(ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون)** التوبة/ ٩٢ .

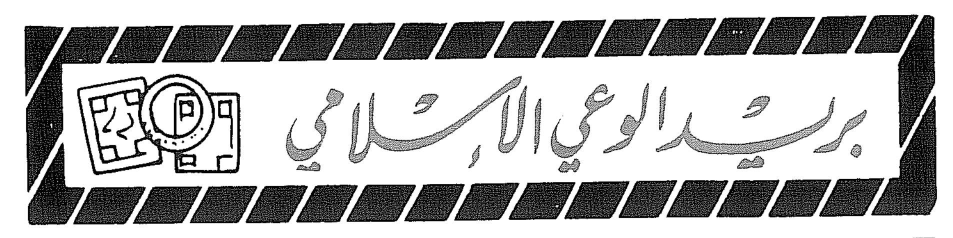
أي ليس عليهم اثم أو حرج في هذا التخلف عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وفرح النبي صلى الله عليه وسلم برفع الحرج عن هؤلاء الصادقين .

وفرح الرجال السبعة إذ أعفاهم الله تعالى كما نزل في شأنهم قرآن يتلى ويتعبد به . وفرح المسلمون كذلك .

* * * * *

يا ليت للمسجد الأقصى وللقدس الشريف اليوم من أمثالهم .



التوبة

طلب الأخ/رضا السيد سلامة - من شرباص - فارسكور - دمياط - ج . م . ع ان نجيبه على سؤاله : « لماذا تاب الله على آدم عليه السلام بالرغم من ان ادم عصى ربه ، ولم يتب على ابليس بالرغم من انه ايضا عصى ربه » ؟

المحرر :

لقد عصى آدم ربه باغواء الشيطان لـه وخداعـه : (**فوسـوس اليـه الشيطان قال ياآدم هل ادلك على شجرة الخلد وملـك لا يبلى**) ..

وبطبيعة ادم عليه السلام تلك الطبيعة البشرية ، نسى امر الله له باجتناب الشجرة والأكل منها ، وامام اغراء ابليس وضعف الطبيعـة البشريـة اخطأ آدم ، فأكل هو وزوجه حواء من الشجرة الملعونة ، فأصـابهما مـا اصابهما .. فتذكرا عهد الله اليهما ، وانهما خالفا امر الله بالأكـل من الشجرة ، فاعترفا بذنبهما ، وندما على فعلتهما ، ولجآ الى الله سبحانه يطلبان منه العفو ، والغفران ، وقبول توبتهما ، وقالا : ربنا ظلمنا انفسنا - وامام هذا الاعتراف ، والضعف ، والتوبة من آدم عليه السلام ، تاب الله عليه ، وعفا عنه فانه عفو كريم يحب العفو .. يقول تعالى : (**انما التوبة على الله للـذين يعملون السوء بجهالـة ثم يتوبـون من قريب** » .

اما اولئك الـذين يصرون عـلى العدوان ، وينتهكون حرمات الله ، ويظلون على ذلك حتى نهاية حياتهم فلن يقبل الله توبتهم ، وابليس اللعين عصى الله ، واستكبر عن عبادته ، وتحـدى الارادة الالهية في صلف عجيب .. حيث قال الله له : (**ما منعك ان تسجد اذ امرتك**) فيكون جواب اللعين : (**انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**) ويمضي في عناده واصراره على زرع الشر في الحياة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها فيقول اللعين كما حكى القرآن :

(**فبعزتك لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين**) .

وهكذا عاد آدم عليه السلام الى ربه سبحانه معترفا بضعفه وذنبه طالبا الغفران ، فغفر الله له وتاب

عليه . اما ابليس فقد تمادى في غيه وتحدى الأوامر الالهية ، ولم يتب الى الله ، ولا طلب غفرانه ، فكان جزاؤه هو واعوانه واتباعه جهنم وبئس المصير .. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ونرجو ان يقبل توبتنا ، ويقيل عثراتنا ، ويمن علينا بفضله اللهم امين .



ردود قصيرة :

ارجع الى المجلة

الأخ خالد ابراهيم عبدالله الصباغ ـ بيبان ـ كوم حمادة ـ البحيرة ـ ج . م . ع .

رسالتك وصلت ، ونشكرك على حسن تقديرك لمجلتك « الوعي الاسلامي » ، واقتراحك محل عناية من المجلة ، وقد سبق ونشرنا لقاءات مع شخصيات اسلامية ، واستطلاعات عن المساجد وعن احوال المسلمين في اكثر من بقعة في العالم ، كما نشرت المجلة دراسات عن الدعوة والدعاة لكبار الكتاب الاسلاميين فارجع الى اعداد المجلة الصادرة تجد فيها ما تحب .

حديث غريب

جاء من السيد/زناتي علي خطاب من اسيوط ـ ام القصور ج . م . ع السؤال التالي :

في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ القرآن واستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم وجبت لهم النار » .

فكيف يتفق هذا الحديث مع ما قاله الله تعالى في سورة عبس قوله تعالى : (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)

وقوله تعالى : **(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)** .

الاجابة

هذا الحديث اخرجه الترمذي من حديث علي بن ابي طالب وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده بصحيح (صحيح الترمذي جـ ١١ ص ٢٩ ط الصاوي) .



العلم والايمان

كتب الينا الدكتور عون الشريف قاسم تحت هذا العنوان كلمة جاء فيها :

كان للصراع العنيف الذي احتدم بين رجال الدين ورجال الفكر والسياسة في أوروبا منذ بداية النهضة الاوروبية وإلى يومنا هذا أثره البعيد على وضع الدين في عالمنا المعاصر . فقد انتقلت روح العداء للدين مع الثقافة الاوروبية إلى كافة انحاء المعمورة وأصبح كل دين يقاس بنفس المقاييس التي نجمت عن الصدام مع دين واحد هو في هذه الحالة المسيحية . ولا اريد الخوض في طبيعة هذه المقاييس ولا في مدى تصويرها للحقيقة الدينية عامة والمسيحية خاصة ، ولكني أريد التنبيه إلى الشعارات الكثيرة التي رافقت المعركة وملأت ساحات الفكر ومجالات الثقافة فأصبحت في حكم المسلمات من مثل قولهم : (الدين افيون الشعوب) وقولهم : ان الدين صنو الرجعية ونقيض التقدم وانه قفزة في عالم الغيبيات ، وهو عالم وهمي صنعه خيال الانسان المريض وخوفه من مواجهة المجهول ، وأنه فوق ذلك كله مخالف في أفكاره ومنهجه لاسلوب العلم الطبيعي الذي يقيس الامور بمعيار الحس والتجربة ، فما لم يخضع للتجربة فهو في حكم المعدوم . ومن الواضح ان معظم افكار الدين وتصوراته أمور معنوية غير محسوسة ولا يمكن بحال أن تخضع للتجربة ، فكيف نبرهن على الحياة الاخرى مثلا ، والاموات لا يرجعون بعد موتهم إلى الدنيا ليحدثونا عنها ؟ وكيف نبرهن وجود الجنة والنار ، وهي اشياء غيبية لا تخضع لتجربة البشر ؟ .. وهكذا طبق رجال النهضة الاوروبية معايير العلم المادي على كل الميادين ومن بينها الدين ، وحين فشلوا في إخضاعه لمعاييرهم المادية لم يتوقفوا ويتشككوا في هذه المعايير ومدى صلاحيتها للحكم على قيم الدين ، بل تشككوا في الدين ورفضوه ، فانطبق عليهم القول الحكيم : (من جهل شيئا عاداه) .

والواقع ان الدين يبدأ من حيث ينتهي العلم . لا لأن الدين في حقيقته مناقض للعلم او لانه لا يخضع لمعايير المنطق التي يستند إليها العلم الطبيعي في حالته الراهنة . ولكن لأن الدين يتناول الجانب الروحي والمعنوي من شخصية الانسان وعلاقته بسر الكون الذي لم تستطع وسائلنا العلمية حتى الآن أن تسبر غوره أو تدرك كنهه . ولذلك كان مجال العلم الحقائق الملموسة المعبر عنها بالحقائق العلمية التي يمكن البرهنة عليها عن طريق التجربة في المعمل وفي الحياة ، وكان مجال

الدين الايمان ، وما يمكن أن نسميه بالمعرفة الوجدانية التي أطلق عليها علماء المسلمين اسم الحقائق العرفانية . ولعل الاسلام هو قمة التكامل بين الحقائق العلمية القائمة على التجربة والحس والحقائق العرفانية القائمة على الايمان والوجدان . فان الاسلام يأخذ كل ما انتهى إليه العلم ويتخذ منه سبيله الى اكتشاف عالم الغيب وتبين مجاهل عالم الروح . ويكفي أن نذكر أن الاسلام بدأ بايقاظ العقل وتنبيهه لطلب المعرفة الحسية ، فطلب من النبي الأمي ومن المسلمين جميعا أول ما طلب أن يقرأوا ويتعلموا عن طريق القلم ، وهو طريق العلم المعهود . وهو في كل اشاراته يوجه عقول الناس وقلوبهم ومداركهم الى الملاحظة والمشاهدة لكي يصلوا الى كل الحقائق الحسية والايمانية عن طريق العقل والبرهان . وهو يتوصل الى توسيع دائرة المعرفة الانسانية بشحذ قوى الناس العقلية عن طريق التفكر في ما خلق الله ودراسة بديع صنعه في الكون ليكتشفوا عن طريق العلم قدرة الله أعظم الخالقين ، وليكتشفوا عن هذا الطريق قصورهم عن إدراك كثير من حقائق الوجود وهي تحت أنظارهم ، وعلى رأسها حقيقة أنفسهم ، فمن جهل نفسه كان أجهل بغيره ، ولذلك استحق وصف الله له : (**إنه كان ظلوما جهولا**) الاحزاب/ ٧٢ . والعلم الحقيقي الذي درب الاسلام المسلمين على اتخاذه وسيلتهم في الحياة يقود إلى الايمان . فمن أدرك عن طريق العلم دقة نواميس الكون وعرف عن طريق التجربة عظمة الله في خلقه تطامنت نفسه وتواضع لله وأدرك حكمة قوله تعالى : (**وما أويتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء/ ٨٥ ، وقاده هذا الادراك إلى مرحلة الايمان التي تصل عالم الشهادة بعالم الغيب . إذ أن عالم الشهادة المحسوس لدينا والذي أدركنا عن طريق التجربة والعلم اسراره وخوافيه يقودنا إلى عالم الغيب الذي لا تدركه وسائلنا القاصرة فيتعمق في قلوبنا ووجداننا الايمان بالله عالم الغيب والشهادة . وعالم الغيب هو عالم الانسان الحقيقي الذي به تتأكد انسانية الانسان لا في الآخرة وحدها وانما في الدنيا ايضا . وهو محك الدين الحق . لأن العلم هو المدخل للدين ، ولكن الدين عالم القيم والموازنات والحساب والعقاب والعدالة الصارمة والتجرد من الأهواء والنزوات والوقوف امام طغيان الدنيا . وملذاتها واطماعها وجورها على انسانية الانسان ، وكل ذلك لا ندركه عن طريق العلم فحسب وانما ندركه بوسائل أخرى تحول الفكر المترسب عن العلم إلى مشاعر وأحاسيس وايمان تغذي عناصر الحق والخير والعدل في نفس الانسان ليقوى على مواجهة الشر الراسخ في كل نفس بشرية . والقول بأن الايمان والعقيدة مناقضان للفكر والعلم لأن كل ما لم يبرهن عليه يكون عقيدة ، وما امكن برهانه يصبح حقيقة ، كلام خاطىء يقيس الانسان بنصف قدراته وغفل نصفه الآخر والأهم . فان الحقائق البرهانية كالرياضيات مثلا لا تظل مجرد حقائق جامدة لا تثير في نفس الانسان المشاعر ؛ وانما هي تتحول عن طريق تكوين الانسان الروحي والنفسي إلى حقائق وجدانية وأحاسيس ومشاعر تدفع الانسان إلى العمل ، وتنظم كيانه الداخلي وتعيد إلى نفسه التوازن ليصبح أكثر انسجاما مع

الكون وأكثر انسانية .

فالعلم الصحيح يتحول إلى مشاعر خيرة تعيد تكوين النفس على ضوء تنظيم العقل عن طريق العلم والمعرفة . ولهذا السبب استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . وهكذا ينعكس عالم الغيب والشهادة على نفس الانسان ليحدث التوازن بين عقل الانسان وروحه ، فيكون العقل الذي يكتشف حقائق الوجود في عالم الشهادة رافدا للروح في عالمها الخفي المعقد ، عالم الغيب ، الذي هو غيب عن ادراكنا القاصر ، ولكنه جزء من وجودنا ومن أنفسنا ، لا ندركه عن طريق العلم ، وإنما ندركه عن طريق الدين الذي دلنا عليه الله خالقنا لأنه أدرى بنا من انفسنا (**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) الملك/ ١٤ صدق الله العظيم .

الاسلام المفترى عليه

تحت هذا العنوان جاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ فاروق عبد العزيز سلام يقول فيها :

إن المأساة التي استقرت في القلوب .. ولفت الوجدان .. مختزنة المرارة والألم للمجازر البشعة التي يتعرض لها المسلمون في بقاع الأرض ...

وتيار الحقد الدفين يتدفق غزيرا .. يحمل في ثناياه الخطر والموت للمسلمين العزل .. في الفلبين .. وأرتريا .. وافغانستان .. وروسيا .. الخ .

وهو في تدفقه يدفع بافتراءات عنيدة عن الاسلام .. قاصدا تشويه حقائقه بكل ما تحمله من دلائل الخير والحب .. والسلام ..

والمستشرقون .. والدخلاء على الاسلام تكتسح كتاباتهم عقول الكثير من شبابنا .. وهم مع الالحاد يشكلون تحديا .. ومؤشرات الخطر تتجلى في كل قول مأفون يحاولون زرعه في افهام معظم شبابنا باسم الحضارة الغربية التي تقربنا الى كل رذيلة ومرذول بقدر ما تبعدنا عن قويم السلوك لتحقيق هدفين رئيسيين وهما : ـ

أ ـ تميع حضاري   ب ـ انحلال خلقي .

وحقائق التاريخ تشير الى هذا الواقع الأليم الذي ما عرفته امة حتى اندثرت واصبح مجدها أثرا بعد عين ..

هذه الحقائق التي تمخض عنها التاريخ الانساني تعي دروسها الصهيونية والصليبية المتسترة وراء دعوة المعلم العظيم المسيح بقدر ما يعيها الالحاد الماركسي اللينيني .. فعملوا كل جهدهم على تحقيق هذا الواقع بكل مقواده وآلامه .. ونحن ساهون .. وفي غفلة عن ذكر الله .. سادرون في غي وضلال المدنية ...

والحقيقة التي لا ريب فيها ـ أن الثالثوث المجرم نجح في محاولاته بتكريس

زيف فرضوه واقعا .. وصدقه ضعاف العقول والارادة والنفوس من المسلمين وعكسوا تصديقهم من خلال ارسالياتهم وكتبهم ومبشريهم في غيبة علماء الدين المسلمين ..

وتلك نذر خطر .. وتجربة رهيبة فرضتها محصلة هذه الوقائع ... ونتائجها ضرورة تغيرات جذرية في الشكل والمضمون ...

حتى لا يحدث لاقطار اسلامية ما حدث لمسلمي لبنان وقبرص وغيرهم والوسيلة لغسل النفوس من رواسب وأدران هذا الخطر الزاحف اما بغسل العقول الاسلامية او بازهاق ارواحها .. او في استنزاف طاقاتها ومقدراتها بالاقتتال بينها وبين بعضها .. ـ هو بالرجوع الى الله والعيش في كنف الدين الحنيف ..

والحقيقة الثانية : ان كل الشواهد .. والأدلة الماثلة امامنا رؤية .. وبصيرة .. وعقلا .. تسلب من دقة الامور قيادها بقدر ما تسلب الحياد من الحكم على الاشياء هذا بالنسبة لبعض علماء الاسلام اما بالنسبة لحكامنا فان دفة الامانة والامور تنحاز في اتجاه تطلعاتهم الدنيوية في بحر التصارع على الحكم والقيادة ..

من هنا يفلت الزمام ـ لتتحكم قيادة الامور نحو المطامع الشخصية والاستغلال .. تحركها بسرعة رواسب كامنة ـ تتعاظم سعيا نحو الزعامة ـ تحاول ان تضغط بعنف لا يرتقى الى مستوى المسؤولية .. ولا يرتفع الى شرف الامانة .. والعهد .. بل يبعد عن الحكمة ومنطق الاسلام والانسانية ... ويجانب الصواب .. الأمر الذي يخلق جوا من التذمر .. ـ ذلك ان كثرة الضغط مجافيا للحق والعدل .. والسلام ـ يولد الانفجار ...

إن علاقة الحاكم بالمحكوم في مفهوم الاسلام ـ علاقة انسانية شمولها الرحمة والعدل .. ويجب ان يضع الحاكم في اعتباره ـ ان العدل اساس الملك .. وان الملك زائل .. وأن ما عدا الله باطل .. وأن المساواة أساس السلام .. والطمأنينة ..

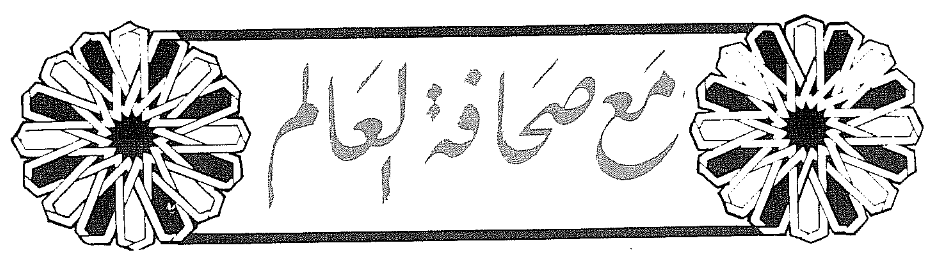
واذا كان جوهر الرسالات السماوية يستهدف شرف الانسان وسعادته ليحيا بالحق على أرضه عزيزا كريما .. فان واجب المفكرين الدينيين الا يستغلوا الدين ضد طبيعته وروحه تقربا وزلفى الى حاكم .. او تحقيقا لمأرب دنيوي رخيص .

اجل : يا دعاة الحق .

اجل : يا جبابرة الطغيان .

ان الاديان السماوية قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان .. وعلى منحه طاقات لا حدود لها من العمل ...

لأن الاديان وفي مقدمتها الاسلام (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) آل عمران/ ٨٥ سعت الى ارساء قواعد الحق والعدل والسلام .. وفي ايجاد حياة آمنة لكل انسان .. ولكن اعداء الاسلام يريدون فناء المسلمين قضاء على الاسلام .. ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ـ وصدق قوله : (**إنَّا نحن انزلنا الذكر وانا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .



المد الاسلامي يدخل الاتحاد السوفييتي

نشرت جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٨١/٩/٤ نقلا عن (ايكونومست) حول هذا العنوان تقول :

يعاني الاتحاد السوفييتي من مشكلة مهمة داخل حدوده ، هي : مشكلة الاقلية الاسلامية فيه ، والزعامة السوفيتية التي تحاول توسيع مدى نفوذها في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي تشهد في الوقت نفسه ، إنبعاثا إسلاميا عبر حدودها مباشرة . وتماسك الشعوب الاسلامية وزيادة ثقتها بنفسها بالأضافة إلى كثرة أعدادها أمور يجب أن تجعل زعماء الاتحاد السوفييتي يشعرون بالقلق . وفي الوقت نفسه تكتسح اليقظة الاسلامية بلدانا واقعة على حدود الاتحاد السوفييتي مضيفة بعدا استراتيجيا لما قد أصبح الآن مشكلة داخلية رئيسية .

وناحية الاعداد ملفتة للنظر . فالمسلمون السوفييت وعددهم ٤٣ مليونا يشكلون نسبة ١٦ بالمائة من عدد السكان . وفي السبعينات زاد عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي بنسبة ٢٤ بالمائة في حين زاد عدد الروس بنسبة ٦,٥ بالمائة . وقد يصل عدد المسلمين بنهاية هذا القرن إلى ما بين ٦٥ و ٧٥ مليون نسمة أي ما يساوي ربع عدد السكان ويهبط عدد الروس إلى أقل من نسبة ٥٠ بالمائة .

ومعظم المسلمين يعيش في عمق الجنوب وهو واقع مهم بصورة مماثلة .

والحزام الجنوبي في الاتحاد السوفييتي يجاور إحدى أكثر المناطق إضطرابا سياسيا في العالم وهي المؤلفة من إيران وأفغانستان وتركيا ومقاطعة كزينيانغ في الصين . ومنطقة الحدود السوفيتية هذه أخذت تصبح بكاملها إسلامية وتركية . وبنهاية هذا العقد سيصبح الروس أقلية لا شأن لها حتى في مدن وسط آسيا .

ومن الناحية الاقتصادية ، يبدو أن الاسلام السوفييتي بدأ يكتسب أهمية كبيرة . أما من الناحية السياسية ، فهناك بعض التساؤلات حول الاخلاص لموسكو .

فالمثقفون المسلمون لم يصبحوا سوفييت ، ولكنهم ظلوا مرتبطين بجماعاتهم وهم يحترمون تقاليدهم وتراثهم الديني .

وبالرغم من أنهم مازالوا أساسا مخلصين للنظام السوفييتي ، ويقبلون بالماركسية اللينينية عقيدة رسمية فان

هؤلاء المثقفين الذين يشكلون النخبة ، يرفضون العمل كممثلين لموسكو في جمهورياتهم وهم يواجهون موسكو كمندوبين عن شعوبهم .

وفي حين فقد الاسلام الكثير من قبضته على الحياة الاقتصادية والسياسية للمجتمعات الاسلامية فقد أظهرت استطلاعات أخيرة أن ٨٠ بالمائة من الناس هم مؤمنون بشكل أو بآخر أن عن طريق الاقتناع أو التقاليد .

ويبدو أن عقودا من فرض الخضوع للماركسية الروسية جعلت المسلمين السوفييت عرضة لتقبل الأفكار الدينية والسياسية المنبعثة من منطقة الشرق الأوسط غير المستقرة وجميعها يشكل خطرا محتملا على استقرار الاتحاد السوفييتي لأن ما تعرضه هذه الأفكار هو أكثر تقبلا لدى المسلمين السوفييت مما هي الماركسية الروسية المتبلدة البيروقراطية والملحدة .

وقد يكون سكان وسط آسيا يرحبون بتوسيع للنفوذ السوفييتي في العالم الاسلامي لأن أية مساعدة يقدمها الآسيويون ستكون مقابل تنازلات مهمة تقدمها الحكومة السوفيتية في الشؤون الدينية والادارية واستثمار رأس المال .

وبمواجهة هذه الخلفية ، لابد من طرح سؤال حول الاستراتيجية التي ستتبع إذا استمر الاتحاد السوفييتي في اتباع سياسته التوسعية في الشرق الأوسط والعالم الاسلامي .

فالتوسع تحت راية الصداقة السوفيتية ـ الاسلامية شيء والتوسع تحت راية الثورة الماركسية شيء آخر .

والخيار الأول هو أقل احتمالا ولكنه مما يحبذه المسلمون السوفييت ، لأن من شأنه تعزيز سلطة الزعماء الدينيين في تعاملهم مع الحكومة السوفيتية .

والاستراتيجية الثانية ، أي تصدير الثورة الماركسية إلى الخارج ، يمكن القيام بها بمساعدة الكوادر الشيوعية الاسلامية في الاتحاد السوفييتي وبدون هذه المساعدة أيضا . والمحاولة من دون مساعدتهم هي الاستراتيجية التي تتبع حاليا في أفغانستان حيث تستخدم قوات سوفيتية غير مسلمة لمقاتلة المجاهدين . ومع هذا إذا استمر القتال لفترة غير محددة فان هذا الخط يشكل احتمال خطر أكبر على استقرار الاتحاد السوفييتي .

وهناك إمكانية أخرى هي أن يأمر الاتحاد السوفييتي بتراجع تدريجي ، ويسحب الستار الحديدي الذي يعزل حدوده في منطقة وسط آسيا والقوقاز عن العدوى الخارجية .

وتبدو الآن هذه الامكانية بأنها الأقل خطرا بالنسبة لموسكو لأن الغزو السوفييتي لأفغانستان أضر كثيرا بسمعة الاتحاد السوفييتي في العالم الاسلامي .

ويبدو أن حملة جديدة معادية للاسلام والقومية قائمة الآن في منطقة وسط آسيا والقوقاز .

قالت جريدة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ٨١/٩/٤ تحت عنوان :

أثيوبيا .. والتآمر ضد الاسلام

قرأت وثيقة سرية أثيوبية منشورة في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨١/٦/١٩ باللغتين العربية والأثيوبية وتحمل خاتم الحكومة الأثيوبية وهالني ما بها من حقد على الاسلام والأديان عموما فهي تكشف النقاب عن خطة جهنمية محكمة أعدها النظام الشيوعي الحاكم في أثيوبيا ضد الأديان السماوية من منطلق أن الدين هو « العدو الرئيسي للثورة » وأبرز ما جاء فيها أن التنفيذ سيتم بالتشاور مع الاتحاد السوفياتي الذي يهيمن على مقدرات أثيوبيا بموجب ما يسمى « بمعاهدة الصداقة والتعاون » والتي أسفرت عن تحويل البلاد إلى قاعدة أساسية للسوفيات في منطقة القرن الافريقي وتتضمن الخطة البدء بضرب المسيحيين وإغلاق دور العبادة ثم الاتجاه لضرب المسلمين وهي تدعو في هذا المجال إلى بذر بذور الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في أثيوبيا حتى تسود الحكومة الشيوعية وتضرب الطرفين في آن واحد .

وتدعو الوثيقة لمحاربة الأديان لأن الأديان بزعمها على علاقة وثيقة بالنظم الامبريالية والاقطاعية والرأسمالية والرجعية والقضاء على هذه النظم يستلزم القضاء على الأديان ومن أجل ذلك يجب التعاون مع الاتحاد السوفياتي وسائر القوى الاشتراكية في العالم وإتباع ماركس ولينين في الداخل والخارج .

كما تقول الوثيقة أن الدين هو الذي وحد المقاومة ضد الثورة الشيوعية في أفغانستان كما تصب غضبها على الدول العربية البترولية لانها كما تزعم الوثيقة موالية للامبريالية وتعمل على تقوية الثوار المسلمين .

كما كشفت الوثيقة عن نوايا خبيثة للثورة الشيوعية تجاه الأديان مثل إستخدام الفتيات لاغراء رجال الدين وتحويل دور العبادة إلى مقاصف . هكذا يخطط أعداء الاسلام في أثيوبيا كما خططوا من قبل تركيا الاسلامية وغيرها من الدول العربية التي إنسخلت من الاسلام فأين دعاة الاسلام وأين اموال العرب والمسلمين لكي تحول دون الكارثة ؟؟ هذا ما وقع في أيدينا وما خفى كان أعظم فهناك الامكانيات الضخمة والابتكارات الحديثة التي جندت من أجل الاطاحة بهذا الدين والوقوف في وجه هذه الصحوة الاسلامية المباركة ولكن الله سبحانه وتعالى سيمكن لهذا الدين إنتشاره وقوته والله غالب على أمره ولو كره المشركون .

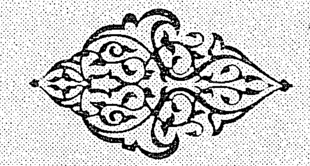


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
ليبيا	:	طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس	:	الشركة التونسية للصحافة .
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	:	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
مسقط	:	المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)
صنعاء	:	دار الفكر
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -